الدَّاعية ما له و ما عليه

[أي ما ذا يجب عليه أن يلتزم به ، و ما ذا يجب عليه أن يجتنبه]

(تأليف)

الدُّكتور / عبد السَّلام حديث أحمد المظهري

المحاضر بكلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة

(ممباسا . كينيا)

(وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَ عَمِلَ صَالِحاً وَّ قَالَ إِنَّنِيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ)

[سورة فصّلت ، الآية رقم ٣٣]

(مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)

[مسلم و أبوداود]

كلمة الدُّكتور / عبد الله محمَّد أبو بكر الخطيب / المحترم ، حفظه الله تعالى .

عميد كلِّيَّة الدِّراسات الإسلاميَّة ممباسا

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

اطَّلعت على كتاب الدُّكتور / عبد السَّلام المظهري تناول فيه " الدَّاعية إلى الله " من حيث الصِّفات العلميَّة و الأخلاقيَّة الَّتي يجب عليه التَّحلِّي بها و ما يجب عليه التَّخلِّي عنها و التَّرفُّع عنها من الأخلاق الرَّذيلة ، و قد اشتمل كتابه على عدَّة محاور مهَّد لها ببيان فضل الدَّعوة و مكانة الدُّعاة عند الله و عند النَّاس و أعقب ذلك بذكر مستلزمات الدَّعوة إلى الله من الإخلاص لله و تصحيح النِّيَّة ، تلاَ ذلك تناول أساليب الدَّعوة من الحكمة و الموعظة الحسنة و المجادلة بالَّتي هي أحسن إذا لزم الأمر و لزوم الصَّبر عليها و الجهاد في سبيلها ، و تناول المحور الثَّاني لوازم الدَّعوة العلميَّة من العلم بما يدعو إليه و الثَّقافة العامَّة المتعلِّقة بالتَّاريخ و الأديان و المذاهب المعاصرة ، و تناول المحور الأخير السَّلبيات الَّتي ينبغي للدَّاعية ــ لكي تكون دعوته مؤثِّرة في المدعويين ــ أن يحترز عنها .

و الكتاب كما يظهر من هذا المسح قد غطَّى الجوانب المختلفة للموضوع و دعمها بالكتاب و السُّنَّة و أحال المعلومات المودعة فيها على مصادرها بما يتماشى مع الأخلاق العلميَّة الَّتي تتطلَّب من أهل العلم التَّحلِّي بها و عدم انتحال الأفكار الَّتي يأخذونها عن غيرهم ، و لا شكَّ أنَّ الكتاب يضيف جديداً إلى عالم المعرفة في باب الدَّعوة و الدُّعاة .

و موضوع الكتاب جدٌّ مهمٌّ ، لأنَّه يتعلَّق بالدَّعوة ، ذلك بأنَّ معظم المشاكل الَّتي يواجهها المسلمون في الوقت الحاضر سببها الجهل بحقيقة الدَّعوة و بأساليبها أو عدم تطبيق هذه الأساليب لدى كثير ممَّن يتصدَّرون للدَّعوة فيسيئون إلى الدَّعوة أكثر من التَّرويج لها بتنفير النَّاس من الدِّين الَّذي يدعون إليه و هم يحسبون أنَّهم يعملون لها ، و هم بهذا يضعون الحواجز بينهم و بين المدعويين بحيث يجعل المدعويين غير مستعدِّين لقبول الدَّعوة ، فالكتاب مناسب للعاملين في حقل الدَّعوة و طلبة العلم بوجه عام و رغم وجود مؤلَّفات كثيرة في الموضوع إلاَّ أنَّ الحاجة ماسَّة إلى مزيد من الكتابة فيه حتَّى يكون أمام القارئ في هذا الموضوع عدد من الكتب تضمُّ

علم مؤلِّفيها و خبراتهم فيتوسَّع الفقه فيه و يضمُّ علمهم و خبراتهم إلى علمه و خبراته فيكون أعلم بالموضوع و جوانبه المختلفة .

فكتاب د / عبد السَّلام مظهري من ضمن هذه الكتب الَّتي ظهرت فى السَّاحة و ينبغي من أهل العلم و طلاَّبه و المشتغلين بالدَّعوة النَّظر فيه و الاستفادة منه فى الجوانب العلميَّة و العمليَّة للدَّعوة . و الله الموفِّق .

كتبه في تاريخ : ٥ / من شهر نوفمبر عام ٢٠١٦ م

محتويات البحث

تصـدير

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين ، و الصَّلاة و السَّلام على سيِّدنا محمَّـد و على آله و صحبه أجمعـين .

أمَّا بعـد : فإنَّ الإسلام . و هـو دين الله الخاتم الخـالد . إنَّما جاء ليحكم و يسود ، و يعلو و لا يعلى عليه ، و قد كان كذلك قروناً متطاولة سائداً شامخاً عزيزاً ، و كان المسلمون هم السَّادة القادة الَّذين يأمرون و يحكمون ، تأتمر الدُّنيا بأوامرهم ، و تتحرَّك طوعاً لإشارتهم .

ثمَّ خلفت من بعد ذلك خلوف ضيَّعوا أمر دينهم ، و ساد العالم الإسلامي جوٌّ حالك من اليأس و الخور ، و الانهزام و الانهيار ، نتيجة لبعد أهله عن شرع الله ، و أقصيت الشَّريعة الإسلاميَّة عن الحكم ، و أعرض المسلمون عن العمل الجـادِّ على نشر الدَّعوة الإسلاميَّـة ، و سرَّب إلى قلوبهـم الوهنَ حبُّ الدُّنيا و كراهيـةُ الموت ، و ناموا نومة عميقـة لا يشعرون و لا يتحرَّكون .

ثمَّ لطف الله با لمسلمين ، فبدأت صحـوة إسلاميَّة و يقظة دينيَّـة ، و قام دعـاة مخلصون ، و علماء ربَّانيُّون . هنا و هناك . ينبِّهون المسلمين ، و يوقظونهم ممَّا كانوا يغطُّون فيه من سبات عميق طويل .

و اليوم ـ و لله الحمد ـ يشهد العالم الإسلامي كلُّه صحوة عمَّت آثارها تبشِّر بالخير و تبدِّد الظَّلام و تؤذن بإشراق فجر جديد ، و لم يكن ذلك ـ بعد فضل الله و رحمته ـ إلاَّ عن أثر جهود مخلصة بذلها الدُّعـاة و المفكِّرون و العلماء الرَّبَّانيُّـون في أنحاء العالم الإسلامي ، فرحمهم الله ، و أجزل مثوبتهم و أكرمهم برضوانه .

و هناك جهود مخلصة جليلة تبذل اليوم . بفضل الله . في حقل الدَّعوة الإسلاميَّة يقوم بها رجال صادقون مخلصون ، و قد بدت آثارها واضحة جليَّة في توجيه المسلمين إلى كتاب ربِّهم و سنَّة نبيِّهم صلَّى الله عليه و سلَّم و العمل الجادِّ على استعادة سالف المجد و العزَّة و الكرامة ، غير أنَّ الميدان لا يزال فيه فراغ كثير ، و لا تزال الدَّعوة بحاجة متعاظمة إلى عدد وفير من الدُّعاة الأكفاء المهيَّئين لحمل الرِّسالة ، و لا يزال هذا النَّوع من الدُّعاة قليلاً ، و هناك كثير من الدُّعاة

يعملون في مجال الدَّعـوة تنقصهم بعض الصِّفات الضَّروريَّـة من قوَّة في العقيـدة و الإيمان ، و الإخلاص الوفير ، و أخلاق كريمة و ثقافـة واسعة فيضرُّون أكثر ممَّا ينفعون ، و يفسدون أكثر ممَّا يصلحون . من حيث لا يشعرون . أو على الأقلِّ ينعدم نفعهم أو يقلُّ .

فالحاجة اليوم ماسَّة إلى فوج من الدُّعـاة تتمُّ فيهم شروط القيام بالدَّعوة و تتوافـر فيهم صفات الدُّعاة الأوائل . و الَّذين يستطيعون الاضطلاع بعبء الدَّعوة الثَّقيل ، و يقدرون على مواجهة التَّحدِّيـات المعترضة و الصُّعوبات المعرقلة لمسير الدَّعـوة . و لن تنجح الدَّعوة حقَّ نجاحها ، و تؤتي ثمارها إلاَّ إذا توافر لها الدُّعاة الأكفـاء المتحلَّون بالصِّفات الأساسيَّة اللاَّزمة . و القائمون بتأدية واجباتهم نحو أنفسهم حق القيام .

فما هـذه الصِّفات الَّتي يجب توافـرها في الدَّاعيـة ، و ما هي واجبات الدُّعاة نحو أنفسهم ؟

الحقيقـة أنَّ هذه الصِّفات و الواجبات كثيـرة ، و قد اخترت من بينها عدَّة صفات و واجبات تبيَّن لي أنَّها هي الأساس ، و الأهمُّ و الأحرى بالعناية و الاهتمام .

فلابدَّ للدَّاعية . قبل كلِّ شيئ . من إيمان راسخ عميق يذلِّل الصِّعاب و يتغلَّب على المشكلات ، ثمَّ لا بدَّ له من نيَّة صادقـة و إخلاص وفير كما يجب له أن يسير في سبيل الدَّعوة بأسلوب منتج و مثبت مع بذل نفسه و ماله و صرف وقتـه في هـذا المجال . و لا بدَّ له مع ذلك من تزكيـة النَّفس من الأخلاق الذَّميمة و سيِّئات الطِّباع ، و يلزمه أيضاً أن يقدِّم نفسه قدوة طيِّبة و أسوة حسنة للمدعـوِّين ، و أن يكون عاملاً بما يدعوهـم إليه و لا غنى له ـ كذلك ـ عن التَّسلُّح بسلاح الثَّقافة الجامعة الشَّاملة و التَّوفُّر على المعرفة الضَّروريَّة بأنواعها الكثيرة و ألوانها المتعدِّدة .

فهذه هي الواجبات الثَّمانيـة الَّتي تحـدَّثت عنها في هـذا البحث ــ بما فتح الله عليَّ و أسعفني به الوقت و الجهـد ــ و بيَّنت أهمِّيَّتها و ضرورتها بالنِّسبة للدَّاعيـة مسترشداً في ذلك بكتـاب الله و سنَّة رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم ، و هـدي الدُّعاة الأوائل ، ثمَّ بما كتبه الأقدمون و المحدثون في هذه الموضوعات .

و قد رتَّبت البحث على مقدِّمـة و بابين و خاتمة و كلُّ بـاب منهما له أربعة فصول ، و إليكم تفصيلها :

مقدِّمة : في فضل الدَّعوة إلى الله ، و مكانة الدُّعاة عند الله و عند النَّاس .

الباب الأوَّل : في أهمِّ صفات الدَّاعية ، و فيه أربعة فصول :

الفصل الأوَّل : العقيدة الصَّحيحة

الفصل الثَّاني : الإخلاص و ثمراته

الفصل الثَّالث : أسلوب الدُّعاة

الفصل الرَّابع : التَّضحية في سبيل الدَّعوة

الباب الثَّاني : في لوازم الدَّعوة ، و فيه أربعة فصول أيضاً :

الفصل الأوَّل : العلم بكتاب الله و سنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم و الاطِّلاع على كتب الفقه الإسلامي ، و ما يتعلَّق بالدَّعوة من الثَّقافات الأخرى

الفصل الثَّاني : العمل بما يدعو إليه الدَّاعية و إعطاؤه القدوة الحسنة من نفسه

الفصل الثَّالث : معرفته بأعداء الإسلام و تحرُّكاتهم و كيدهم للإسلام و أهله

الفصل الرَّابع : احترازه عن سلبيَّات بعض الدُّعاة و اجتنابه معوِّقات الدَّعوة في نجاحها

خاتمة : في تذكير الدُّعاة بواجبهم و نصحهم للقيام بمهمَّة الدَّعوة الَّتي كلَّفهم الله بها .

هـــذا : و لست بغــافل عن تقديم شكر و تقـــدير إلى كلِّ من ساهمني و ساعدني و أرشدني و وجَّهني أثنـــاء تكميل هـــذا الكتاب المتواضع ، فأسأل الله تعــالى أن يحفظهم و يرعـــاهم و يزيدهم توفيقـــاً و إحساناً و يتقبَّل جهـــودهم قبولاً حسناً ، و أن يوفِّقنـــا جميعاً لخدمة دينه و لما يحبُّه و يرضاه . و الحمد لله ربِّ العالمين ، و الصَّـــلاة و السَّلام على سيِّد المرسلين و على آله و صحبه أجمعين و التَّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

و قد بدأت الكتابة على آلة الحاسوب من شهر ديسمبر عام ٢٠١٤م و انتهيت في شهر فبرائر عام ٢٠١٥ هـ

مقـــدِّمة في فضـــل الدَّعـــوة إلى الله
و مكانـة الدُّعاة عند الله و عند النَّاس

فضل الدَّعـوة إلى الله

لقـد كان من رحمة الله بالبشر أنّـه لم يتـركهم سدًى و لم يكتفِ في سبيل النَّجـاح بالوعـد الأزلِيِّ حيث أقـرَّ جميع النَّاس بربَّانيَّته تعـالى في جـواب" أَ لَسْتُ بِرَبِّكُـمْ " بل أرسل الرُّسل و الأنبيـاءَ ليدعوْهم إلى عبـادة الله و يذكِّروهم بما عـاهدوا به الله و يهدوهـــم إلى الصِّراط المستقيم و الطَّريق السَّمحـاءِ البيضاء الَّتي ليلها كنهارها ، فهم يدعون أقوامهــم إلى وحدانيَّة الله تعالى و عبادته ليلاً و نهاراً سرًّا و جهارًا ، و يحاربون كلَّ أنواع الزَّيغ و الضَّلال و الشَّرِّ و الفساد . فجاءت رسل الله تَتْرى في كل عصر و مصر (وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِيْ كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوْتَ)(١) (وَ إِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيْهَا نَذِيْرٌ) (٢)

و قد كانت دعوة الأنبياء كلِّهــم إلى الله جلَّ و علا و وحدانيَّته و إخلاص العبادة له و إن كانوا مختلفين في بعض الشَّرائع كما قال تعالى في بيان دعـــوة الرُّسل : (أَنِ اعْبُدُوْا اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (٣) و قال تعـــالى : (وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُوْلٍ إِلاَّ نُوْحِيْ إِلَيْهِ أَنَّـــهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُوْنِ) (٤) و قال تعالى : (قُلْ أَ نَدْعُـوْ مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُنَـــا وَ لاَ يَضُرُّنَا وَ نُـرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِيْ اسْتَهْوَتْـهُ الشَّيَاطِيْنُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ، لَهُ أَصْحَابٌ يَّدْعُوْنَـهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ، قُلْ إِنَّ هُـدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَ أُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ) (٥) و قال تعالى : (قُلْ إِنِّيْ نُهِيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَّبِّيْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ) (٦) . و قال تعالى : (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُّؤْتِيَـــهُ اللهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُوْلَ لِلنَّاسِ كُوْنُوْا عِبَاداً لِّيْ مِنْ دُوْنِ اللهِ ، وَ لَكِنْ كُـوْنُوْا رَبَّـانِيِّــيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُوْنَ الْكِتَـابَ وَ بِمَا كُنْتُـمْ

(١) سورة النَّحل ، الآية رقم ٣٦

(٢) سورة فاطر ، من الآية رقم ٣٤

(٣) سورة الأعراف (في أيات مختلفة)

(٤) سورة الأنبياء ، الآية رقم ٢٥

(٥) سورة الأنعام ، الآية رقم ٧١

(٦) سورة غافر ، الآية رقم ٦٦

تَدْرُسُوْنَ * وَ لاَ يَأْمُــرَكُمْ أَنْ تَتَّخِــذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَ النَّبِيِّيْنَ أَرْبَـاباً ، أَ يَأْمُـرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ) (١)

و ليس القصد من الدَّعوة إلاَّ الدَّعوة إلى الله ، قال الله تعالى : (قُلْ هَذِهِ سَبِيْلِيْ أَدْعُـوْ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِيْ) (٢) . و المقصود بالدَّعـوة إلى الله الدَّعوة إلى دينه و هو الإسلام . (إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ اْلإِسْلاَمُ) (٣) . و هذا هو الأصل الأوَّل للدَّعـوة ، فالرُّسل جميعاً متَّفقون فى الدَّعوة إلى أصل الدِّين الَّذي هو الانقيــاد لله تعالى بالطَّاعة و العبادة . قال تعالى عن نوح عليه السَّلام : (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُــمْ مِّنْ أَجْـرٍ ، إِنْ أَجْــرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُـوْنَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ) (٤) و قال تعالى عن إبراهيـم عليه السَّلام : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيْمُ يَهُوْدِيًّا وَّ لاَ نَصْرَانِيًّا وَّ لَكِنْ كَانَ حَنِيْفاً مُّسْلِماً وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ) (٥) و قال تعالى عن إبراهيم و يعقوب عليهما السَّلام : (وَ مَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيْمَ إِلاَّ مَنْ سَفِـهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي اْلآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِيْنَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّــهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِـرَبِّ الْعَالَمِيْنَ * وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيْمُ بَنِيْهِ وَ يَعْقُوْبُ ، يَا بَنِيَّ ! إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّيْنَ فَلاَ تَمُوْتُنَّ إِلاَّ وَ أَنْتُـمْ مُّسْلِمُوْنَ) (٦) و قال تعالى عن موسى عليه السَّلام : (وَ قَالَ مُوْسَى يَا قَــوْمِ ! إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْــهِ تَوَكَّلُوْا إِنْ كُنْتُمْ مُّسْلِمِيْنَ) (٧) و قال في أنبياء بني إسرائيل : (إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّـوْرَاةَ فِيْهَا هُدًى وَّ نُوْرٌ يَّحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّوْنَ الَّذِيْنَ أَسْلَمُوْا لِلَّذِيْنَ هَــادُوْا وَ الرَّبَّـانِيُّوْنَ ...) (٨) و قال تعالى حكاية عن سحرة فرعون الَّذين آمنــوا بموسى عليه السَّلام : (رَبَّنَا أَفْــرِغْ عَلَيْنَا صَبْــراً وَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِيْنَ) (٩) و قال تعالى

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ٧٩ ، ٨٠

(٢) سورة يوسف الآية رقم ١٠٨

(٣) سورة آل عمران من الآية رقم ١٩ . و انظر أصول الدَّعوة للدُّكتور عبد الكريم الزَّيدان ص ٥

(٤) سورة يونس الآية رقم ٧٢

(٥) سورة آل عمران ، الآية رقم ٦٧

(٦) سورة البقرة ، الآية رقم ١٣٠– ١٣٢

(٧) سورة يونس الآية رقم ٨٤

(٨) سورة المائدة ، من الآية رقم ٤٤

(٩) سورة الأعراف ، من الآية رقم ١٢٦

و قال تعالى حكاية عن فرعون : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِيْ آمَنَتْ بِهِ بَنُـوْ إِسْرَائِيْلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ) (١) و قال تعالى حكاية عن سليمان عليه السَّلام في كتابه لبلقيس : (أَنْ لاَ تَعْلُوْا عَلَيَّ وَ أْتُوْنِيْ مُسْلِمِيْنَ) (٢) و قال تعالى عن أمّة عيسى عليه السَّلام : (وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّيْنَ أَنْ آمِنُوْا بِيْ وَ بِرَسُوْلِيْ قَالُـوْا آمَنَّا وَ اشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُوْنَ) (٣) . فالدَّعوة إلى الله هي القطب الأعظم فى الدِّين ، و هي المهمَّة الَّتي ابتعث الله لها الرُّسل و النَّبيِّين أجمعين . ففيها صرفوا حياتهم و لها بذلوا جهودهم و في سبيلها تجشَّموا الشَّدائد و الصِّعاب و لقوا أنواع المحنة و العذاب . و لولا ها لاندرست معالم الخير و الصَّلاح و انسدَّت على النَّاس طرق الفوز و الفلاح و فشت الضَّلالات و عمَّت الجهالات و استشرى الفساد و خربت البلاد و هلك العباد . و إذا كانت النُّبـوَّة قد انقطعت بعد خاتم الأنبياء صلَّى الله عليه و سلَّم بدلالة الأدلَّة القاطعة و الإجماع على ذلك ، فإنَّ الحاجة إلى الدَّعوة لم تنقطع بل ما زالت الأمَّة ـ و لن تزال ـ تحتاج إلى دعاة مرشدين و ناصحين صادقين يحمون دين الله من عبث العابثين ، و يحرسون العقائد و يراقبون الأعمال و الأخلاق و يرشدون إلى الخير و يحذِّرون من عواقب الشَّرِّ و ينيرون السَّبيل إلى ما فيه الخير و السَّعادة . و من أجل ذلك فقد كلَّف الله هذه الأمَّة بواجب الدَّعوة و حمَّلها هذه الأمانة .

قال فضيلة الشَّيخ أبو بكر جابر الجزائري .. . يؤمن المسلم بواجب الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر على كلِّ مسلم مكلَّف قادر علِم بالمعروف و رآه متروكًا ، أو علِم بالمنكر و رآه مرتكَباً و قدر على الأمر أو التَّغيير بيده أو لسانه و أنَّه أعظم الواجبات الدينيَّة بعد الإيمان بالله تعالى إذ ذكره الله تعالى في كتابه العزيز مقروناً بالإيمان به عزَّ و جلَّ . قال تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ ...) (٤)

---

(١) سورة يونس من الآية رقم ٩٠

(٢) سورة النَّمل من الآية رقم ٣١

(٣) سورة المائدة الآية رقم ١١١ . و يرى لهذا الموضوع : اقتضاء الصِّراط المستقيم للإمام ابن تيمية – ص ٤٥٠

(٤) سورة آل عمران ، الآية رقم ١١٠ . و انظر منهاج المسلم – ص ٦٠

و من أدلَّة الوجوب

١ . قوله تعالى : (وَ لْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ) (١)

٢ . قوله تعالى : (الَّذِيْنَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي ٱلأَرْضِ أَقَامُوْا الصَّلاَةَ وَ آتُوُوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَ نَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ...) (٢)

٣ . قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْموْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ ..) (٣)

٤ . قوله تعالى : (فَادْعُ وَ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) (٤)

٥ . قوله تعالى : (وَ ادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَ لاَ تَكُوْنَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ) (٥)

هذه الآيات تفيد الفرضيَّة لأنَّ الأمر يفيد الوجوب إذا لم يوجد ما يصرف معناه عن ذلك و لا صارف له في هذه الآيات . كما أنَّ هذه الآيات لا تحتمل إلا معنى واحداً . و لذلك فهي قطعيَّة الدَّلالة .

٦ . و قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ) (٦)

٧ . و قوله تعالى : (قُمْ فَأَنْذِرْ) (٧)

---

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٠٤

(٢) سورة الحجِّ ، الآية رقم ٤١

(٣) سورة النَّحل ، الآية رقم ١٢٥

(٤) سورة الشُّورى ، الآية رقم ١٥

(٥) سورة القصص ، الآية رقم ٨٧

(٦) سورة المائدة ، الآية رقم ٦٧

(٧) سورة المدَّثِّر ، الآية رقم ٢

فإنَّ الأمر بالإنذار هو تبليــغ للدَّعوة بطريقــة التَّرهيب كما أنَّ التَّبشير تبليغ لها بطريقة التَّرغيب

٧ . قوله صلَّى الله عليه وسلَّم .. (مَنْ رَآى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَ ذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ) (١)

٨ . و قوله عليه الصَّلاة و السَّلام : (مَا مِنْ قَــوْمٍ عَمِلُوْا بِالْمَعَاصِيْ وَ فِيْهِــمْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوْا إِلاَّ يُوْشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ) (٢)

٩ . و قوله صلَّى الله عليه و سلَّم .. (لِيُبَلِّغِ الشَّاهِــدُ مِنْكُمُ الْغَــائِبَ) (٣) إلى غيــر ذلك من الآيات الكريمة و الأحاديث الشَّريفة الَّتي تدلُّ على أهمِّيَّة الدَّعوة إلى الله و وجوبها .

و وجوب الدَّعــوة إلى الله مقــرَّر بالعقل أيضاً لأنَّ الله سبحانــه و تعالى حرَّم قتل الكافرين قبل بعث الرَّسول صلَّى الله عليه و سلَّم لدعوتهم إلى الله لئلاَّ تبقى لهم شبهة عــذر تجعلهم يقولون : (رَبَّنَا لَوْ لاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُوْلاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ ...) (٤)

و أيضاً فإنَّ القتال ما فــرض لعينه بل للدَّعــوة إلى الإسلام ، و من المعلوم أنَّ الدَّعــوة باللِّسان أهــون من الدَّعــوة بالقتــال ، لأنَّ فى القتــال مخاطرة بالرُّوح و النَّفس و المال . و ليس في دعوة التَّبليغ شيء من ذلك . فإذا احتمل حصول المقصود بأهون الدَّعوتين لزم اللُّجوء إليها (٥)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب بيان كون النَّهي عن المنكر من الإيمان – ج٢– ص٢٢ عن أبي سعيد الخدري

(٢) أخرجه التِّرمذي –كتاب الفتن – ج٤– ص ٤٦٧ ، ٤٦٨– حديث رقم – ٢١٦٨ – و أبوداود فى الملاحم – ج٤– ص ١٢٢– حديث رقم – ٤٣٣٨ . و اللَّفظ له عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه –كتاب العلم – باب ليبلغ الشاهد الغائب – ج١– ص٣١ عن أبي بكرة رضي الله عنه

(٤) سورة طه ، الآية رقم ١٣٤

(٥) انظر الدَّعوة الإسلاميَّة أصولها و وسائلها – ص ٢٣٥

مكانة الدُّعـاة عند الله

لَمَّا كانت الدَّعوة عمل الأنبياء و المرسلين و كانت العلماء ورثتهم في هـذه المهمَّة الجليلة كانت مكانتهم عند الله عظيمة و منزلتهم رفيعة . و قد جعل الله سبحانه قـول الدَّاعي إلى الله أحسن قول يقال على وجه الأرض فقــال سبحانه و تعــالى : (وَ مَنْ أَحْسَنُ قَـوْلاً مِّمَّنْ دَعَــا إِلَى اللهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَّ قَالَ إِنَّنِيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ) (١)

يقول سيِّـد قطب : إن النُّهوض بواجب الدَّعــوة إلى الله في مواجهــة التواءات النَّفس البشريَّــة و جهلها و اعتــزازها بما ألفت و استكبــارها أن يقــال : إنَّها كانت على ضلالـة و حرصها على شهـواتها و على مصالحها و على مركزها الَّذي قد تهدَّده الدَّعوة إلى إله واحد . كلُّ البشر أمامه سواء . إنَّ النُّهوض بواجب الدَّعوة في مواجهة هـذه الظُّروف أمر شاقٌّ و لكنَّه شأن عظيم . إنَّ كلمة الدَّعــوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال فى الأرض و تصعــد في مقــدِّمة الكلم الطَّيِّب إلى السَّماء و لكن مع العمل الصـالح الَّذي يصـدِّق الكلمة . و مع الاستسلام لله الَّذي تتوارى معه الذَّات فتصبح الدَّعـوة خالصــة لله ليس للدَّاعيــة فيهــا شأن إلاَّ التَّبليــغ . و لا على الدَّاعيــة بعد ذلك أن تتلقَّى كلمتــه بالإعــراض أو بسوء الأدب أو بالتَّبجُّــح فى الإنكار فهـو إنَّما يتقـدَّم بالحسنة فهو فى المقام الرَّفيع و غيره يتقدَّم بالسَّيِّئة فهو فى المكان الدُّون . (٢)

و كان الحسن البصري إذا تلا هذه الآية يقول : هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيـرة الله هـذا أحب الخلق إلى الله أجاب الله في دعوتـه و دعا النَّاس إلى ما أجـاب الله فيه من دعوته و عمل صالحاً في إجابته و قال إنَّني من المسلمين فهذا خليفة الله .

و قال قتادة : هذا عبد صدَّق قولـه عمله و مولجه مخرجه و سرُّه علانيته و شاهده مغيبه ، و إنَّ المنافق عبد خالف قوله عمله و مولجه مخرجه و سرُّه علانيته و شاهده مغيبه . (٣)

---

(١) سورة فصِّلت ، الآية رقم ٣٣ .

(٢) في ظلال القرآن – ج ٢٤– ص ٣١٢١ .

(٣) تفسير ابن كثير – ج٤– ص ١٠١ – و تفسير ابن جرير الطَّبري – ج٢٤– ص ٧٥

يقول سعيد حــوَّى : المسلم داعيـــة إلى ما عنـده بالفطرة ، و الله عــزَّ و جلَّ عند ما خاطب المؤمنـــين بقوله : (لَقَدْ كَانَ لَكُـــمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (١) كأنَّه حمَّل كلَّ مسلــم أمانة البلاغ لأنَّ الرَّسول صلَّى الله عليه و سلَّم من مهمَّــاته الأساسيَّة البلاغ . و عند ما قال الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم (بَلِّغُوْا عَنِّي وَ لَوْ آيَةً) (٢) كأنَّه طلب من الَّذي يعرف آية أن يبلِّغها . إلى من لم يعرف آية من كتاب الله ، و قد قال الفقهــاء : أنَّ من تعلَّم مسألة عليه تبليغها لأنَّه صار فقيها بها . و عمليَّـــة الدَّعوة و التَّبليغ عمليَّة كبيرة واسعة في عصرنا و هي شاقَّة بنفس الوقت . لأنَّه لا يوجــد المكان الَّذي يستطيع بــه المسلم أن يدعــو إلى الأسلام كلِّه بصراحـــة و من ثمَّ أخذت الدَّعوة طابع الجزئيَّـــة . فقام يدعو إلى جزء من الإسلام مجموعــة . و تخصَّص بجزء آخر جماعة و تفـــرَّغ آخرون لمعــان أخرى و كبرى ... إلى أن قال : و بهذا لا يبقى جزء من الإسلام إلا و يوجد من يقيم على النَّاس الحجَّة به . (٣)

حقــاً ليس أحد أعظم شأناً و أسعـــد حالاً و أحسن مقـــالاً ممَّن جمع بين هذه الفضائل فكان موحِّداً لله عارفـــاً به ، عاملاً بالخير داعياً إليه ، و ما هم إلاَّ طبقة العالمين العاملين . الدُّعاة إلى الله عـــزَّ و جلَّ من ذوى القلوب الحيَّة و الإيمان الصَّـــادق و الإخـــلاص الصَّحيح ، و كيف لا يكون الدُّعاة بهذه المنزلة و هم عصب المجتمع و دعامتــه . فهم الدّالون على الخير و الزَّاجرون عن الشَّرِّ . ينبِّـــه الله بهم الغافلين و يوقــظ النَّائمين و بصلح الفاسدين و هم فصل بين الدُّجى و منارات الهدى . و ما من مجتمع يخلو من الدَّاعين إلى الله و الآمرين بالمعروف و النَّاهين عن المنكر إلاَّ كان عرضةً لعذاب الله و لعنتــه و سخطه و نقمته ، فهم وقايـــة الله لعباده من أليم عقابه و شديد عذابه . و لقد شدَّد الله سبحانــه و تعالى بالإنكار على قــوم أهملوا هـــذه الفريضة ، فحلَّت بهم اللَّعنة ، قال الله تعالى : (لُعِنَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّ كَانُوْا يَعْتَـدُوْنَ * كَانُوْا لاَ يَتَنَـــاهَوْنَ عَنْ مُّنْكَـرٍ فَعَـلُوْهُ

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية رقم ٢١

(٢) أخرجه البخاريُّ في صحيحه- كتاب الأنبياء - انظر الفتح- ج ٦ - ص ٤٩٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(٣) جند الله ١٥٦

لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ) (١) و قال تعالى : (فَلَوْ لاَ كَانَ مِنَ الْقُرُوْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوْا بَقِيَّةٍ يَّنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلاَّ قَلِيْلاً مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) (٢) . فبيَّن سبحانه أنَّه أهلك جميعهم إلاَّ قليلاً منهم كانوا ينهون عمَّا كان يقع بينهم من الشُّرور و المنكرات و الفساد في الأرض .

و قد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن النُّعمان بن بشير عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال : (مَثَلُ الْقَائِمِ فِيْ حُدُوْدِ اللهِ وَ الْوَاقِعِ فِيْهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوْا عَلَى سَفِيْنَةٍ ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، وَ كَانَ الَّذِيْنَ فِيْ أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوْا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوْا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِيْ نَصِيْبِنَا خَرْقاً وَ لَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ يَّتْرُكُوْهُمْ وَ مَا أَرَادُوْا هَلَكُوْا جَمِيْعًا. وَ إِنْ أَخَذُوْا عَلَى أَيْدِيْهِمْ نَجَوْا وَ نَجَوْا جَمِيْعًا) (٣)

و من هنا كان أجر الدُّعاة عند الله عظيم ، فقد أعطاهم أجورهم و مثل أجور المدعوِّين فيما اتَّبعوهم فيه من الهدى و الخبر كما قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) (٤) . و قال صلَّى الله عليه وسلَّم : (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ ٱلأَجْرِ مِثْلُ أُجُوْرِ مَنِ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُوْرِهِمْ شَيْئاً ، وَ مَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً) (٥) . و كفى دليلاً على فضل الدُّعاة و شرفهم و عظيم مكانتهم قوله صلَّى الله عليه وسلَّم لعليٍّ رضي الله عنه لَمَّا أعطاه الرَّاية يوم خيبر : (انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى ٱلإِسْلاَمِ ، وَ أَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِّنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيْهِ ، فَوَ اللهِ لأَنْ يَّهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَّاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ) (٦)

قال سماحة الشَّيخ عبد الله بن عبد العزيز بن باز بعد أن ذكر قوله تعالى : (وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً

(١) سورة المائدة ، الآية رقم ٧٨ ، ٧٩

(٢) سورة هود ، الآية رقم ١١٧

(٣) صحيح البخاري - كتاب المظالم - باب هل يقرع في القسمة و الاستهام فيه - ج ٣- ص ١٨٢

(٤) رواه مسلم - كتاب الإمارة - باب في فضل إعانة الغازي - ج١٣- ص ٣٧ ، و رواه أبوداود في كتاب الأدب - ج٤- ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه

(٥) رواه مسلم - كتاب العلم- باب من سنَّ سنَّة حسنة أو سيِّئة - ج١٦- ص ٢٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٦) رواه البخاري في المغازي - باب غزوة خيبر - ج٣- ص٥١- و مسلم في فضائل الصَّحابة - باب فضائل عليٍّ- ج١٥- ص١٧٨ عن سهل بن سعد رضي اله عنه

مِّمَّنْ دَعَـا إِلَى اللهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَّ قَـالَ إِنَّنِيْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ) فهـذه الآية الكريمة فيها التّنويـه بالدُّعـاة و الثّناء عليهم و أنّـه لا أحد أحسن قولاً منهـم و على رأسهم الرُّسل عليهم الصَّلاة و السَّلام ، ثمَّ أتباعهم على حسب مراتبهـم فى الدَّعوة و العلم و الفضل ، فأنت يا عباد الله ! يكفيك شرفاً أن تكون من أتباع الرُّسل و من المنتظمين في هـذه الآية الكريمة ... إلى أن قال : فهذه الآية الكريمة من أوضح الآيات فى الدَّلالة على فضل الدَّعوة و أنَّها من أهمِّ القربات و من أفضل الطَّاعات و أنَّ أهلها في غايـة من الشَّرف و في أرفـع مكانة و على رأسهم الرُّسل عليهم الصَّلاة و السَّلام و أكملهم في ذلك خاتمهم و إمامهم و سيِّدهـم نبيُّنا محمَّد عليه و عليهم أفضل الصَّلاة و السَّلام ، و من ذلك قوله جلَّ و علا : (قُلْ هَذِهِ سَبِيْلِيْ أَدْعُوْ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِيْ) (١) . فبـيَّن سبحانه أنَّ الرَّسول يدعو على بصيـرة و أنَّ أتباعـه كذلك . فهذا فيه فضل الدَّعـوة و أنَّ أتبـاع الرَّسول صلَّى الله عليه و سلَّم و هـم الدُّعاة إلى سبيله على بصيـرة . و البصيرة : هي العلم بما يدعو إليه و ما ينهى عنه . و في هـذا شرف لهـم و تفضيل . و قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم فى الحديث الصَّحيح : (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) (٢) و قال عليه السَّلام : (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُوْرِ مَنِ تَبِعَهُ ...) (٣) و هذا دليل على فضل الدَّعوة إلى الله عزَّ و جلَّ . و صحَّ عنه عليه السَّلام أنَّه قال لعليٍّ رضي الله عنه و أرضاه : (فَوَ اللهِ لَأَنْ يَّهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُـلاً وَّاحِـدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ) (٤) و هذا أيضاً يدلُّنا على فضل الدَّعـوة إلى الله و ما فيهـا من الخيـر العظيـم و أنَّ الدَّاعي إلى الله جلَّ و علا يُعطى مثل أجور من هـداه الله على يديه و لو كان آلاف الملايين ، و تُعطى أيها الدَّاعيـة مثل أجورهـم فهنيئاً لك أيُّها الدَّاعيـة إلى الله بهذا الخير العظيـم . و بهذا يتَّضح أيضاً أنَّ الرَّسول عليه الصَّلاة و السَّلام يعطى مثل أجـور أتبـاعه . فيـا لها من نعمة عظيمـة . يُعطى نبيُّنا عليه الصَّلاة و السَّلام مثل أجور أتباعـه إلى يوم القيامة لأنَّه بلَّغهم رسالة الله و دلَّهم على الخير عليه السَّلام .

---

(١) سورة يوسف ، الآية رقم ١٠٨

(٢) أخرجه مسلم و قد مرَّ على صفحة ١٢

(٣) أخرجه مسلم و قد مرَّ على صفحة ١٢

(٤) متفق عليه وقد مر على صفحة ١٢

و هكذا الرُّسل يعطون مثل أجور أتباعهم عليهــم الصَّلاة و السَّلام و أنت كذلك أيُّها الدَّاعية في كلِّ زمــان تُعطى مثل أجــور أتبــاعك و القــابلين لدعوتك . فاغتنم هذا الخيــر العظيم و سارع إليه . (١)

مكانة الدُّعاة عند النَّاس

أمَّا مكانتهم عند النَّاس فحــدِّث و لا حــرج ، كيف لا ؟ و هــم الَّذين يعلِّمونهم أمور دينهم ، و يرشدونهــم إلى التَّحلِّي بالفضــائل و التخلِّي عن الرَّذائل ، فلا غــرو إذا أحلُّوهم من أنفسهم محلاًّ لم يبلغه سواهم من البشر حتَّى اكتسبوا في قلوبهم مكانــة يغبطون عليها و ركبوا منزلة تصبو إليها النُّفــوس و تتطلَّع إليها الهمم ، و ناهيك بقوم إذا فعلوا لحظتهم العيون ، و إذا قالوا صغت إليهــم الآذان و وعت القــلوب ، و حكت الألسنة ، فهم مطمح الأنظار ، و موضع الثِّقــة . و محلُّ التَّقدير و الإعجاب . و لم يزل النَّاس منذ عهد الرِّسالة . بل و قبله . إلى الآن ينظرون إلى الدُّعــاة العاملين المخلصين بعين الإجــلال و الإكــرام و المحبَّــة و المودَّة ، و لربَّما يحبُّونهم أكثر من أبنائهم و أعزَّائهم و يفدونهم بمهجهم و أرواحهم .

و السَّبب في ذلك ظاهر طبيعي . فالنَّاس إنَّما يحبُّــون لأحــد ثلاثة أسباب : الجمال و الكمال و الإحسان . و قد يشتمل الدُّعــاة . الرَّبَّانيُّون المخلصون . على الكمــال و الإحسان معــاً . أمَّا الكمال فإنَّهم قد جمعوا بين العلم و العمل و بين الشَّفقــة على الخلق و النُّصح لهم. و جمعوا بين الاهتــداء في أنفسهــم و الهدايــة لغيرهم . فكانوا راشدين مرشدين ، صــالحين مصلحين . و أمَّا الإحسان فلمَّا عرفــوا به من شدَّة حرصهــم على مصالح النَّاس و إرشادهــم إلى ما فيه من الخير و تحذيرهم من الشَّرِّ و كلُّ ما يجلب غضب الرَّبِّ تعالى . و مثل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ سيِّد الدُّعــاة ـ في ذلك هو المثل الأمثل و النَّمــوذج الأفضل . فقــد أحبَّتــه صحابته من كلِّ قلوبهم حبًّا خالط شغــاف القلوب و استقرَّ في قرارة النُّفوس و عدم نظيره في التَّاريخ . فقد كان أحبَّ إليهم من أنفسهم و أبنائهم و آبائهم . و كلُّ صفحــة من صفحــات السِّيرة المطهَّرة على هذا الحبِّ دليل و برهان .

---

(١) الدُّعاة إلى الله و أخلاق الدعاة – ص ٢٤

و قد أدرك عـروة بن مسعود الثَّقفي مدى هذا الحبِّ العظيم حينما جاء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في صلح الحديبية سفيراً من قريش . فرأى ما يصنع به أصحابه و لا يتوضَّأ إلاَّ ابتدروا وضوءه . و لا يبصق بصاقـاً إلاَّ ابتـدروه و لا يسقط من شعره شيء إلاَّ أخذوه . فلمَّا رجع إلى قـريش قال : يا معشر قريش ! إنِّي قـد جئت كسرى في ملكه ، و قيصر في ملكه ، و إنِّي و الله ما رأيت ملكاً في قوم قطُّ مثل محمَّد و أصحابه (١) و ممَّا يرويه التَّاريخ من روائع هذه المحبَّة قصَّة زيد بن الدِّثنة لَمَّا أخرجه المشركون ليقتلوه ، فقال له أبو سفيـان ـ و هو حينئذ مشرك ـ حين قـدم ليقتل : أنشدك بالله يا زيد ! أ تحبُّ أنَّ محمَّـدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه و أنَّك في أهلك ؟ قـال : و الله ما أحبُّ أنَّ محمَّـدًا الآن في مكانه الَّذي هو فيـه تصيبه شوكـة تؤذيـه و أنِّي جالس في أهلي . فقال أبو سفيان : ما رأيت من النَّاس أحدًا يحبُّ أحدًا كحبِّ أصحاب محمَّد محمَّدًا . (٢)

و رسول الله هو رسول الله ، لقد كان جـديراً بهذا الحبِّ . و كان صحابتـه به جديرين ، و لن يلحقه صلَّى الله عليه و سلَّم في ذلك أحد و لا يدانيـه ، غيـر أنَّ للدُّعاة الرَّبانيِّين السَّائرين على نهجه صلَّى الله عليه و سلَّم . و المهتـدين بهديـه من هـذا الحبِّ و الإجلال نصيباً غير مبخوس و حظًّا غير منقوص ، و كلَّما كان اقتداؤهم برسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم أكمل كان حظُّهم من حبِّ المدعـوِّين أعظم و أكبـر . و نماذج هـذا الحبِّ العميق كثيـرة في حيـاة الدُّعاة بعد رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم ، و أذكر هنا نموذجاً واحـداً يتحلَّى به كيف يكون إقبـال النَّاس على الدُّعاة الرَّبانيِّين . يحكى أنَّ هـارون الرَّشيد كان نازلاً بالرَّقَّـة ، فقـدمها عبد الله بن المبـارك فانجفل النَّاس خلفه و تقطَّعت النِّعال و ارتفعت الغبرة ، و أشرفت أمُّ ولد أميـر المؤمنين من برج من قصر الخشب فلمَّا رأت النَّاس قالت : ما هـذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان قدم الرَّقَّـة يقال له عبد الله بن المبارك فقالت : هذا و الله الملك ، لا ملك هـارون الَّذي لا يجمع النَّاس إلا بشرط و أعـوان (٣)

(١) سيرة ابن هشام – ج ٣– ص ٣١٤ (القسم الثَّاني)
(٢) نفس المصدر – ج٣– ص ١٧٢
(٣) صفة الصَّفوة – ج ٤– ص ١٣٧ في ذكر عبد الله بن المبارك

هذا عند من يقبلون الدَّعوة ، أمَّا عند غيـرهم فإمَّا أن يرفض الدَّعوة فحسب أو يتصدَّى للإيذاء و الصدِّ عن سبيلها . و ذلك كثيـر . و من أمثلته ما جرى مع رسول الله صلَّى الله عليه و سلم في مكَّة و الطَّائف و غيرها و أصحابه رضي الله عنهم . و هنـا يأتي دور التَّضحيـة في سبيل الله و سأبيِّنها فى الفصل الرَّابع إن شاء الله تعالى .

من هو المكلَّف بالدَّعوة إلى الله ؟

قوله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُـرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...) (١) صريح في أنَّ هـذه الأمَّـة المسلمة كلَّها شريكة لرسولها في وظيفة الدَّعوة إلى الله ، لأنَّ هـذه الآية أفادت معنيين : الأوَّل خيريَّـة هذه الأمَّة . و الثَّاني أنَّها حازت هذه الخيريَّـة لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر. و هي وظيفة رسول الله و رسل الله جميعاً عليهم الصَّلاة و التَّسليم . و أوَّل ما يدخل فى الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر الدَّعوة إلى الله وحده و البراءة من الشِّرك بأنواعه ، بل القرآن جعل من صفـات المؤمنين الدَّعـوة إلى الله . بخلاف المنافقين الَّذين يصـدُّون عن سبيل الله و يدعون إلى غيـره ، فقال تعالى : (الْمُنَـافِقُوْنَ وَ الْمُنَافِقَـاتُ بَعْضُهُـمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُـرُوْنَ بِالْمُنْـكَرِ وَ يَنْهَـوْنَ عَنِ المَعْـرُوْفِ ...) (٢) ثُـمَّ قال تعـالى بعد ذلك : (وَ الْمُـؤْمِنُوْنَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...) (٣)

قال القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) : فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر فرقـاً بين المؤمنـين و المنافقـين ، فدلَّ على أنَّ أخصَّ أوصـاف المؤمنـين الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر و رأسها الدُّعاء إلى الإسلام . و أضيف إلى ذلك أنَّ الله تبارك و تعالى بهذه الآية وصف الأمَّة الإسلاميَّـة بما وصف به رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم فقال تعالى عن رسوله : (يَأْمُـرُهُمْ بِالْمَعْـرُوْفِ وَ يَنْهَـاهُمْ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَ يُحَـرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) (٤)

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ١١٠

(٢) سورة التَّوبة ، من الآية رقم ٦٧

(٣) نفس السُّورة ، من الآية رقم ٧١

(٤) تفسير قرطبي – ج٤– ص٣١ في تفسير قوله تعالى (إِنَّ الَّذِيْنَ يَكْفُرُوْنَ بِآيَاتِ اللهِ ... إلى (وَ مَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِيْنَ) سورة آل عمران ، الآية رقم ٢١ ، ٢٢ . و الآية من سورة الأعراف من الآية رقم ١٥٧

فاتَّضح بجـلاء أنَّ المكلَّف بالدَّعوة إلى الله هـو كلُّ مسلم و مسلمة ، لأنَّ الأمَّـة المسلمة تتكوَّن منهم . فكلُّ بالغ عاقل من الأمَّـة الإسلاميَّة مكلَّف بهـذا الواجب ذكراً كان أو أنثى فلا يختصُّ العلمـاء أو كما يسمِّيهم البعض رجـال الدِّين ، بأصل هذا الواجب . لأنَّـه واجب على الجميع و إنَّما يختصُّون بتبليـغ تفاصيله و أحكامه و معانيـه نظـراً لسعة علمهم به و معرفتهم بجزئيَّـاته . و يدلُّ له وضوحاً قولـه تعالى : (قُلْ : هَـذِهِ سَبِيْلِيْ أَدْعُـوْ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِيْ وَ سُبْحَـانَ اللهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ) (١) فأتباع الرَّسول عليه السَّلام المؤمنـون به ، يدعون إلى الله على بصيرة أي علم و يقين . بمعنى أنَّ من اللَّوازم الضَّروريَّـة لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله . فإذا تخلَّف من الدَّعوة دلَّ تخلُّفه هذا على وجود نقص أو خلل في إيمانه يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب و للحديث الشَّريف الَّذي رواه البخاري عن ابن عبَّـاس رضي الله عنهما أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه و سلَّم قال : (فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِـدُ الْغَائِبَ) (٢) و يدخل في معنى الشَّاهد كلُّ مسلم علم من أمر الإسلام شيئاً (٣) و (٤)

حكم الدَّعوة إلى الله

قد تظافـرت الآيـات و الأحـاديث على بيـان وجوب الدَّعـوة و الأمر بالمعـروف و النَّهي عن المنكر ، و أجمع العلماء على ذلك مع خلاف في وجوبها عيناً أو كفايـةً . و كلٌّ استدلَّ بما ظهر لديـه من ظواهـر النُّصوص و مقتضـاها و إشاراتها ، و قد مـرَّ معنا في السُّطـور الماضيَّـة كثيـر من تلك النُّصوص الَّتي من مستدلاَّت كلٍّ من الفريقـين . و أرى أنَّـه لا حاجـة إلى إعـادة تلك النُّصوص ، بل أكتفي بمدار الاستدلال لهم :

فأقول : أمَّا نفس الوجوب فقد اتَّفق العلماء عليه . فهذا الإمام أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي يقول في مؤلَّفه العظيم في إحيـاء علوم الدِّين : الباب الأول : في وجوب الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنـكر و فضيلتـه و المذمَّـة في إهماله و إضاعتـه ، و يدلُّ على ذلك بعـد إجماع الأمَّة عليه

---

(١) سورة يوسف ، الآية رقم ١٠٧

(٢) صحيح البخاري –كتاب العلم – باب ليبلِّغ الشَّاهد الغائب – ج١ – ص ٣١ عن أبي بكرة رضي الله عنه

(٣) لينظر أصول الدَّعوة لعبد الكريم زيدان – ص ٢٩٩ ، ٣٠٠

(٤) تفسير ابن كثير – ج٢– ص ٤٩٥ ، ٤٩٦

و إشارات العقول السَّليمة إليه الآيات و الأخبار و الآثار (١) ثُمَّ ساق الأدلَّة . ثُمَّ اختلفوا في وجوبه عيناً أو كفاية . فالجمهور يرون أنَّه واجب كفاية بمعنى لو قام به البعض سقط عن الآخرين ، و ذهب البعض إلى أنَّه واجب عيناً . قال الإمام فخرالدِّين الرَّازي : إنَّه واجب على الكفاية . و المستدلُّ قوله تعالى : (وَ لْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ..) فمن جعل " مِنْ " للبيان كما في قوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوْا الرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ) (٢) قال : إنَّ ذلك و إن كان واجباً على الكلِّ إلاَّ أنَّه متى قام به قوم سقط التَّكليف عن الباقين ، و نظيره قوله تعالى : (انْفِرُوْا خِفَافًا أَوْ ثِقَالاً..) (٣) فالأمر عام ثُمَّ إذا قامت به طائفة وقعت الكفاية و زال التَّكليف عن الباقين . و من جعلها للتَّبعيض فدليله ظاهر، لأنَّ فائدتها هي إخراج المعذورين من هذا الواجب من المرضى و الضُّعفاء و النِّساء ، و أنَّه لا يستطيع كلٌّ للدَّعوة إلاَّ من كان له بصيرة بما يدعو إليه ، لأنَّ الجاهل ربَّما عاد إلى الباطل و أمر المنكر و نهى عن المعروف ، و إذا كان كذلك كان المعنى ليقم بذلك بعضكم . فكان فى الحقيقة هذا إيجاباً على البعض لا على الكلِّ (٤) و يقول الإمام الغزالي : فقد ظهر بهذه الأدلَّة أنَّ الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر واجب و أنَّ فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به (٥) فقوله " قائم به " يدلُّ على أنَّه واجب على الكفاية عنده أيضاً : و قد ساق أدلَّة الفريقين الآلوسي البغدادي ثُمَّ قال : و منشأ الخلاف في ذلك أنَّ العلماء اتَّفقوا على أنَّ الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر من فروض الكفايات و لم يخالف في ذلك إلا النَّزر منهم الشَّيخ أبو جعفر من الإماميَّة ، و اختلفوا في أنَّ الواجب على الكفاية هل هو واجب على المكلَّفين و يسقط عنهم بفعل بعضهم أو هو واجب على البعض ثم رجَّح قول الإمام الرَّازي بأنَّه واجب على البعض و القول الأوَّل للجماهير (٦)

(١) إحياء علوم الدِّين – ج٢– ص ٣٣٣

(٢) سورة الحجِّ ، الآية رقم ٣٠

(٣) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٤١

(٤) التَّفسير الكبير– ج٤– ص ١٨١ ، ١٨٢

(٥) إحياء علوم الدين – ج٢– ص ٣٣٩

(٦) روح المعاني – ج٤– ص ٢١

و الَّذي يترجَّح لديَّ أنَّ الأمر ليس مطلقاً على محمل من محمليه . فلا نقول : إنَّه واجب على العين مطلقاً كما لا نقول إنَّه واجب على الكفاية مطلقاً . بل الصَّواب أنَّه واجب عيناً و كفايةً حسب المواقع و مجاله ، فللأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر مجالات و محامل و شعب و فروع كما للعلم فـروع و أقسام . و قد قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَـلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) (١) . و من العـلوم علم الحديث و التَّفسيـر و الفقـه و الحساب و الرِّياضي و الطِّبِّ و الكلام و النَّحـو و الصَّرف و الكتـابة و علوم أخـرى . فهل يجب على الرَّجل أن يعرف كلَّ هـذه العلوم في نفس الوقت ؟ و هل هو واجب على كلِّ فرد من المسلمين ؟ فما هو الواجب منها عيناً و آخر كفايـة ؟ و يشعر قوله عليه السَّلام : (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَـةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) بأنَّـه واجب عينـاً على كلِّ مسلم (رجلاً كان أو امرأة) و لنعم ما فعله الإمام الغـزالي رحمه الله حيث قسَّم العلوم إلى ما هو واجب عيناً و ما هو واجب كفاية و شرح و أجاد فجزاه الله خيراً (٢) . و على هذا فنمشي الطَّريق الوسط فى الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر جمعاً بين الآيـات و الأحـاديث . و قد عرفنا من قبل أدلَّة الوجـوب على الكفايــة و نتعـرَّض هنا عن الأحاديث و المعاني الَّتي ترشدنا إلى المنهج الصَّحيح ، فقوله عليه السَّلام : (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَ كُلُّكُمْ مَسْئُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِـهِ ...) (٣) يدلُّ على أنَّ كلاً من الرِّجال و النِّساء و الرَّعيَّة و الأمراء و السَّامع و القائل و الأئمَّة و المتبوعين مكلَّفـون و مسؤولون عمَّا هـم فيه ، و هذه المسؤوليَّة لا يخلو منه أيُّ مكلَّف بالغ. و ليس المراد بالرِّعاية الرِّعاية الدُّنيويَّة أو الاقتصاديَّة أو الحاجات البشريَّة فقط . بل هي عـام لكلِّ مصـالح الإنسان من الدِّينيَّـة و الدنيويَّـة . يقـول البدر العيني عند شرح هذا الحديث : الرَّاعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قـام عليه و ما هو تحت نظره فكلُّ من كان

(١) أخرجه ابن ماجه – باب فضل العلماء و الحثِّ على طلب العلم . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النَّووي : إنَّه ضعيف أي سنداً و إن كان صحيحاً أي معنى . و قال المزّي : هذا الحديث من طرق تبلغ درجة الحسن . انظر سنن ابن ماجه – ج١– ص٨١ مع تعليق محمَّد فؤاد عبد الباقي .

(٢) انظر للتَّفصيل إحياء علوم الدِّين – ج١– ص ٢٥ . ٣٥

(٣) متَّفق عليه : أخرجه البخاري – كتاب الجمعة – باب الجمعة في القرى و المدن – ج ١– ص١٦٠ . و مسلم– كتاب الإمارة – باب فضيلة الأمير العادل و عقوبة الجائر– ج ١٢– ص٢١٣ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

تحت نظره شيء فهو مطلوب بالعدل فيه و القيام بمصالحه في دينه و دنياه و متعلقاته ، فإن وفى ما عليه من الرِّعاية حصل له الحظُّ الأوفر و الجزاء الأكبر ، و إن كان غير ذلك طالَبَه كلُّ واحد من رعيَّته بحقِّه (١) و كذلك قوله عليه الصَّلاة و السَّلام : (الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ . قَالُوْا لِمَنْ ؟ قَالَ : للهِ وَ لِرَسُوْلِهِ وَ لأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ وَ عَامَّتِهِمْ) (٢) يدلُّ على الإرشاد العام و شمول الدَّعوة لكلِّ فرد من أفراد الإسلام . و قد قال تعالى : (وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَ عَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (٣)

فالاستثناء منوط بأربعة أشياء و أنَّ النَّجاة و الفوز بسعادة الدَّارين لا يحصل لأيِّ إنسان إلاَّ أن يجمع بين هذه الأوصاف الأربعة : الإيمان بالله ، و العمل الصالح ، و التَّواصي بالحقِّ و التَّواصي بالصَّبر . و الأمران الأخيران يشملان الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر . يقول فخر الدِّين الرَّازي : لَمَّا بيَّن الله تعالى في أهل الاستثناء أنَّهم بإيمانهم و عملهم الصَّالح خرجوا أن يكونوا في خسر و صاروا أرباب السَّعادة من حيث أنَّهم تمسَّكوا بما يؤدِّيهم إلى الفوز بالثَّواب و النَّجاة من العقاب ، وصفهم بعد ذلك بأنَّهم قد صاروا لشدَّة محبَّتهم للطَّاعات لايقتصرون على ما يخصُّهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضاً سبباً لطاعات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدِّين . و على هذا الوجه قال الله جلَّ سبحانه و تعالى : (قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيْكُمْ نَارًا) (٤) فالتَّواصي بالحقِّ يدخل فيه سائر الدِّين من علم و عمل . و التَّواصي بالصَّبر يدخل فيه حمل النَّفس على مشقَّة التَّكليف فى القيام بما يجب ... إلى أن قال : فدلَّ ذلك على أنَّ النَّجاة معلَّقة بمجموع هذه الأمور و إنَّه كما يلزم المكلَّف تحصيل ما يخصُّ نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور . منها : الدُّعاء إلى الدِّين و النَّصيحة و الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر و أن يحبَّ له ما يحبُّ لنفسه (٥) و قال عليه الصَّلاة و السَّلام : (مُرُوْا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَ هُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِيْنَ

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري – ج٦ – ص ١٨٩ ، ١٩٠

(٢) أخرجه مسلم –كتاب الإيمان – باب الدِّين النَّصيحة – ج٢– ص ٣٦ ٠ عن تميم الدَّاري رضي الله عنه

(٣) سورة العصر

(٤) سورة التَّحريم ، الآية رقم ٦

(٥) التَّفسير الكبير – ج٣٢ – ص ٨٩ ، ٩٠

وَ اضْرِبُوْهُـمْ عَلَيْهَا وَ هُمْ أَبْنَـاءُ عَشْرٍ ، وَ فَـرِّقُـوْا بَيْنَهُـمْ فِي الْمَضَـاجِعِ) (١) كما قـال تعـالى : (وَ أْمُـرْ أَهْلَكَ بِالصَّـلاَةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا) (٢) . هـذه الآيات و السِّياقـات تدلُّ على أنَّ المرء مكلَّف في كلِّ وقت بما يناسبـه حسب طاقتـه بالنُّصح و الأمر بالمعـروف و النَّهي عن المنكر في متعلِّقيهـم و من يعاشر معهـم من الأهل و الأولاد و الإخـوة و الأخـوات فهـذا ممَّا لا بدَّ منه . و قوله عليه السَّلام : (كلُّكم راع ...) أظهر من الشَّمس للدَّلالة على ما بيَّنته . هـذه ناحية . و من ناحية أخرى نقول :كلَّما اتَّسعت دائرة العلاقـة و الرَّبط اتَّسعت دائرة المسؤوليَّـة و عمَّت و هكذا من بيته إلى قريبه إلى إقليمه إلى بلاده و إلى العالم كلِّه . فالدَّعوة إلى الله فيما يقدر المرء عليه بالوسائل و العلم و القـدرة و الرِّعايـة و السُّهولة فى التَّبليـغ أمر واجب عيناً . و الدَّعوة إلى الله بالعموم لأصناف البشر بأقطار بعيدة السَّفر لمن غاب و من حضر أمر واجب كفائيٌّ : كما أنَّ على كلِّ مسلـم يجب عينـاً طلب العـلم ممَّا يمسُّ إليه الحـاجة حسب الضَّرورات و الحـالات و الأوقـات ممَّا يؤدِّي به مسؤوليَّتـه و يعـرف به حقــوق الله و حقـوق العبـاد ، و أن يكون من المسلمين علماء ربَّانيُّـون قائمون بالإفتاء و التَّدريس العـارفون بدقَّـة المسائل و أدلَّتها حاذقون فى العـلوم الدِّينيَّـة و ما في حكمهـا واجب وجوبـاً كفائيـاً (٣) و يستأنس لما قلته بكلمـات الشَّيخ عبـد العـزيز بن عبـد الله بن باز ، قـال رحمـه الله تعالى : و على كلِّ إنسان أن يقــوم بالدَّعـوة حسب طاقتـه و إمكانه ، أمَّا بالنَّظر إلى عموم البـلاد فالواجب أن يوجـد طائفـة منتصبة تقـوم بالدَّعوة إلى الله جلَّ و علا في أرجاء المعمورة تبلِّغ رسالات الله و تبيِّن أمر الله عزَّ و جلَّ بالطُّرق الممكنة ، فإنَّ الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم قد بعث الدَّعاة و أرسل الكتب إلى النَّاس و إلى الملوك و الرُّؤساء و دعاهم إلى الله عـزَّ و جـلَّ . و في وقتنا اليوم قد يسَّر الله عـزَّ و جلَّ أمر الدَّعــوة أكثر بطرق لم تحصل لمن قبلنا . فأمور الدَّعوة اليوم ميسَّرة أكثر من طرق كثيـرة و إقامة الحجَّـة على النَّاس اليوم ممكنة بطرق متنوعِّة عن طريق الإذاعة و عن طريق التلفزة و عن طريق الصَّحافة

---

(١) أخرجـه أبوداود . كتاب الصَّـلاة – باب متى يؤمر الصَّبيُّ بالصَّـلاة – ج١– ص١٣٣ . قـال النَّووي : رواه أبوداود بسند حسن . انظر رياض الصَّالحين – ص ١١٤ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه رضي الله عنه

(٢) سورة طه ، الآية رقم ١٣٢

(٣) و للاستفادة ينظر في إحياء علوم الدِّين للغزالي – ج١– ص ٢٥ ــ ٣٥

ـ من طرق شتَّى ـ و قال : و قد يكون ذلك فرض عين إذا كنت في مكان ليس فيه من يودِّي ذلك سواك ، كالأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر فإنَّه قد يكون فرض عين و يكون فرض كفاية ، فإذا كنت في مكان ليس فيه من يقوى على هذا الأمر و يبلِّغ أمر الله سواك فالواجب عليك أنت أن تقوم بذلك ، فأمَّا إذا وجد من يقوم بالدَّعوة و التبَّليغ و الأمر و النَّهي غيرك فإنَّه يكون حينئذ في حقِّك سنَّة ... فعند قلَّة الدُّعاة و عند كثرة المنكرات و عند غلبة الجهل كما كنَّا في اليوم تكون الدَّعوة فرض عين على كلِّ واحد بحسب طاقته ، و إذا كان في محلٍّ محدود كقرية و مدينة و نحو ذلك و وجد فيها من تولَّى هذا الأمر و قام به و بلَّغ أمر الله كفى و صار التَّبليغ في حقِّ غيره سنَّة . لأنَّه قد أقيمت الحجَّة على يد غيره و نفِّذ أمر الله على يد سواه . و لكن بالنِّسبة إلى بقيَّة أرض الله و إلى بقيَّة النَّاس يجب على العلماء حسب طاقتهم و على ولاة الأمر حسب طاقتهم أن يبلِّغوا أمر الله بكلِّ ما يستطيعون . و هذا فرض عين عليهم على حسب الطَّاقة و القدرة . و بهذا يعلم أن كونها فرض عين و كونها فرض كفاية أمر نسبيٌّ يختلف . فقد تكون الدَّعوة فرض عين بالنِّسبة إلى أقوام و أشخاص و سنَّة بالنِّسبة إلى أشخاص و إلى أقوام ، لأنَّه وجد في محلِّهم و في مكانهم من قام بالأمر و كفى منهم (١) و الله أعلم بالصَّواب .

و يؤيِّده أيضاً ما قاله الدُّكتور أحمد غلوش : فإنَّ الخطاب في الآية (وَ لْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ ...) موجَّه للأمَّة كلِّها ممَّا يجعلنا نشعر أنَّ واجب تبليغ الدَّعوة واجبان : و هو ما يكون دائماً في فرض الكفاية . يقول الإمام الشَّافعي رحمه الله : فرض الكفاية يكون واجباً على العموم و واجباً على الخصوص. فوجوبه على الخصوص يختصُّ بالقادرين الَّذين هيِّئوا لذلك العمل الخاص . و وجوبه على العموم إنَّما يكون بإعداد هؤلاء القادرين و تربيتهم و إعدادهم (٢)

---

(١) انظر : الدَّعوة إلى الله و أخلاق الدُّعاة – ص ١٨ ـ ٢١

(٢) انظر الدَّعوة الإسلامية أصولها و وسائلها – ص ٢٣٦

البــاب الأوَّل : في أهــمِّ صفــات الدَّاعيــــة و فيه أربعة فصول

الفصل الأوَّل : فى العقيدة الصَّحيحة

الفصل الثَّاني : فى الإخلاص و ثمراته و تصحيح النِّيَّة

الفصل الثَّالث : أسلوب الدَّعوة

الفصل الرَّابع : التَّضحية في سبيل الدَّعوة بتحمُّل المشاقِّ و الصَّبر عليها

الفصل الأوَّل : فى العقيدة

و فيه مبحثان :

المبحث الأول : فى العقيدة الصَّحيحة إجمالاً

المبحث الثَّاني : قــوَّة العقيــدة و الإيمــان

المبحث الأوَّل فى العقيـدة الصَّحيحة إجمالاً

العقيدة لغةً :

العقيـدة مأخوذة من العقـد و هو نقيض الحلِّ ، و هو يدلُّ على الشِّدَّة و الوثـوق . و منه عقد الشَّيء يعقده عقدًا و انعقد و تعقَّد . و المعاقد هي مواضع العقد . و العقـدة : القلادة و العِقد الخيط ينظم فيه الخرز و جمعه عقود . و يقال : اعتقـد الدُّرَّ و الخرز و غيره إذا اتخذ منه عقدًا . و عقدت الحبل أعقده عقدًا و قد انعقد . و معقد الحبل مثل مجلس . و هو موضع عقـدة يقال له : عقـدة و جمعها عُقَـدُ ، لأنَّها تمسكه و توثِّقـه و منه قوله تعالى : (وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّـاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) (١) أي السَّواحر اللاَّتي يعقدن الخيوط و ينفثن فيها (٢) .

هذا هو أصل العقـد و هو أنَّه نقيض الحلِّ و هو وصل الشَّيء بغيره كما تعقـد الحبل بالحبل ثُمَّ استعمل في جميع أنواع العقود فى المعاني و الأجسام (٣) .

ثمَّ أُطلق العقد على العهد و جمعه عقود. و هي أوكـد العهود قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَوْفُوْا بِالْعُقُوْدِ) (٤) .

كذلك استعمل العقـد فى البيع و النِّكاح و غيـره فيقال : عقـد البيع و عقد النِّكاح و عُقـدته : أي إبرامـه و إحكامـه و وجوبـه ، و منه اعتقـد الأمر أي صدَّقـه و اعتقـد الإخاء : ثبت . و اعتقدت كذا : عقدت عليه القلب و الضَّمير حتَّى قيل : العقيدة هي ما يدين الإنسان به (٥)

إذن فلفظ العقد أصل وضعـه : نقيض الحلِّ ، قـال في تاج العـروس عند لفظ عقـد :" و الَّذي صرَّح به أئمَّة الاشتقاق : أنَّ أصل العقـد نقيض الحلِّ ثـمَّ استعمل في أنـواع العقود من البيوعات و غيرها ، ثُمَّ استعمل فى التَّصميم و الاعتقاد الجازم (٦) .

---

(١) سورة الفلق ، الآية رقم ٤

(٢) انظر معجم مقاييس اللُّغة – ج٤– ص ٨٧ . و لسان العرب – ج٣– ص ٢٩٦ – ٣٠٠

(٣) البحر المحيط – ج٣– ص ٤٠٩

(٤) سورة المائدة ، الآية رقم ١

(٥) معجم مقاييس اللُّغة – ج٤– ص ٨٨ . و المصباح المنير – ص ٤٢١

(٦) تاج العروس من جواهر القاموس – ج ٨– ص ٣٩٤

العقيدة شرعاً :

قال الدُّكتور أحمد أحمد غلوش : العقيــدة : هي عقد القلب على علم بمعلوم عقـدًا قويًّـا مؤكَّدًا معتمداً على اليقين التَّام و التَّمكين الحقِّ (١)

و قال الدُّكتور محمَّد أحمد محمَّـد عبد القـادر خليــل ملكاوى : هي ما يدين بـه الإنسان ربَّــه و جمعها عقائد ، و العقيدة الإسلاميَّة مجموعـة الأمور الدينيَّة الَّتي يجب على المسلم أن يصـدِّق بها قلبـه و تطمئنَّ إليها نفسه و تكون يقيناً عنده لا يمازجـه شكٌّ و لا يخالطـه ريب . فإن كان فيها ريب أو شكٌّ كانت ظنًّا لا عقيـدةً . و دليل ذلك قولـه تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُوْا بِاللهِ وَ رَسُوْلِهِ ثُمَّ لَـمْ يَرْتَابُوْا) (٢) و قوله تعالى : (ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهِ) (٣) . فالعقيـدة إذًا ليست أمورًا عمليَّة إنَّما هي الأمور الدِّينيَّة العلميَّة الَّتي يجب على المسلم اعتقادها في قلبه لإخبار الله تعالى بها بكتابـه أو بسنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم. يقول صاحب لسان العرب : و العقيدة فى الدِّين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيـدة وجود الله و بعثة الرُّسل و جمعها عقائد (٤) .

و قال محمـود شيث خطَّاب : العقيـــدة هي مثـل عليـا يؤمـن بها الإنسان فيضحِّي من أجلهـا بالأمــوال و النَّفس لأنَّها عنــده أغلى من الأمــوال و النَّفس (٥) . و أساس العقيـدة هو الإيمان بوجود الله تعـالى : بل إنَّ ذلك هو أساس الدِّين كلِّه . لأنَّ الإيمان الحـقَّ بالله يدفع الإنسان إلى التَّصديق بكلِّ ما أخبـر به و تنفيــذ كلِّ ما أرشد إليه من أمر و نهي . و وجود الله تعالى حقيقة قرَّرها الحكماء فى القـديم و الحديث بأدلَّة الإمكان و الحدوث . و أكثر القرآن الكريم من الدَّليل عليها بطريقته ، بل إنَّ الفطرة الإنسانيَّة تستشعر ذلك و تتيقَّنه .

جاء في دائرة المعارف :" إنَّ اعتقـاد الأفـراد و النَّـوع الإنساني بأسره فى الخالق اعتقـاداً اضطراريًّا

---

(١) الدَّعوة الإسلاميَّة أصولها و وسائلها – ص ١٦

(٢) سورة الحجرات ، الآية رقم ١٥

(٣) سورة البقرة ، الآية رقم ٢

(٤) عقيـدة التَّوحيد في القرآن الكريم – ص٢٠ . قلت : و قد أحال إلى لسان العرب – ج ٣- ص٤١٣- دار صادر . و ليس هذه العبارة في لسان العرب حتماً و إنَّما هي فى المعجم الوسيط- ص ٦١٤- مطابع دار المعارف – ١٤٠٠ هـ

(٥) بين العقيدة و القيادة – ص ٣٣

قد نشأ قبل حدوث البراهين الدَّالة على وجوده ، و مهما صعد الإنسان بذاكرته في تاريخ طفولته فلايستطيع أن يحدِّد السَّاعة الَّتي حدثت فبها عقيدته بالخالق . تلك العقيدة الَّتي نشأت صامتة . و صار لها أكبر الآثار في حياته . فقد حدثت هذه العقيدة في أنفسنا ككلِّ المدركات الرَّئيسيَّة على غير علم منَّا (١) . قال الدُّكتور أحمد أحمد غلوش : إنَّ النَّاظر في تاريخ الرِّسالات يعلم أنَّ الأمم قد آمنت بوجود الله فطرة منها و ما كان ضلالهم جميعاً إلاَّ في اتِّخاذ معبودات مجسمَّة كالأحجار و البيوت و الكواكب (٢)

عقيدة المؤمن :

(يؤمن المؤمن بالله تعالى بمعنى أنَّه يصدِّق بوجود الرَّبِّ تعالى و أنَّه عزَّ و جلَّ فاطر السَّماوات و الأرض عالم الغيب و الشَّهادة ربُّ كلِّ شيءٍ و مليكه لا إله إلاَّ هو و لا ربَّ غيره و أنَّه جلَّ و علا موصوف بكلِّ كمال منزَّه عن كلِّ نقصان) (٣)

واحدٌ لا شريك له و لا شيء مثله و لا شيء يعجزه قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء لا يفني و لا يبيد و لا يكون إلاَّ ما يريد . لا تبلغه الأوهام و لا تدركه الأفهام و لا يشبهه الأنام ، حيٌّ لا يموت قيُّوم لا ينام خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة مميت بلا مخافة باعث بلا مشقَّة ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، و كما كان بصفاته أزليًّا كذلك لا يزال عليها أبديًّا ، له معنى الرُّبوبيَّة و لا مربوب و معنى الخالق و لا مخلوق و هو على كلِّ شيء قدير و كلُّ شيء إليه فقير و كلُّ أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيئ ليس كمثله شيء و هو السَّميع البصير . خلق الخلق بعلمه و قدَّر لهم أقدارًا و ضرب لهم آجالاً ، و لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم و علم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم و أمرهم بطاعته و نهاهم عن معصيته . و كلُّ شيء يجري بتقديره و مشيَّته ، و مشيئته تنفَّذ . لا مشيئة للعباد إلاَّ ما شاء لهم فما شاء لهم كان و ما لم يشأ لم يكن ، يهدي مَنْ يَّشاء و يعصم و يعافي فضلاً و يضلُّ من

(١) دائرة معارف وجدى - ج١- ص ٤٨٤

(٢) الدَّعوة الإسلاميَّة - ص ١٦

(٣) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري - ص ١٠

يشاء و يخذل و يبتلي عدلاً . و هو متعالٍ عن الأضـداد و الأنـداد لا رادَّ لقضائه و لا معقِّب لحكمـه و لا غـالب لأمره . و هو مستغنٍ عن العـرش و ما دونـه محيط بكلِّ شيء و فوقـه ، و قد أعجز عن الإحاطة خلقَه ، عليم سميع بصير ذو قـوَّةٍ ينفق سحَّـاء اللَّيل و النَّهـار و يداه مبسوطتان ، يفنى كلُّ شيء و يبقى وجه ربِّه ذو الجلال و الإكـرام و لا خالق إلاَّ هو .

(و يؤمن المسلم بألوهيَّـة الله تعـالى لجميـع الأوَّلـين و الآخرين لا إلـه غـيره في ألوهيَّتـه و لا في ربوبيَّته ، و له الأسماء الحسنى و الصِّفات العليا لا يتأوَّلها فيعطِّلها و لا يشبِّهها بصفات المحدثين فيكيِّفها أو يمثِّلها) (١) . قـال البيـهقيُّ : (و فى الجملة يجب أن يعـلم أنَّ استواء الله سبحانـه و تعالى ليس استواء اعتدال عن اعوجاج ، و لا استقرار في مكان و لا مماسَّة لشيء من خلقه ، لكنَّه مستو على عـرشه كما أخبـر بلا كيف بلا أين ، بائن من جميـع خلقـه ، و أنَّ إتيانه ليس بإتيان من مكان إلى مكان و أنَّ مجيئه ليس بحركـة و أنَّ نزوله ليس بنقلة و أنَّ نفسه ليس بجسم و أنَّ وجهه ليس بصـورة و أنَّ يده ليست بجارحـة و أنَّ عينه ليست بحـدقة و إنَّما هــذه أوصاف جـاء بها التَّـوقيف فقلنـا بها و نفينـا عنهـا التَّكييف فقد قـال : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) و قـال : (وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) و قال : (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)) (٢) .

(و يؤمن المسلم بملائكـة الله تعالى و أنَّهـم خلق من أشرف خلقه و عبـاد مكـرمون من عبـاده خلقهـم من نور كما خلق الإنسان من صلصـال كالفخَّـار ، و خلق الجـانَّ من مارج من نـار ، و أنَّه تعالى وكَّلهـم بوظائف فهم بها قائمون ، فمنهـم الحفظة على العبـاد و الكاتبون لأعمالهم ، و منهـم موكَّلون بالجنَّـة و نعيمها ، و منهم الموكَّلون بالنَّـار و عـذابها ، و منهم المسبِّحون اللَّيلَ و النَّهارَ) (٣)

(و من ساداتهم جبـريل عليه السَّلام الأمين حسن الخلق الرَّسول الكريم ذو القـوَّة عند ذى العرش مكين ، و من ساداتهم إسرافيـل عليه السَّلام و صاحب الصُّور أي الَّذي ينفخ فى الصُّور ، و من

(١) منهاج المسلم – ص ١٤ ، ١٨ ، ٢٠

(٢) الاعتقاد على مذهب السَّلف : أهل السُّنَّة و الجماعة – ص ٤٤

(٣) منهاج المسلم – ص ٢٣ . و انظر معارج القبول – ص ٥٤ ـ ٦٣

ساداتهم ملك الموت سمِّي في بعض الآثار بعزرائيل) (١)

(و من الملائكة الَّذين يتعاقبون إلى البيت المعمور ، و منهم موكَّلون بالجنان و إعـداد الكرامات لأهلها و تهيئة الضِّيـافة لساكنيها من ملابس و مآكل و مشارب و مصـاغ و مسـاكن ، و منهم موكَّلون بحفظ بني آدم) (٢)

(و يؤمن المسلم بجميع ما أنزل الله تعـالى من كتـاب و ما آتى بعض رسله من صحف ، و أنَّها كلام الله أوحـاه إلى رسله ليبلِّغوا عنه شرعه و دينه ، و أنَّ أعظم هذه الكتب الأربعـة : " القرآن الكـريم " المنـزَّل على نبيِّنـا محمَّـد صلَّى الله عليه و سلَّم و " التَّوراة " المنزَّلـة على نبيِّ الله موسى عليه السَّلام و " الزَّبـور" المنزَّل على نبيِّ الله داود عليه السَّلام و " الإنجيـل" المنـزَّل على عبد الله و رسوله عيسى عليه السَّلام ، و أنَّ القرآن الكريم أعظم هـذا الكتب و المهيمن عليها و النَّاسخ لجميع شرائعها و أحكامها ، و أنَّه الكتاب الشَّامل لأعظم تشريـع ربَّانيٍّ ، تكفَّل مُنزلـه لمن أخذ به أن يسعـد في الحيـاتين و توعَّـد من أعـرض عنه فلم يأخذ به بالشَّقـاوة في الدَّارين ، و أنَّه الكتاب الوحيد الَّذي ضمن الله سلامتَه من النَّقص و الزِّيـادة و من التَّبـديل و التَّغيـير و بقـاءَه حتَّى يرفعه إليه عند آخر أجل هـذه الحياة) (٣) . و أنَّه كلام الله منـه بدا بلا كيفيَّـة قولاً و أنزله على رسوله وحياً و صدَّقـه المؤمنـون على ذلك حقًّـا و أيقنوا أنَّه كلام الله تعالى بالحقيقة . ليس بمخلوق ككلام البـرِيَّة ، فمن سمعه فزعم أنَّه كلام البشر فقد كفر و قد ذمَّـه الله و عابه و أوعده السَّقر .

(و يؤمن بأنَّ الله تعالى قد اصطفى من النَّاس رسلاً و أوحى إليهم بشرعه و عهد إليهم بإبلاغه لقطع حجَّـة النَّاس عليه يوم القيامة و أيَّدهم بالمعجزات و أرسلهم بالبيِّنات حتَّى ختمهم بمحمَّد صلَّى الله عليه و سلَّم . فضَّله الله على سائر الأنبياء كما فضَّل أمَّته على سائر الأمم ، فرض محبَّته و أوجب طاعتـه و ألزم متابعتـه و خصَّ بخصائص لم تكن لأحـد سواه منها : الوسيلة و الكوثر

(١) البداية و النِّهاية – باب ذكر خلق الملائكة و صفاتهم – ج١– ص ٣٥

(٢) عقيدة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب – ص ٢٤٨ ، ٢٤٩

(٣) منهاج المسلم – ص ٢٦ ، ٢٨

و الحوض و المقام المحمود) (١)

(و يؤمن المسلم بأنَّ لهذه الحياة الدُّنيا ساعة أخيرة تنتهي فيها و يوماً آخر ليس بعده من يوم . ثمَّ تأتي الحياة الثَّانية فى الدَّار الآخرة فيبعث الله سبحانه الخلائق بعثاً و يحشرهم إليه جميعاً ليحاسبهم فيجزي الأبرار بالنَّعيم المقيم فى الجنَّة و يجزي الفجَّار بالعذاب المهين فى النَّار ، و أنَّ عذاب القبر و نعيمه و سؤال الملكين فيه حقٌّ و صدق . و يؤمن بقضاء الله و قدره و حكمته و مشيئته ، و أنَّه لا يقع شيئ فى الوجود حتَّى أفعال العباد الاختياريَّة إلاَّ بعد علم الله به و تقديره) (٢)

(و أنَّ الخير و الشَّرَّ كلَّه بقضائه و قدره و أنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، و أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه) (٣)

(و أنَّ المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشَّمس صحواً ليس دونها سحاب ، و كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامُّون في رؤيته يرونه سبحانه و هم في عرصات القيامة ، ثمَّ يرونه بعد دخول الجنَّة كما يشاء الله سبحانه و تعالى) (٤)

(و أنَّ الله يقدر أن يصلح الكافرين و يلطف بهم حتَّى يكونوا مؤمنين ، و لكنَّه أراد أن يكونوا كافرين كما علم و خذلهم و طبع على قلوبهم) (٥)

و المعراج حقٌّ و الحوض حقٌّ و الشَّفاعة الَّتي ادَّخرها لهم حقٌّ ، و الأعمال بالخواتيم ، و السَّعيد من سعد بقضاء الله و الشَّقيُّ من شقي بقضاء الله ، و اللَّوح و القلم و العرش و الكرسيُّ كلٌّ منها حقٌّ ، و الجنَّة حقٌّ و النَّار حقٌّ و الصِّراط حقٌّ ، و أنَّ المؤمن لا يكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كالزِّنا و السَّرقة و شرب الخمر ما لم يستحلَّه ، و يضرُّ مع الإيمان ذنب لمن عمله ، و أنَّ الميزان حقٌّ و البعث بعد الموت حقٌّ و أنَّ الله عزَّ و جلَّ يوقف العباد فى الموقف

(١) منهاج المسلم – ص ٣١ ، ٣٣

(٢) نفس المصدر – ص ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٦

(٣) الإبانة عن أصول الدِّيانة – ص ٢٧

(٤) فتاوى ابن تيميَّة – ج٣– ص ١٤٤

(٥)) الإبانة عن أصول الدِّيانة – ص ٢٧

و يحاسب المؤمنين ، و أنَّ المحسنين من المؤمنين يعفو الله عنهم رجاءً منه و يدخلهم الجنَّة برحمته و لا نأمن عليهم ، و لا نشهد لهم بالجنَّة و نستغفر الله لمسيئهم و نخاف عليهم و لا نقنِّطهم ، و أنَّ أهل الكبائر من أمَّة محمَّد صلَّى الله عليه و سلَّم فى النَّار لا يُخلدون إذا ماتوا و هم موحِّدون و إن لم يكونوا تائبين بعد أن لقو الله عارفين ، و هم في مشيته و حكمه إن شاء غفر لهم و عفا عنهم بفضله ، و إن شاء عذَّبهم فى النَّار بعدله ثمَّ يخرجم منها برحمته و شفاعة الشَّافعين من أهل طاعته ، و إنَّ المؤمن يتَّبع السُّنَّة و الجماعة و يجتنب الشُّذوذ و المخالفات و الفرقة ، و يحبُّ أهل العدل و الأمانة كما أنَّه يبغض أهل الفجور و الخيانة ، و يرى المسح على الخفَّين . و أنَّ الحجَّ و الجهاد ماضيين مع أولى الأمر من المسلمين برِّهم و فاجرهم إلى قيام السَّاعة ، و الجنَّة و النَّار مخلوقتان لا تفنيان أبداً و لا تبيدان ، و أفعال العباد هي خلق الله و كسب من العباد ، و الله تعالى يستجيب الدَّعوات و يقضى الحاجات ، و يملك كلَّ شيئ و لا يملكه شيئ و لا غنى عن الله تعالى طرفة عين ، و من استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر و صار من أهل الحَين . و الله يغضب و يرضى لا كأحد من الورى ، و أنَّ أفضل البشر بعد الأنبياء سيِّدنا أبو بكر الصِّدِّيق ثمَّ عمر بن الخطَّاب ثمَّ عثمان بن عفَّان ثمَّ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنهم و رضوا عنه ، و من أحسن القولَ في أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم و أزواجه الطَّاهرات من كلِّ دنس و ذرِّيَّاته المقدَّسين من كلِّ رجس فقد برئ من النِّفاق، و علماء السَّلف من السَّابقين و من بعدهم من التَّابعين لا يُذكرون إلاَّ بالجميل ، و من ذكرهم بسوء فهو على غير سبيل ، و لا فضل لأيِّ و ليٍّ من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السَّلام ، و نبيٌّ واحد أفضل من جميع الأولياء .

(و من أصول أهل السُّنَّة التَّصديق بكرامات الأولياء و ما يُجرى الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم و المكاشفات و أنواع القدرة و التَّأثيرات و المأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف و غيرها و عن صدر هذه الأمَّة من الصَّحابة و التَّابعين و سائر فرق الأمَّة و هي موجودة فيها إلى يوم القيامة) (١) .

(١) العقيدة الواسطيَّة مع شرحها – ص ١٧٦ ، ١٧٧

و أشراط السَّاعـة حقٌّ من خروج الدَّجّال و نزول عيسى ابن مريم عليهما السَّلام من السَّماء ، و طلـوع الشَّمس من مغـربها و خـروج دابَّـة الأرض من موضعهـا . و لا يصـدِّق المؤمن كاهناً و لا عرَّافاً ، و لا من يدَّعي شيئاً يخالف الكتاب و السُّنَّة و إجماع الأمَّة ، و دين الله فى الأرض و السَّماء واحد و هو دين الإسلام (١)

قلت : العقيــدة هي الإيمان بكلِّ ما جـاء عن الله و عن رسولـه خـير البشر من يأتي و من غبر حسب ما يقتضيه القرآن و الخبـر و ما نقل عن السَّلف من الأثر لا شطط و لا وقص بلا تمثيل و لا تشبيـه و لا تعطيـل و لا تكييـف ، أعـلاها شهـادة أن لاَّ إله إلا الله و أنَّ محمَّـداً عبـده و رسوله ، و أدنـاها إمـاطة الأذى عن الطِّـريق و ما ضاهـاها من العمل الشَّريف راسخـة فى القـلوب عاليـة من الشُّكوك لا تتـزلزل بالتَّشكيك و لا تضعف بالتَّعـويق قـوَّة تُكسب الإنسان الصِّفـات العليـا و تقيـه من الدَّنـاءات السُّفـلى ، إذا نطق نطـق بمشاعـرها ، و إذا عمل عمل بمقتضاها موهبـة فطريَّـة لا ينكرها العـاقلون ، تصبـغ بدين إلهيٍّ لا يغفـل عنهـا إلاَّ الغـافلون ، و لا حول و لا قوَّة إلاَّ بالله ، و صلَّى الله على محمَّد و آله و صحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

---

(١) الَّذي ما أحلته إلى أيِّ مصدر و هو غير ما بين القوسين كلُّه من العقيدة الطَّحاويَّة مع شرحها بشيءٍ من التَّصرُّف . و ليعلم أنَّ المسائل العقـديَّة كلَّها مأخوذة من القـرآن و الأحـاديث الصَّحيحة و ما اعتقده السَّلف الصَّالح من الصَّحابـة و التَّـابعين و تبعهم ، و هي من المسلَّمات عند أهل السُّنَّة و الجماعة . لذلك ما رأيت بحاجـة إلى ذكر النُّصوص القرآنيَّـة أو الحديثيَّة ، بل اكتفيت بما قاله علماؤنا أو نقل عنهم فى العصر القديم أو الحديث .

المبحث الثَّاني : قـوَّة العقيـدة و الإيمـان

و يحتوي على أربع فقـرات :

أ . تمهيـد

ب . المؤمن الصَّادق في ضوء الكتاب و السُّنَّة

ج . روائع من إيمان الصَّحابة

د . تنقيح أقوال السَّلف في جزئيَّة الأعمال من الإيمان

تمهيــد

ليس طريق الدَّعوة ممهَّداً معبَّداً و لا مفروشاً بالتَّنافس و لا مكتنفاً بالورود و الرَّياحين ، إنَّه على العكس طريق وعر مملوء بالعقبات و الأشواك ، محفوف بالمكاره و المشقَّات ، و ذلك أنَّه طريق الجنَّة و قد حفَّت بالمكاره . (حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَ حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) (١)

و الجنَّة سلعة غالية ثمنها النَّفس و النَّفيس (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) (٢) (أَلاَ إِنَّ سِلْعَـةَ اللهِ غَالِيَـةٌ ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَـةَ اللهِ الْجَنَّـةُ) (٣) و من ثمَّ فإنَّ السَّائر في هـذه الطَّريق يحتاج إلى الشَّيئ الكثير من الزَّاد و العـدَّة و السِّلاح ، و إنَّ أوَّل ما يحتاج إليه و أعظمه هو الإيمان ، فهو أفضل زاد و خير عـدَّة و أمضى سلاح ، و لا نعني بالإيمان إيمان الكثير من النَّاس اليوم الَّذي يعصم الدَّم و المال و يدرج المسلمين في قائمة المسلمين ، و لا ضير عليه بعد ذلك و لا حرج مهما فعل من الأفاعيل و ارتكب من المنكرات ، و ترك فرائض الله و جانب أخلاق الإسلام و آدابه ، و خالف نظمه و تعاليمه فأساء إلى سمعته و صدَّ عن سبيل الله ، إنَّه إيمان ضعيف مشلول ، و هو و إن أنجى صاحبه من التَّخليد في النَّار و عصم ماله و دمه ، فإنَّه في مجال الدَّعوة لا يبدئ و لا يعيد ، و لا يسمن و لا يغني من جوع ، إنَّ الإيمان الَّذي يحتاج إليه الدَّاعية . السَّائر في طريق الدَّعوة طريق الأنبياء و المرسلين . هو الإيمان الحقُّ : الإيمان الَّذي يصاحب صاحبه في جميع أحواله و أزمانه و هيئاته و أوضاعه ، و يلازمه في يقظته و منامه ، في راحته و عمله ، في إصباحه و إمسائه ، في خلوته و جلوته ، في فرحه و ترحه ، في آلامه و عافيته ، فهو مستكنٌّ في حنايا ضلوعه و مستقرٌّ في أعماق ذاته ، يلازمه ملازمة الظِّلِّ ، و يجري معه مجرى الدَّم ، ثابت مع خلجات نفسه و نبض عروقه ، و تردُّد أنفاسه . قد امتزج بلحمه و دمه ، و خالط بشاشة قلبه ، فأورثه حلاوة الإيمان و حلَّى عنده مرارة الصِّعاب . إنَّ هذا الإيمان هو الَّذي يصنع الرِّجال ، و يكوِّن الأبطال ، و يبعث الحرارة

---

(١) رواه مسلم – كتاب الجنَّة – ج١٧– ص ١٢٥ عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(٢) سورة التَّوبة ، الآية رقم ١١١

(٣) رواه التِّرمذي في كتاب القيامة عن أبي هريرة رضي الله عنه و قال : حديث حسن غريب

و الحماسة فى القلوب ، و يأتي بالخوارق و المعجزات . إنَّه الإيمان الَّذي جعل سيِّد المرسلين يرسلها قوَّة مدويَّة : (يا عمِّ ! لو وضعوا الشَّمس في يميني و القمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتَّى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركته) (١) . الإيمان الَّذي جعل أبا الأنبياء إبراهيم الخليل يصبر على الإلقاء فى النَّار ، فتكون العاقبة (قُلْنَا : يَا نَارُ كُوْنِيْ بَرْداً وَّ سَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيْمَ) (٢) الإيمان الَّذي جعل إسماعيل يصبر على الذَّبح امتثالاً لأمر الله فيكون الجزاء (وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَّا إِبْرَاهِيْمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِيْنُ * وَ فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ * وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلآخِرِيْنَ * سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيْمَ) (٣) . الإيمان الَّذي جعل يوسف الصِّدِّيق يفضِّل السِّجن على المتعة و الجمال و الفراش الوثير ، فكانت نهاية المطاف (وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوْسُفَ فِي ٱلأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ، نُصِيْبُ مِنْ رَّحْمَتِنَا مَنْ نَّشَاءُ ، وَ لاَ نُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِيْنَ) (٤) . الإيمان الَّذي جعل سحرة فرعون يهزَّؤون من وعيد طاغية مصر لهم بتقطيع أيديهم و أرجلهم من خلاف ، ثمَّ تصليبهم في جذوع النَّخل ، فكان جوابهم في غاية العزِّ و الطُّمانينة (قَالُوْا : لَنْ نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الَّذِيْ فَطَرَنَا ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ، إِنَّمَا تَقْضِيْ هَـذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ، وَ اللهُ خَيْرٌ وَّ أَبْقَى) (٥) . الإيمان الَّذي جعل فتية الكهف يتمرَّدون على عبادة الطَّاغوت و يفضِّلون الفرار بدينهم و الانزواء به في كهف خشن يستروحون فيه رحمة الرَّحمان : (هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً ، لَوْ لاَ يَأْتُوْنَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً * وَ إِذِ اعْتَزَلْتُمُوْهُمْ وَ مَا يَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ فَأْوُوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ رَّحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقاً) (٦)

---

(١) سيرة ابن هشام (القسم الأوَّل) ص ٢٦٦
(٢) سورة الأنبياء ، الآية رقم ٦٩
(٣) سورة الصَّافَّات ، الآية رقم ١٠٤ـ ١٠٩
(٤) سورة يوسف ، الآية رقم ٥٦
(٥) سورة طه ، الآية رقم ٧٢ ، ٧٣
(٦) سورة الكهف ، الآية رقم ١٥ ، ١٦

الإيمان الَّذي جعل صبيًّا صغير السِّنِّ كبير الإيمان يقوم بعمل فدائيٍّ و يقدِّم نفسه ضحيَّة الإيمان إلى الشَّعب و قدوة له ، فتكون قصَّة أصحاب الأخدود (١) . إنَّ هذا الإيمان هو الَّذي جعل من أمَّة أمِّيَّة متناحرة متنافرة لا يحسب لها العالم أيَّ حساب أمَّة أضاءت الدُّنيا كلَّها بالعلم و المعرفة ، و أسَّست أسمى و أرقى حضارة في التَّاريخ و صنع منها أبطالاً أوغلوا شرقاً و غرباً و شمالاً و جنوباً و ملؤوها عدلاً و خيراً و نوراً . و إنَّ هذا الإيمان له ملامح واضحة ، و علامات متميِّزة و آثار ملموسة ذكرتها آيات الكتاب العظيم ، و أو ضحتها أحاديث الرَّسول الكريم عليه الصَّلاة و التَّسليم ، و جلَّتها حياة الصَّحابة و مواقفهم تجلية عمليَّة صادقة رائعة . و سوف أذكرها بإذن الله تعالى و توفيقه لمن كان له قلب أو ألقى السَّمع و هو شهيد .

(١) القصَّة بتفصيلها في صحيح مسلم - ج١٨ - ص ١٣٠ و ما بعدها .

المـؤمن الصَّـادق في ضـوء الكتاب و السُّنَّة

إنَّ المؤمن الحقَّ مَن إذا ذكر الله وجل قلبه و خشعت نفسه و فاضت عيناه ، من إذا سمع القرآن ثلج صـدره و زاد إيمانه و عـلا يقينـه ، من توكَّل على ربِّـه في نيل غايتـه بعد أن بذل جهـده في سبيل غايتــه ، من يقيـم الصَّـلاة في أدب و خشوع و خضـوع و تذلُّل ، من يبـذل مـاله لليتيم و المسكـين و في سبيل الله و ابن السَّبيل قــال الله سبحانه و تعـالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُـمْ ، وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُـهُ زَادَتْهُـمْ إِيْمَاناً وَّ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُـوْنَ * الَّذِيْنَ يُقِيْـمُوْنَ الصَّـلاَةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ يُنْفِقُـوْنَ * أُوْلَئِكَ هُـمُ الْمُـؤْمِنُوْنَ حَقًّـا ، لَهُمْ دَرَجَـاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِـرَةٌ وَّ رِزْقٌ كَرِيْمٌ) (١) . المؤمن صدقاً من آمن بكلِّ ما جـاء بـه القـرآن إيماناً لا يزلزله شكٌّ و لا ارتياب ، و جاهد بنفسه و نفيسه في سبيل نصرة الدِّين و إقامة الحقِّ المبين . قال الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُـؤْمِنُـوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُـوْا بِاللهِ وَ رَسُوْلِهِ ثُـمَّ لَمْ يَرْتَـابُوْا وَ جَاهَـدُوْا بِأَمْـوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِـمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ، أُوْلَئِكَ هُـمُ الصَّـادِقُوْنَ) (٢) . المؤمـن حقًّـا من يتَّخـذ المؤمنـين أوليـاءه و أنصـاره و أحبابـه و أصفيـاءه ، يفـرح بفـرحهم و يألم لألمهم ، و لا يـوالي من كان على الإسلام حـرباً و للمسلمين عـــدوًّا . قال الله تعالى : (وَ الْمُؤْمِنُـوْنَ وَ الْمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) (٣) . و قـال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (مَثَلُ الْمُـؤْمِنِيْنَ فِيْ تَـوَادِّهِـمْ وَ تَـرَاحُمِهِمْ وَ تَعَـاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِــدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْـهُ عَضْـوٌ تَـدَاعَى لَهُ سَائِـرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَ السَّهْرِ) (٤) و قال الله تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ) (٥) و قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُـهُ بَعْضاً ، وَ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِـهِ) (٦) . و قال عليه الصَّلاة و السَّلام

---

(١) سورة الأنفال ، الآية رقم ٢ ـ ٤

(٢) سورة الحجرات ، الآية رقم ١٥

(٣) سورة التَّوبة ، من الآية رقم ٧١

(٤)صحيح البخاري–كتاب الأدب–ج٤–ص ٥٣ .صحيح مسلم–كتاب البرِّ –ج١٨–ص ١٤٠عن النُّعمان بن بشير

(٥) سورة الحجرات ، من الآية رقم ١٠

(٦) صحيح البخاري–كتاب الأدب– ج٤– ص ٥٥ . صحيح مسلم–كتاب البرِّ – ج ١٨– ص ١٣٩ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

: (إِنَّ الْمُـؤْمِنَ مِنْ أَهْـلِ ٱلإِيْمَانِ بِمَنْزِلَـةِ الـرَّأْسِ مِـنَ الْجَسَدِ ، يَـأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لأَهْلِ ٱلإِيْمَانِ كَمَـا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ) (١) . و قال عليه السَّلام : (الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ، وَ الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْـهِ ضَيْعَتَـهُ وَ يَحُوطُـهُ مِنْ وَّرَائِـهِ) (٢) . و قـال الله تعـالى : (لاَ تَجِـدُ قَوْماً يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَ الْيَـوْمِ ٱلآخِـرِ يُـوَادُّوْنَ مَنْ حَـادَّ اللهَ وَ رَسُوْلَـهُ وَ لَوْ كَانُـوْا آبَـاءَهُـمْ أَوْ أَبْنَـاءَهُـمْ أَوْ إِخْـوَانَهُـمْ أَوْ عَشِيْرَتَهُـمْ ، أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِيْ قُـلُوْبِهِـمُ ٱلإِيْمَانَ وَ أَيَّدَهُـمْ بِـرُوْحٍ مِّنْهُ) (٣) . المؤمن حقًّا من يمقت الذِّلَّة و المهانة و يأبى إلاَّ العزَّة و الكرامة ، قال تعالى : (وَ للهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُوْلِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ) (٤) و قال تعالى: (وَ لاَ تَهِنُوْا وَ لاَ تَحْزَنُوْا وَ أَنْتُمُ ٱلأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ) (٥) . المؤمن حقًّا يعرض عن اللَّغو و الباطل ، و يرعى العهود و الأمانات ، و يحفظ فرجه عن المحـرَّمات ، و يحافظ على الصَّلوات . قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنـُوْنَ * الَّذِيْنَ هُـمْ فِيْ صَلاَتِهِمْ خَاشِعُوْنَ * وَ الَّذِيْنَ هُـمْ عَنِ اللَّغْـوِ مُعْرِضُوْنَ * وَ الَّذِيْنَ هُـمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُوْنَ * وَ الَّذِيْنَ هُمْ لِفُـرُوْجِهِمْ حَافِظُـوْنَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُوْمِيْنَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُوْنَ * وَ الَّذِيْنَ هُـمْ لأَمَانَاتِهِـمْ وَ عَهْـدِهِمْ رَاعُـوْنَ * وَ الَّذِيْنَ هُـمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُوْنَ) (٦) . المؤمن المخلص من يلتزم الصِّـدق و لا ينكر الحقَّ قـال تعالى : (وَ لاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَّكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِيْ أَرْحَامِهِنَّ ، إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَ الْيَـوْمِ ٱلآخِرِ) (٧) . المؤمن حقًّا من رضي بحكم الله و قضائه و حكم رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم في كلِّ شجـاره و خلافـه ، و جعل هـواه تبعاً لِمَا جاء به رسول الله ، و استجاب لحكم الله و شرعه ، و سارع إلى اتِّبـاع أمره ، قال تعالى : (فَلاَ وَ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ حَتَّى يُحَكِّمُوْكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوْا فِيْ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده – ج٥– ص ٣٤٠ عن سهل بن سعد السَّاعدي رضي الله عنه

(٢) رواه أبوداود في سننه –كتاب الأدب – باب فى النَّصيحة – ج٤– ص ٢٨٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) سورة المجادلة ، من الآية رقم ٢٢

(٤) سورة المنافقون ، من الآية رقم ٨

(٥) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٣٩

(٦) سورة المؤمنون ، الآية رقم ١ ــ ٩

(٧) سورة البقرة ، من الآية رقم ٢٢٨

تَسْلِيْماً) (١) . و قال سبحانه و تعالى : (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِيْنَ إِذَا دُعُوْا إِلَى اللهِ وَ رَسُوْلِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُوْلُوْا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ) (٢) . و قال صلَّى الله عليه وسلَّم : (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُوْنَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ) (٣) . المؤمن الحقُّ من خالط الإيمان شغاف قلبه و بلغ ذروة اليقين ، فكأنَّ حقائق الغيب بالنِّسبة له رأي العين . (عن الحارث بن مالك الأنصاريِّ أنَّه مرَّ بِرَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا . قَالَ : انْظُرْ مَا تَقُوْلُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيْقَةً فَمَا حَقِيْقَةُ إِيْمَانِكَ ؟ فَقَالَ : عَزَفْتُ نَفْسِيْ مِنَ الدُّنْيَا. فَأَسْهَرْتُ لَيْلِيْ وَ أَظْمَأْتُ نَهَارِيْ وَ كَأَنِّيْ أَنْظُرُ عَرْشَ رَبِّيْ بَارِزًا ، وَ كَأَنِّيْ أَنَظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَدُوْنَ فِيْهَا . وَ كَأَنِّيْ أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيْهَا . فَقَالَ : يَا حَارِثُ ! عَرَفْتَ فَالْزَمْ) (٤) . المؤمن الصَّادق يجد للإيمان حلاوةً دونها كلُّ لذَّةٍ و سعادة . قال عليه السَّلام : (ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الْإِيْمَانِ : أَنْ يَكُوْنَ اللهُ وَ رَسُوْلُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَ أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ تَعَالَى وَ أَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُوْدَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) (٥) . المؤمن الصَّادق لا سلطان للشَّيطان على نفسه . قال سبحانه و تعالى : (إِنَهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ) (٦) . إنَّما السُّلطان عليه للقرآن ، فإذا دعاه لبَّى و خضع و استكان لأمره و سجد لربِّه و سبَّح بحمده . قال الله تعالى : (إِنَّمَا يُؤْمِنُ

(١) سورة النِّساء ، الآية رقم ٦٥

(٢) سورة النِّساء ، الآية رقم ٥١

(٣) أخرجه البغوي في شرح السُّنَّة –كتاب الإيمان– باب ردِّ البدع و الأهواء – حديث رقم– ١٠٤– ج١– ص٢١٣ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه . قال النَّووي : حديث حسن صحيح ، رويناه في كتاب الجمعة بإسناد صحيح . انظر شرح الأربعين حديثاً النَّوويَّة – الحديث الحادي و الأربعون – ص ١٠٧

(٤) أخرجه الطَّبراني في معجمه الكبير عن الحارث بن مالك الأنصاري – حديث رقم – ٣٣٦٧– رقم التَّرجمة–٢٨٢– ج٣– ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ . قال الهيثمي : فيه ابن لهيعة و فيه من يحتاج إلى الكشف عنه . و أخرجه البزَّار في مسنده عن أنس رضي الله عنه – حديث رقم– ٦٩٤٨–ج١٣– ص ٣٣٣ . قال الهيثمي : فيه يوسف بن عطيَّة ، لا يحتجُّ به . انظر مجمع الزَّوائد–١–كتاب الإيمان– ٢٧–باب في حقيقة الإيمان وكماله–حديث رقم– ١٨٩ ، ١٩٠–ج١– ص٧٩ ، ٨٠

(٥) رواه البخاريُّ –كتاب الإيمان– ج ١ – ص ١٣ . و مسلم –كتاب الإيمان – ج٢– ص ١٣ عن أنس رضي الله عنه

(٦) سورة النَّحل ، الآية رقم ٩٩

بِآيَاتِنَا الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِّرُوْا بِهَا خَرُّوْا سُجَّدًا وَّ سَبَّحُوْا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُوْنَ * تَتَجَافَى جُنُوْبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَّ طَمَعًا وَّ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ) (١) . المؤمن الصَّادق راضٍ بقضاء الله و قدره ، إن أصابته سرَّاء شكر و إن أصابته ضرَّاء صبر . قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : (عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَه كُلَّهُ خَيْرٌ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَّهُ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَّهُ) (٢) . و المؤمن مأمون الشرِّ ، مأمول الخير ، يعطي لله و يمنع له تعالى و يحبُّ لله تعالى فيبغض له ، و لا يشبع و جاره جائع . قال عليه الصَّلاة و السَّلام : (وَ اللهِ لاَ يُؤْمِنُ وَ اللهِ لاَ يُؤْمِنُ وَ اللهِ لاَ يُؤْمِنُ . قَالُوْا : مَنْ ذَلِكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ ؟! قَالَ : مَنْ لاَّ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) (٣) و قال صلَّى الله عليه و سلَّم : (مَنْ أَعْطَى للهِ وَ مَنَعَ للهِ ، وَ أَحَبَّ للهِ وَ أَبْغَضَ للهِ وَ أَنْكَحَ للهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيْمَانَهُ) (٤) . و قال صلَّى الله عليه و سلَّم : (لاَ يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيْحِ الْإِيْمَانِ حَتَّى يُحِبَّ للهِ تَعَالَى وَ يُبْغِضَ للهِ ، فَإِذَا أَحَبَّ للهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى وَ أَبْغَضَ للهِ فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْوَلاَءَ مِنَ اللهِ) (٥) . قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِيْ يَشْبَعُ وَ جَارُهُ جَائِعٌ) (٦)

(١) سورة السَّجدة ، الآية رقم ١٥ ، ١٦

(٢) رواه مسلم - كتاب الزُّهد - ج ١٨ - ص ١٢٥ عن صهيب رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاريُّ - كتاب الأدب - ج ٤ - ص ٥٣ عن أبي شريح أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه التِّرمذيُّ في كتاب صفة القيامة - ج ٤ - ص ٦٧٠ عن معاذ بن أنس الجهني أنس رضي الله عنه و قال : حديث حسن .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده - ج٣ - ص ٤٣٠ عن عمرو بن جموح رضي الله تعالى عنه . و نقل عنه صاحب جامع العلوم و الحكم - ج١ - ص ٧٥ . و في سنده رشدين بن سعد و هو ضعيف و فيه انقطاع لأنَّ أبا منصور مولى الأنصار لم يلق عمرو بن الجموح و هو الرَّاوي عنه . انظر الموسوعة الحديثيَّة - مسند الإمام أحمد ابن حنبل برقم- ١٥٥٤٩ - هامش رقم (١) ج٢٤ - ص ٣١٧

(٦) أخرجه الحاكم فى المستدرك - ج ٤ - ص ١٦٧ عن ابن عبَّاس و صحَّحه و أقرَّه الذَّهبي

روائـع من إيمـان الصَّحابـة

قد تجلَّى إيمان الصَّحابة الرَّاسخ العميق في مظاهر كثيرة ، و ذلك بسبب تربيـة رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم إيَّاهم تربيـة إيمانيـة فريـدة ، فكانوا أقـوى البشريَّـة و أعمقهـا إيماناً بعد الأنبياء و المرسلـين ، و قد سئل ابن عمر رضي الله عنهما : هل كانت الصَّحابـة يضحكـون ؟ فقـال : نعم ! و إنَّ الإيمان في قلوبهم أمثال الجبال (١) . و قد كانت حياتهم كلُّها إيمان و إيقان و إذعان و تصديق لله و رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم. و أتناول هنا بعضاً من تلك النَّماذج المشرفة و الرَّائعة

أوَّلاً . لقـد كان من آثـار إيمانهـم الانقيـاد الكامل و الاستجابــة التَّـامَّـة لله و رسولـه بلا تـردُّد ، و إيثار طاعة الله و رسوله على كلِّ شيئ في هذه الحياة ، و من أمثلة ذلك :

١ . لَمَّا بلغ رسولَ الله صلَّى الله عليه و سلَّم خـروج قـريش استشار أصحابـه ، فتكلَّم المهاجرون فأحسنوا ، ثمَّ استشارهـم ثانياً فتكلَّموا أيضاً فأحسنوا ، ثمَّ استشارهـم ثالثـاً ففهمت الأنصار أنَّـه يعنيهم ، لأنَّهم إنَّما بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر و الأسود في ديارهم ، فقال له سعد : لعلَّك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقًّـا عليهـا ألاَّ تنصرك إلاَّ في ديـارهـم ، و إنِّي أقـول عن الأنصار و أجيب عنهـم فاظعن حيث شئت و صِل حبل من شئت و خـذ من أمـوالنا ما شئت و اقطع حبل من شئت و أعطنـا ما شئت و ما أخذت منَّا كان أحبَّ إلينا ممَّا تركت و ما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك ، فو الله لئن سرت حتَّى تبلغ البرك من غمدان لنسيرنَّ معك ، و و الله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك (٢)

٢ . مرَّ رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم على عبد الله بن أبي ابن سلول و هو في ظلٍّ أجمة فقال : قد غـبر علينا ابن أبي كبشة ، فقـال ابنه عبـد الله بن عبـد الله : و الَّذي أكرمك و أنـزل عليك الكتـاب لئن شئت لآتينَّك برأسه ، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم : (لاَ ! وَ لَكِنْ بَرَّ أَبَاكَ ، وَ أَحْسِنْ صُحْبَتَهُ) (٣)

---

(١) جامع العلوم و الحكم لابن رجب – ج١– ص ٧٥

(٢) زاد المعاد – ج٢– ص ٨٦ ، و انظر أيضاً سيرة ابن هشام : القسم الأوَّل ص ٦١٥

(٣) موارد الظَّمآن إلى زوائد ابن حبَّان – ص ٤٦٨

ثانيًّا . و قد أورثهم هـذا الإيمان جـلادة عظيمة ، و احتمـالاً نادراً ، و صبراً غريباً على التَّعـذيب و الاضطهاد . و من أمثلة ذلك :

١ .كان عمَّار رضي الله عنه يعذَّب بالنَّار يكوى بها كيًّا يشتم منه رائحة اللَّحم المشويّ ، و كان يرى أثر ذلك به كأنَّه برص. و قد وضع معه فى العذاب أخوه عبد الله و أبوه ياسر و سميَّة أمُّه ، و كان يمرُّ بهم رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم و هـم يعـذَّبون فيقـول : صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ ، فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ (١) و مات ياسر فى العذاب يُلبسونه دروعاً من الحديد محماة فى الأيَّام القائظة ، كما عذَّب أبو جهل سميَّة أمَّ عمَّار ، و أخيراً طعنها بحربـة في موطن العفَّة منها ، فماتت شهيدة ، و كانت قد بلغت من الكبـر عتيًّـا ، و لم تقبـل أن تتـراجع عن إيمانها بالله و رسولـه أمـام ما لاقت من صنوف العذاب و النَّكال (٢)

٢ .كان بلال بن رباح الحبشيُّ مملوكاً لأميَّـة بن خلف الجمحي القـرشي ، و كان أميَّـة يجعل في عنق بلال حبلاً ، و يدفعه إلى الصِّبيان يجرُّونـه على الحجـارة جـرًّا في بطحاء مكَّة ، و هو يردِّد " أحـد ، أحـد " ما يشغله عن توحيـد الله شيئ ، كما كان يخرجـه إلى الرَّمضاء وقت الظَّهـيرة فيقبله على الرِّمال الشَّديـدة الحرارة الَّتي تنضج اللَّحم ، ثمَّ يأمر بالصَّخرة العظيمـة فتوضـع على صـدره ثمَّ يقـول له : لا تـزال هكذا حتَّى تكفر بمحمَّـد أو تموت ، فيردِّد " أحـد ، أحـد " (٣)

٣ . حدَّث خبَّـاب رضي الله عنه عن قصَّته مـرَّة فقال : لقد رأيتني يوماً و قد أوقـد الكفَّار ناراً ، ثمَّ سعَّـروها على ظهري ، فو الله ما أطفأها إلاَّ دهن ظهري يتنزَّى (٤)

٤. اجتمع أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوماً فقالوا : ما سمعت قريش بهذا القـرآن يجهر لها به قطُّ ، فمن رجل يسمعهموه ، قال عبد الله بن مسعود: أنا ، فقالوا : إنَّا نخشاهم عليك ، إنَّما نريد رجلاً له عشـيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعوني ! فإنَّ الله سيمنعني ، قال :

(١) حلية الأولياء و طبقات الأصفياء - ج١- ص ١٤٠

(٢) السِّيرة الحلبيَّة - ج١- ص ٣٢٧ و ما بعدها

(٣) نفس المصدر - ج١- ص ٣٢٧ و ما بعدها

(٤) نفس المصدر - ج١- ص ٣٢٤ ، ٣٢٥

فغدا ابن مسعود حتَّى أتى المقام في الضُّحى ـ و قريش في أنديتها ـ حتَّى قام عند المقام ، ثمَّ قال : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ـ رافعاً بها صوته ـ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ ٱلإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * قال : ثمَّ استقبلهم يقرأ فيها ، قال : و تأمَّلوا و جعلوا يقولون : ما يقول ابن أمِّ عبد ؟ ثمَّ قالوا : إنَّه ليتلو بعض ما جاء به محمَّد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون وجهه ، و جعل يقرأ حتَّى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثمَّ انصرف إلى أصحابه و قد أثَّروا بوجهه ، فقالوا : هذا الَّذي خشينا عليك ، قال : ما كان أعداء الله أهون عليَّ منهم اليوم ، لئن شئتم لأغادينَّهم غداً بمثلها ، قالوا : لا ! حسبك ، فقد أسمعتهم ما يكرهون (١)

ثالثاً . قد بعث الإيمان في قلوب الصَّحابة شجاعة خارقة للعادة ، و حنيناً غريباً إلى الجنَّة و استهانة نادرة بالحياة ، تمثَّلوا الآخرة و تجلَّت لهم الجنَّة بنعمائها كأنَّها رأيُ عين ، فطاروا إليها طيران الحمام الزَّاجل لا يلوي على شيئ .

١ . تقدَّم أنس بن النَّضر يوم أحد ، و قد انكشف المسلمون ، فاستقبله سعد بن معاذ فقال : يا سعد بن معاذ ! الجنَّة ، و ربِّ الكعبة ، إنِّي أجد ريحها من دون أحد ، قال أنس : فوجدناه قد قُتل و مثَّل به المشركون ، فما عرفه أحد إلاَّ أخته ببنانه (٢)

٢. قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم يوم بدر : (قُوْمُوْا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ ٱلأَرْضُ) فقال عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله ! جنَّة عرضها السَّماوات و الأرض ، بخ بخ ؟ قال : فقال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ : بَخْ بَخْ) قال : لا و الله يا رسول الله ! إلاَّ رجاء أن أكون من أهلها ، قال : (فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا) فأخرج تمرات من قَرَنه (٣) فجعل يأكل منهنَّ ، ثمَّ قال : لئن أنا حييت حتَّى آكل تمراتي هذه إنَّها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التَّمر ، ثمَّ قاتلهم حتَّى قتل (٤)

---

(١) سيرة ابن هشام – القسم الأوَّل – ص ٣١٤ ، ٣١٥

(٢) متَّفق عليه : صحيح البخاري –كتاب المغازي – ج٢– ص ٢١ . صحيح مسلم – كتاب الإمارة – ج١٣– ص ٤٧ ، ٤٨ عن أنس بن مالك

(٣) القَرَن : بفتحتين ، جعبة النُّشَّاب ، كذا في شرح صحيح مسلم للنَّووي

(٤) رواه مسلم – كتاب الإمارة – ج١٣– ص ٤٥ ، ٤٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه

٣ . و ترَّس أبودجانــة يوم أحـد على رسول الله بظهـره ، و النَّبل يقـع فيه و هو لا يتحـرَّك (١)

٤ . و دعـا عبد الله بن جحش في ذلك اليـوم فقـال : اللَّهـمَّ ! إنِّي أقسم عليك أن ألقى العـدوَّ غـداً فيقتلوني ، ثمَّ يبقروا بطني و يجـدعوا أنفي و أذني ، ثمَّ تسألني فيم ذلك ؟ فأقول : فيك (٢)

٥ . و قصَّة عمرو بن الجموح معروفـة حيث أصرَّ على الجهـاد بعد أن عـذره الله و عذره أبناؤه ، لكنَّـه خـرج إلى رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم و شكا إليــه : إنَّ بنيَّ هؤلاء يمنعـونِّي أن أخرج معك ، و والله إنِّي لأرجـو أن أستَشهد فأطأ بعرجتي هـذه في الجنَّـة : إلى أن خرج مع رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم فقتل يوم أحد شهيداً (٣)

رابعاً . و لقد كان من آثـار ذلك الإيمان عند الصَّحابـة رضي الله عنهم حبُّهم العميق لرسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم ، ذلك الحبُّ الَّذي تغلغل في أعماق ذواتهم ، فكان عليه الصَّلاة و السَّلام أحبَّ إليهم من أنفسهم و والديهم و أولادهم و النَّاس أجمعين ، و من أمثلة ذلك :

١ . وطئ أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه في مكَّة يوماً بعد ما أسلم ، و ضرب ضرباً شديداً و دنا منه عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ، و يحرِّفهما لوجهه ، و نـزا على بطن أبي بكر حتَّى ما يعرف وجهه من أنفـه و حملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتَّى أدخلوه منزله و لا يشكُّون في موتـه ، فتكلَّم آخـر النَّهـار فقـال : ما فعل رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم فعـذلوه ثمَّ قـاموا و قالوا لأمِّه أمِّ الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إيَّاه ، فلمَّا خلت به ألحَّت عليه و جعل يقول : ما فعل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؟ إلى أن جاءت أمُّ جميل بنت الخطَّاب و أخبرته أنَّه سالم صالح ، قال : أين هو ؟ قالت : في دار الأرقم ، قال : فإنَّ لله عليَّ أن لاَّ أذوق طعاماً و لا شراباً أو آتي رسول الله ، فأمهلتـا حتَّى إذا هـدأت الرِّجل و سكن النَّـاس خرجتـا بـه يتَّكئ عليهما حتَّى أدخلتا على رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم (٤)

٢ . مرَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بامرأة من بني دينار و قد أصيب زوجها و أخوها و أبوها

---

(١) زاد المعاد – ج٢– ٩٣ . سيرة ابن هشام ، القسم الثَّاني – ص ٨٢

(٢) زاد المعاد – ج٢– ٩٦

(٣) زاد المعاد – ج٢– ٩٦ . سيرة ابن هشام ، القسم الثَّاني– ص ٩٠

(٤) البداية و النِّهاية – ج٣– ص ٢٩ ـ ٣١

مع رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم بـ " أحد " فلمَّا نعوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم ، قالوا : خيراً يا أمَّ فلان ! هو بحمد الله كما تحبِّين ، قالت : أرونيه حتَّى أنظر إليه ، قال : فأشير لها إليه ، حتَّى إذا رأته قالت : كلُّ مصيبة بعدك جلل (تريد صغيرة) (١)

٣ . يقول زيد بن ثابت : بعثني رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم يوم أحد أطلب سعد بن الرَّبيع فقال لي : إن رأيته فاقرأه منِّي السَّلام و قل له : يقول لك رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : كيف تجدك ؟ قال : فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته و هو بآخر رمق و فيه سبعون ضربة : ما بين طعنة برمح و ضربة بسيف و رمية بسهم ، فقلت : يا سعد ! إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم يقرأ عليك السَّلام و يقول لك : أخبرني كيف تجدك ؟ فقال : و على رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم السَّلام ، قل له : يا رسول الله ! أجد ريح الجنَّة ، و قل لقومي الأنصار : لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم و فيكم عين تطرف ، و فاضت نفسه من وقته (٢)

خامساً . و قد جعلهم هذا الإيمان يستشرفون إلى ما عند الله من جنَّة و نعيم و رضا ، فهانت عليهم الدُّنيا ، و أصبح المال في نظرهم غير ذي قيمة إزاء الإيمان بالله و رسوله ، و أصبح الإيمان عندهم لا يعدله شيئ من متاع الحياة الدُّنيا ، و من أمثلة ذلك :

لَمَّا همَّ صهيب الرُّومي بالهجرة إلى المدينة قال له أهل مكَّة : أتيتنا صعلوكًا حقيرًا فكثر مالك عندنا و بلغت الَّذي بلغت ، ثمَّ تريد الآن الانطلاق بهذا المال بعيداً عنَّا ، و الله لا يكون ذلك، فقال لهم : أرأيتم إن تركت لكم مالي أتخلُّون أنتم سبيلي؟ قالوا : نعم ! فجعل لهم ماله أجمع ، و لَمَّا بلغ النَّبيَّ صلَّى الله عليه و سلَّم ما فعل صهيب قال : ربح صهيب ربح صهيب (٣)

فهذه نبذة عن روائع الإيمان و ملامحه ممثَّلة في أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم أفضل تمثيل .

---

(١) سيرة ابن هشام ، القسم الثَّاني- ص ٩٩

(٢) زاد المعاد - ج٢- ص ٩٦

(٣) سيرة ابن هشام ، القسم الأوَّل - ص ٤٧٧ . و البداية و النِّهاية - ج٣- ص ١٧٢

و الدُّعـاة في طريقهـم الشَّاق يفتقـرون إلى هـذا الإيمان أشدَّ الافتقـار و يحتـاجون إليـه أكثر من احتيـاج النَّاس إلى الماء و الهـواء ، و قد أحسن القـول فيـه ابن القيِّم رحمه الله حيث قـال : إنَّ طريقهـم ــ بحـقٍّ ــ طـريق صعب (طـريق تعب فيـه آدم ، و نـاح لأجله نـوح ، و رُمي فى النَّار الخليل ، و أُضجع للذَّبح إسماعيل و بيع يوسف بثمن بخس (١) و لبث فى السِّجن بضع سنين ، و نُشر بالمنشار زكريَّا ، و ذُبح السِّيد الحصور يحيى ، و قـاسى الضُّرَّ أيُّوب ، و زاد على المقـدار بكاءً داود ، و سار مع الوحش عيسى ، و عـالج الفقـر و أنـواع الأذى محمَّـد صلَّى الله عليه و سلَّم) (٢) .

فعلى الدُّعـاة اليـوم أن لا يـألوا جهـدهم في تعميق إيمانهـم ، و ترسيخـه و تنميتـه . و روي عن السَّلف أنَّ أحدهم كان يقول لأخيه : اجلس بنا نؤمن ساعة (٣)

و قد حثَّ رسول الله صلَّى الله عليـه و سلَّم على ذلك ، فقـال عليـه الصَّـلاة و السَّلام : (إنَّ ٱلإِيْمَانَ لَيَخْـلَقُ فِيْ جَـوْفِ أَحَـدِكُمْ كَمَـا يَخْـلَقُ الثَّـوْبُ ، فَسَلُـوْا اللهَ تَعَـالَى أَنْ يُجَـدِّدَ ٱلإِيْمَانَ فِيْ قُلُوْبِكُمْ) (٤)

و قال عليه الصَّلاة و السَّلام : (جَدِّدُوْا إِيْمَانَكُـمْ ، قِيْلَ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ! وَ كَيْفَ نُجَـدِّدُ إِيْمَانَنَا ؟ قَالَ : أَكْثِرُوْا مِنْ قَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) (٥) . و الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

---

(١) ما كان يوسف عليه السَّلام نبيًّا أو داعياً إذ بيع في سوق مصر ، نعم ! قد يكون ذلك تمهيداً و توطية و تدريباً لتحمُّل أعباء النُّبوَّة .

(٢) الفوائد لابن القيِّم – ص ٤٩

(٣) روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرَّجل من أصحابه يقول : تعال ! نؤمن بربِّنا ساعة ... مسند الإمام أحمد ابن حنبل – ج٣– ص ٢٦٥

(٤) قال الهيثمي : رواه الطَّبراني فى الكبير و إسناده حسن . مجمـع الزَّوائد – باب تجديد الإيمان– ج١– ص ٥٢ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

(٥) مسند أحمد ابن حنبل– مسند أبي هريرة – ٣٥٩/٢ . قال الهيثمي : رواه أحمد و إسناده جيِّد ، و فيه سمير بن نهار ، وثَّقه ابن حبَّان ، كذا في مجمع الزَّوائد – ج١– ص ٥٢

تنقيـح أقـوال السَّلف في جزئيَّـة الأعمال من الإيمان

لم يكن هـذا الموضوع منـاسباً لهذا البحث و لكن الشَّيء بالشَّيء يذكر ، و هـدفي في هذا إزالة الشُّبهـة و سوء الظنِّ ممَّن ظنَّ أنَّ الإمام أبا حنيفـة رحمه الله لم يعتـبر الأعمال من الإيمان أو لا أهمِّيـة للأعمال عنده ، و عـدَّه من عـدَّه من المرجئة ، و لا حول و لا قوَّة إلاَّ بالله . و لو أمعن النَّظر في هـذا الموضوع لتـأتي النَّتيجـة بـأنَّ أباحنيفـة فصَّل أقـوال السَّلف رحمهم الله إزاء معتقد المعتزلـة و الخوارج فإنَّهم يعتقـدون بركنيَّـة الأعمـال و شطرها للإيمان ، فإذا فاتت فات الإيمان ، و يخلد في النَّـار تاركها ، و الجمهور يقولون : إنَّ الأعمال من الإيمان و لكن بفواتها لا يفوت الإيمان كاملاً بل ينقص ، و لم يثبت عن أبي حنيفـة رحمه الله أنَّـه قـال : لا تضرُّ مع الإيمان معصيـة ، و الحقيقة أنَّ الإمام رحمه الله قد نشأ في زمنه و ترعرع فرق كثيرة من المعتزلة و الخوارج و الـرَّوافض و المرجئـة و الجهميَّـة و ناظـرهم الإمام و بـيَّن الصِّراط المستقيـم و نقَّح مذهب الصَّحابـة و التَّـابعـين و السَّلف الصَّـالح رحمهم الله تعالى ، فكلٌّ حقـده و افتـرى عليه بما شاء ، و بهتـه بما ليس عليه الإمام .

هـذا : و ينبغي أن أذكر هنا شيئاً من اختـلافهم كما حكى عنهم بعض سلفنا الصَّالح : ذهب مالك و الشَّافعي و أحمد و الأوزاعي و إسحاق ابن راهويـه و سائر أهل الحديث و أهل المدينة رحمهم الله و أهل الظَّاهر و جماعـة من المتكلِّمين إلى أنَّ الإيمان تصديق بالجنان و إقـرار باللِّسان و عمل بالأركان ، و ذهب الكثير إلى أنَّ الإقرار باللِّسان ركن زائد ليس بأصليٍّ كما هو مذهب أبي منصور الماتريـدي رحمـه الله ، و ذهب الكـرَّاميَّـة إلى أنَّ الإيمان هـو الإقـرار باللِّسان فقط ، و ذهب الجهـم بن صفـوان و أبو الحسن الصَّـالحي ـ أحـد رؤوساء القدريَّـة ـ إلى أنَّ الإيمان هو المعرفة بالقلب ، أمَّا قول الجهميَّة أو القدريَّـة و الكرَّاميّة فلا ألتفت إليه لأنَّه ظاهر البطلان ، إنَّما نحن الآن بصدد الخـلاف بين أهل السُّنَة و الجمـاعة . و حاصل الخـلاف أنَّ الجمهور يقـولون : إنَّ الإيمان مـا يقـوم بالقلب و اللِّسان و سائر الجـوارح ، و يرى أبو حنيفـة الإمام (كما يظهر عند البعض) أنَّه ما يقوم بالقلب و اللِّسان دون الجوارح . و استُدِلَّ له رحمه الله :

١. إنَّ الإيمان في اللُّغـة عبـارة عن التَّصـديق ، قـال تعـالى مخبـراً عن إخـوة يوسف : (مَا أَنْتَ

بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) (١) أي بمصدِّق لنا ، و ادَّعى بعضهم إجماع أهل اللُّغة على ذلك ، ثمَّ هذا المعنى اللُّغوي و هو التَّصديق بالقلب هو الواجب على العبد حقًّا لله ، و هو أن يصدِّق الرَّسول صلَّى الله عليه و سلَّم فيما جاء به من عند الله ، فمن صدَّق الرَّسول فيما جاء به من عند الله فهو مؤمن فيما بينه و بين الله تعالى ، و الإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام فى الدُّنيا . هذا على أحد القولين ، و لأنَّه ضدُّ الكفر و هو التَّكذيب و الجحود ، و هما يكونان بالقلب فكذا ما يضادُّهما .

٢ . قال تعالى : (إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ) (٢) يدلُّ قوله تعالى على أنَّ القلب هو موضع الإيمان لا اللِّسان .

٣ . و لأنَّه لو كان مركَّباً من قول و عمل لزال كلُّه بزوال جزئه .

٤ . و لأنَّ العمل قد عطف على الإيمان و العطف يقتضى المغايرة ، قال تعالى : (إِلاَّ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَ عَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ) (٣) و قال تعالى : (آمَنُوْا وَ عَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ) (٤) في مواضع من القرآن . و اعتُرِض على الاستدلال المذكور :

١ . بأنَّ الإيمان فى اللُّغة عبارة عن التَّصديق بمنع التَّرادف بين التَّصديق و الإيمان ، لأنَّه يقال للمخبَر إذا صدَّق صدَّقه ، و لا يقال : آمنه ، و لا آمن به ، بل يقال : آمن له ، كما قال تعالى : (فَآمَنَ لَهُ لُوْطٌ) (٥) (فَمَا آمَنَ لِمُوْسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ) (٦) . و قال تعالى : (يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ) (٧) ففرَّق بين المعدَّى بالباء و المعدَّى باللاَّم ، فالأوَّل يقال للمخبَر و الثَّاني للمخبِر (بالبناء للمعلوم) فكلُّ مخبِر عن مشاهد أو غيب يقال له فى

(١) سورة يوسف ، الآية رقم ١٧
(٢) سورة النَّحل ، الآية رقم ١٠٦
(٣) سورة العصر ، الآية رقم ٣
(٤) سورة البقرة ، الآية رقم ٢٥
(٥) سورة العنكبوت ، الآية رقم ٢٦
(٦) سورة يونس ، الآية رقم ٨٣
(٧) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٦١

اللُّغة : صدقت كما يقال له : كذبت ، و أمَّا لفظ الإيمان فلا يستعمل إلاَّ فى الخبر عن الغائب فيقال لمن قال : طلعت الشَّمس : صدَّقنـاه ، و لا يقال : آمنَّا له ، فإنَّ فيه أصل معنى الأمن ، و الائتمـان إنَّما يكون فى الخـبر عن الغـائب ، فـالأمر الغـائب هـو الَّـذي يـؤتمن عليـه المخـبِر (بالكسر) و لهذ لم يأت فى القرآن و غيره لفظ أمن له إلاَّ في هذا النَّوع . و لأنَّه لم يقابَل لفظ الإيمان قـطُّ بالتَّـكذيب كمـا يقـابَل لفظ التَّصـديق ، و إنَّما يقـابَل بالكفـر ، و الكفـر لا يختصُّ بالتَّكذيب . فلو قـال قائل : أنا أعـلم أنَّك صـادق و لكن لا أتَّبعـك ، بل أعـاديك و أبغضك و أخالفك لكان كفـراً أعظم ، فعـلم أنَّ الإيمان ليس التَّصديق فقط و لا الكفر التَّكذيب فقط . و هذا مع منع التَّـرادف بين التَّصديق و الإيمان ، فإن سلِّم التَّـرادف ، فالتَّصديق يكون بالأفعال أيضاً ، كما ثبت عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم (الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَ ٱلْأُذُنُ تَزْنِيْ وَ زِنَاهَا السَّمْعُ ... إلى أن قال : (وَ الْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ) (١)

قال الحسن البصري رحمـه الله : ليس الإيمان بالتَّحلِّي و لا بالتَّمـنِّي و لكنَّـه ما وقـر فى الصَّـدور و صدَّقته الأعمال . أمَّا قول المغايرة فهو على حسب اللُّغـة ، لكنَّه عليه السَّلام قد صرَّح و بيَّن لنا أنَّ الأعمال من الإيمان ، قال عليه السَّلام : (الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِّنَ ٱلإِيْمَانِ) (٢) و قال : (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً) (٣) و قال : (الْبَذَاذَةُ مِنَ الإِيْمَانِ) (٤) و هكذا الأحاديث الكثيرة تدلُّ على أنَّ الصَّـلاة و الزَّكاة و الحـجَّ و صـوم رمضـان و الأعمـال الباطنـة كالحيـاء و التَّوكُّل و الخشية من الله و الإنابة إليه كلُّها من الإيمان . و قال صلَّى الله عليه و سلَّم : (مَنْ أَحَبَّ للهِ ، وَ أَبْغَضَ للهِ ، وَ أَعْطَى للهِ ، وَ مَنَعَ للهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ ٱلإِيْمَانَ) (٥) فالحبُّ و البغض و الإعطاء

(١) متَّفق عليه : صحيح البخاري – كتاب الاستئذان – باب زنا الجوارح دون الفرج – ج٤– ص ٨٨ . صحيح مسلم – كتاب القدر– باب قدِّر على ابن آدم حظُّه من الزِّنا و غيره – ج١٦– ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) متَّفق عليه : صحيح البخاري– كتاب الإيمان – باب أمور الإيمان – ج١– ص ١١ . صحيح مسلم– كتاب الإيمان– باب بيان عدد شعب الإيمان – ج٢– ص ٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب السُّنَّة – باب الدَّليل على زيادة الإيمان و نقصانه – ج٤– ص ٢٢٠ ، و أحمد في مسنده – ج٣– ص ٢٥٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٤) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب التَّرجُّل– حديث رقم – ٤١٦١– ج٤– ص ٧٥ عن أبي أمامة رضي الله عنه

(٥) أخرجه التِّرمذي في سننه – كتاب صفة القيامة – ج٤– ص ٦٧٠ عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه

و المنع له من الإيمان .

و لأنَّ الإيمان تارة يذكر مطلقاً عن العمل و عن الإسلام ، و تارة يقرن بالعمل الصَّالح ، و تارة يقرن بالإسلام ، فالمطلق مستلزم للأعمال ، قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُـؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِـرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ ... الآيـة) (١) و قـال تعـالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـوْنَ الَّذِيْنَ آمَنُـوْا بِاللهِ وَ رَسُوْلِـهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوْا ...) (٢) و قال صلَّى الله عليه و سلَّم : (لاَ تُؤْمِنُوْا حَتَّى تَحَابُّوْا ...) (٣)

و أمَّا إذا عطف عليه العمل الصَّالح ، فاعلم أنَّ عطف الشَّيء على الشَّيء يقتضي المغايرة بين المعطوف و المعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الَّذي ذكر لهما ، و المغايرة على مراتب : أعلاها أن يكون متباينين ، أو يكون بينهما تلازم أو عطف بعض الشَّيء عليه أو عطف الشَّيئ على الشَّيئ لاختلاف الصِّفتين ، و قد نظرنا في كلام الشَّارع كيف ورد فيه الإيمان ؟ فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البرِّ و التَّقوى و الدِّين و دين الإسلام ، و فسَّر الشَّارع عليه السَّلام الإيمان بالأعمال فقال : (أَ تَـدْرُوْنَ مَا ٱلإِيْمَانُ بِاللهِ ؟ شَهَـادَةُ أَنْ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْـدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ وَ إِقَـامُ الصَّلاَةِ وَ إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ وَ أَنْ تُؤَدُّوْا الْخُمُسَ مِنْ الْمَغْنَمِ) (٤) و معلوم أنَّه لم يرد أنَّ هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب (٥)

قلت : إن قيل بأنَّ هذا الخلاف خلاف لفظيٌّ فأحسن و أنسب ، و إلاَّ لم يبق وراء تأويل أبي حنيفة رحمه الله إلاَّ الاعتزال و الإرجاء المذموم ، فإنَّه لو جاءك معتزليٌّ و يقول لك : إنَّك تقول بجزئيَّة الأعمال من الإيمان ، فإن كان معنى الجزئيَّة عندك أنَّها ركن للإيمان بحيث لا يتمُّ الإيمان إلاَّ به كوقوف عرفة للحجِّ فإنَّه إذا فات فات الحجُّ إجماعاً ، فإن أجبته بنعم فهو مذهبه

---

(١) سورة الأنفال ، الآية رقم ٢

(٢) سورة الحجرات ، الآية رقم ١٥

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه -كتاب الإيمان - ج٢- ص ٣٥ . و الحديث بكامله (لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّـةَ حَتَّى تُؤْمِنُوْا ، وَ لاَ تُؤْمِنُوْا حَتَّى تَحَابُّوْا ، أَ وَ لاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْئٍ إِذَا فَعَلْتُمُوْهُ تَحَابَبْتُمْ : أَفْشُوْا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ) عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٤) متَّفق عليه : صحيح البخاري -كتاب الإيمان - ج١- ص ٢٠ . صحيح مسلم- كتاب الإيمان - ج١- ص١٨٠ ـ ١٩٤ عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما

(٥) انظر شرح العقيدة الطَّحاويَّة- ص٣١٣ ـ ٣٢٩ مع الحذف و التَّلخيص . و مجموع فتاوى ابن تيميَّة - جزء الإيمان- ج٧- ص ١٧٢ . ١٧٩ . و ص ٢٨٩ ـ ٢٩٤ و ص ٤٠٠ ، ٤٠١

يستلزم حكم خلود النَّار لتارك الأعمال و مرتكب الكبيرة ، و إن أجبته بلا ، فإمَّا أن تقول : هي لا تؤثِّر مطلقاً فى الإيمان فهو الإرجاء المذموم ، و إن قلت : تؤثِّر فيه مع ملاحظة الأشياء فهو الإرجاء الَّذي نسب إليه أبو حنيفة رحمه الله . و ماذا تقول في رجل أسلم نهاراً فى السَّاعة العاشرة مثلاً و صدَّق قلبه بالإيمان ثمَّ توفِّي آنذاك و لم يتيسَّر له أن يعمل أيَّ عمل ألا يكون مؤمناً ، أو لا يدخل الجنَّة أم يخلد فى النَّار ، و ما هو القول الوسيط بين الاعتزال و الإرجاء ، و كيف تشرح عبارتك : الأعمال لا يفوت الإيمان بفواتها مع أنَّها مؤثِّرة فيه ؟ فأيُّ تعبير أو تفسير جئت به تكون مع الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، و ليست جريمته إلاَّ أنَّه فسَّر هذا القول الوسيط بين الإرجاء و الاعتزال . و على هذا انخدع كثير من النَّاس في قوله رحمه الله ، و عدُّوه من المرجئة ، و إلاَّ فهو مع الجمهور بل إماهم في أنَّ الإيمان قول و فعل و اعتقاد بالقلب يتقوَّى و يضعف. و لكلٍّ من هذه الألفاظ محامل و مقامات و تفاصيل . و سبب هذا الانخداع عدم التَّفريق بين المرجئة الضَّالَّة و مرجئة أهل السُّنَّة ، و لا بدَّ من هذا التَّفريق .

يقول عبد الكريم الشَّهرستاني : و من العجيب أنَّ غسَّان كان يحكي عن أبي حنيفة رحمه الله مثل مذهبه و يعدُّه من المرجئة ، و لعلَّه كذب كذلك عليه لعمري ! كان يقال لأبي حنيفة و أصحابه مرجئة أهل السُّنَّة ، و عدَّه كثير من أصحاب المقالات من جملة المرجئة ، و لعلَّ السَّبب فيه أنَّه لَمَّا كان يقول : الإيمان هو التَّصديق بالقلب و هو لا يزيد و لا ينقص ظنُّوا به أنَّه يؤخِّر العمل عن الإيمان ، و الرَّجل مع تخريجه فى العمل كيف يفتي بترك العمل ؟ و له سبب آخر ، و هو أنَّه كان يخالف القدريَّة و المعتزلة الَّذين ظهروا فى الصَّدر الأوَّل ، و المعتزلة كانوا يلقِّبون كلَّ من خالفهم فى القدر مرجئاً ، و كذلك الوعيديَّة من الخوارج ، فلا يبعد أنَّ اللَّقب إنَّما لزمه من فريقي المعتزلة و الخوارج (١)

و لَمَّا أفحم أبو حنيفة أهل الاعتزال ببراهينه القاطعة و الأدلَّة السَّاطعة و قال : إنَّ العمل مرجؤ مؤخَّر فى الرُّتبة عن الإيمان و أنَّ العصاة من المؤمنين مرجون لأمر الله إمَّا أن يعذِّبهم و إمَّا أن يتوب عليهم ، و أنَّ المعاصي لا تضرُّ بحيث يكون عذابه محتمًّا و يكون صاحبها مخلَّداً فى النَّار

(١) الملل و النِّحل – ج١– ص ٢٢٥ ، ٢٢٦

رموه بالإرجاء بل عدُّوا جميع أهل السُّنَّة و الجماعة من المرجئة . قال الشَّيخ عبد الحق المحدِّث الدِّهلوي الهندي في شرحه لسفر السَّعادة :" بعضى از اهل اعتزال ارجاء به اهل سنَّت و الجماعت نسبت مي كنند كه جانب مغفرت و اميد واري را رعايت مي نمايند و مي كويند كه اكر خدا خواهد همه كناهان را ببخشد اكرچه مقرون بتوبه نبود ، و فاسق مخلَّد فى النَّار نباشد " (يعني أنَّ بعضاً من المعتزلة يعدُّ أهل السُّنَّة و الجماعة من المرجئة لتوكيلهم أمر العصاة إلى الله و رجائهم منه العفو عنهم و قولهم : إن شاء الله يغفر لجميع ذنوبهم و إن لم يتوبوا منها و لا يكون الفاسق مخلَّدًا فى النَّار) و لهذا عدَّ صاحب المقالات أبو الحسن الأشعري على ما قال الآمدي أبا حنيفة و أصحابه من مرجئة أهل السُّنَّة (١)

قال الذَّهبي في ترجمة مسعر بن كدام : قلت : الإرجاء مذهب لعدَّة من جلَّة العلماء لا ينبغي التَّحامل على قائله (٢) . و قد عدَّ ابن حجر العسقلاني الَّذين رُموا بالإرجاء و مع ذلك خرَّج لهم البخاري أو مسلم ، فممَّن خرَّجا لهم إبراهيم بن طهمان ، أيُّوب بن عائذ الطَّائي ، زر بن عبد الله المرهبي ، عبد الحميد بن عبد الرَّحمن بن إسحاق الحمَّاني ، عثمان بن غياث البصري ، محمَّد بن حازم أبو معاويَّة الضَّرير ، ورقاء بن عمرو اليشكري ، يحي بن صالح الوحَّاظي . و من الَّذين تفرَّد لهم البخاري دون مسلم سبابة بن سوار ، عمرو بن زر ، عمرو بن مرَّة (٣) و كذلك أشار إليهم و عدَّهم ابن قتيبة في كتابه " المعارف " تحت عنوان المرجئة هم : إبراهيم التَّيمي ، عمرو بن مرَّة ، ذر الهمداني (٤) طلق بن حبيب ، حمَّاد بن أبي سليمان ، أبو حنيفة صاحب الرَّائ ، عبد العزيز بن أبي داود ، و ابنه عبد الحميد ، خارجة بن مصعب ، عمرة بن قيس الماصر ، أبو معاويَّة الضَّرير ، يحي بن زكريَّا بن أبي زائدة ، أبو يوسف صاحب الرَّائ ، محمَّد بن الحسن الشَّيباني ، محمَّد بن السَّائب ، مسعر بن كدام (٥)

---

(١) انظر دراسات اللَّبيب – ص ٤٥٠ ، ٤٥١ . و إمداد الباري تقرير صحيح البخاري – ج١– ص ٢٢٠ ، ٢٢١

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال – ج٢– ص ٤٧٠

(٣) هدي السَّاري مقدِّمة فتح الباري – ص ٤٥٩ ، ٤٦٠

(٤) و فى الهامش أبوذر الهمداني

(٥) انظر المعارف لابن قتيبة – ص ٦٢٥

قال السِّندي :" و أحسن شيئ رأيتـه في هـذا الباب كلام الجـزري فى المجلَّد العـاشر من جـامع الأصول في فصل النُّون حيث قال : و قد نسب إليه و قيل عنه من الأقـاويل المختلفة الَّتي يجلُّ قدره عنها و يتنزَّه منها من القول بخلق القرآن و القول بالقـدر و القول بالإرجـاء و غير ذلك ممَّا نسب إليه و لا حاجـة إلى ذكرها و لا إلى ذكر قائلها ، و الظَّاهر أنَّـه كان منزَّهاً عنها ، و يدلُّ على صحَّة نزاهتـه عنها ما يسَّر الله تعـالى له من الذِّكر المنتشر فى الآفـاق ، و العلم الَّذي طبَّق الأرض و الأخـذ بمذهبه و فقهه و الرُّجوع إلى قوله و فعله ، و إنَّ ذلك لو لم يكن لله سرٌّ خفيٌّ و رضـاً إلهيٌّ و فقــه الله لـه لما جمع شطـر الإسلام أو ما يقـاربـه على تقليــده و العمل برأيـه و مذهبه ، حتَّى قد عُبِدَ الله و دِيْنَ بفقهه و عُمِل برأيـه و مذهبه و أخذ بقوله إلى يومنا هـذا ما يقارب أربع مائة و خمسين سنة ، و في هـذا أدلُّ دليل على صحَّـة مذهبه و عقيدتـه ، و أنَّ ما قيل عنه هو منـزَّه عنه ، و قد جمع أبو جعفـر الطَّحـاوي كتـاباً سمَّاه " عقيـدة أبي حنيفـة " (١) و هي عقيـدة أهل السُّنَّة و الجماعــة ، و ليس فيها شيئ ممَّا نسب إليه و قيل عنه ، و أصحابه أخبر بحاله و قوله من غيرهـم ، فالرُّجوع إلى ما نقلوه عنه أولى ممَّا نقله غيرهـم عنه" (٢)

و لذلك جـزم كثير من أجـلَّة العلماء بأنَّـه نزاعيٌّ لفظيٌّ ، فقد قال شارع العقيـدة الطَّحاويَّـة : و الاختلاف بين أبي حنيفـة و الأئمَّـة الباقـين من أهل السُّنَّة و الجماعـة اختلاف صوريٌّ . فإنَّ كون أعمـال الجـوارح لازمـة لإيمان القلب أو جـزءاً من الإيمان ، مع الاتِّفـاق على أنَّ مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان بل هو في مشيَّة الله إن شاء عذَّبه و إن شاء عفـا عنه . نزاع لفظيٌّ ، لا يترتَّب عليه فساد اعتقاد، و القائلون بتكفير تارك الصَّلاة ضمُّوا إلى هذا الأصل أدلَّة أخرى ، و إلاَّ فقد نفى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم الإيمان عن الزَّاني و السَّارق و شارب الخمر و المنتهب ، و لم يوجب ذلك زوال الإيمان عنهم بالكلِّيَّـة اتِّفـاقاً ، و لا خلاف بين أهل السُّنَّة أنَّ الله تعالى أراد من العباد القول و العمل (و المراد بالقول التَّصديق بالقلب و الإقـرار باللِّسان) لكن هـذا

(١) هذا الكتاب هو " العقيدة الطَّحاويَّة " الَّذي بيننا و يوجد هذا الاسم في بعض نسخه .

(٢) دراسات اللَّبيب – ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ . و انظر جامع الأصول في حديث الرَّسول – لمجد الدِّين ابن الأثير الجـزري – ج١٤– ص ٢٦٧

المطلوب من العبـــاد هل يشمله اسم الإيمان أم الإيمان أحـدهما و هـو القول وحــده ، و العمل مغـاير له لا يشمله اسم الإيمان عند إفراده بالذِّكر ، و إن أطلق عليهما كان مجـازاً ؟ هـذا محلُّ النِّزاع . و كذلك أجمعوا على أنَّـه لو صدَّق بقلبه و أقـرَّ بلسانه و امتنع عن العمل بجوارحـه أنَّه عاص لله و رسوله مستحقٌّ للوعيـد ... إلى أن قال : فالإمام أبو حنيفـة رضي الله عنه نظر إلى حقيقـة الإيمان لغـة مع أدلَّـة من كلام الشَّارع ، و بقيَّـة الأئمَّة رحمهم الله نظـروا إلى حقيقتـه في عـرف الشَّـارع ، فـإنَّ الشَّارع ضـمَّ إلى التَّصـديق أوصـافاً و شرائط ، كما فى الصَّـلاة و الصَّوم و الحجِّ و نحو ذلك . (١)

يقول ابن تيميَّـة رحمه الله : ثمَّ بعد ذلك تنـازع النَّاس في اسم المؤمن و الإيمان نـزاعاً كثـيراً ، منه لفظيٌّ و كثير منه معنويٌّ ، فإنَّ أئمَّـة الفقهاء لم ينـازعوا في شيئ ممَّا ذكرنـاه فى الأحكام ، و إن كان بعضهم أعلم بالدِّين و أقـوم به من بعض ، و لكن تنازعـوا فى الأسماء كتنـازعهم فى الإيمان هل يزيد و ينقص ، و هل يستثنى فيـه أم لا ، و هل الأعمـال من الإيمان أم لا ، و هل الفـاسق الملئ مؤمن كامل الإيمان أم لا ؟ و المأثور عن الصَّحابـة و أئمَّـة التَّابعين و جمهور السَّلف و هو مذهب أهل الحـديث و هو المنسوب إلى أهل السُّنَّة أنَّ الإيمان قول و عمل يزيد و ينقص ، يزيد بالطَّاعة و ينقص بالمعصية ، و أنَّه يجوز الاستثناء فيه ...إلى أن قال :" فهذه الألفاظ المأثورة عن جمهورهــم ، ثمَّ قـال : و هـؤلاء المعروفـون مثـل حمَّاد بن أبي سليمان و أبي حنيفـة و غـيرهما من فقهـاء الكوفـة كانوا يجعلون قول اللِّسان و اعتقـاد القلب من الإيمان ، و هو قول أبي محمَّـد بن كلاب و أمثالـه ، لم يختلف قولهم في ذلك ، و لا نقل عنهـم أنَّهم قـالوا : الإيمان مجـرَّد تصـديق القلب " (٢)

قال العـلاَّمة شبِّير أحمد العثمـاني رحمه الله : و هكذا ينبغي أن يفهـم أنَّ القـائلين بعـدم جزئيَّـة الأعمال أيضاً لم يقصدوا موافقـة المرجئة . خذلهم الله . بل إنَّما أرادوا الرَّدَّ على إثبات الجزئيَّـة الَّتي زعمتها الخـوارج و المعتزلـة بحيث يستلزم فواتُ الجـزء فواتَ الكلِّ رأساً ، فيصير الموحِّـد المصدِّق

(١) شرح العقيدة الطَّحاويَّة – ص ٣١٤ ، ٣١٥

(٢) مجموع فتاوى ابن تيميَّة – جزء الإيمان – ج٧– ص ٥٠٤ . ٥٠٨

بكلِّ ما جاء به الرَّسول مسلوبَ الإيمان عندهم إذا ارتكب كبيرة من الكبائر ... إلى أن قال : فعلم أنَّ النِّزاع بين القائلين بجزئيَّة العمل للإيمان و بين منكريها من أهل السُّنَّة و الجماعة قريب من النِّزاع اللَّفظيِّ ، ثمَّ قال : قال الزَّبيدي في شرح الإحياء : تسمية بعض السَّلف لإمامنا الأعظم أبي حنيفة رحمه الله مرجئاً كصاحب القوت و غيره و تبعه القونوي من علمائنا إنَّما هو لتأخيره أمر صاحب الذَّنب الكبير إلى مشيَّة الله تعالى ، و الإرجاء التَّأخير كما في قوله تعالى : ﴿ وَ آخَرُوْنَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ ﴾ (١) لا بالمعاني الَّتي نسبت للمرجئة الَّتي هي قبائح في نفس الأمر كما سيأتي بيانها ، و هذا لا يكون قادحاً في منصب إمامنا رحمه الله ، و قد ثبت ثبوتاً واضحاً و اشتهر أنَّه من رؤوس أهل السُّنَّة ، و أوَّل من ردَّ على القدريَّة و المرجئة و الطَّوائف الضَّالَّة ، يفهم ذلك من سير كتب مذهبه ، و من نسب إليه الإرجاء فبالمعنى المتقدِّم ، و به كان يقول شيخه حمَّاد بن أبي سليمان و غيره من السَّلف (٢)

---

(١) سورة التَّوبة ، الآية رقم ١٠٦

(٢) فتح الملهم شرح صحيح مسلم –ج١– ص ١٥٧ ، ١٥٨ . و انظر إتحاف السَّادة المتَّقين –ج٢– ص ٢٤١ ، ٢٤٢

الفصل الثَّاني : فى الإخـلاص و ثمراتـه و تصحيـح النِّيَّـة

الإخــلاص

الإخلاص لغـة : كلمة الإخلاص فى اللُّغـة تدلُّ على الصَّفاء و النَّقاء ، و التَّـنزُّه من الأخلاط و الأشواب . و الشَّيء الخـالص : هو الصَّافي الَّذي ليس به شائبـة مادِّيـة أو معنويَّـة . قال الله تعـالى : (وَ إِنَّ لَكُمْ فِي ٱلأَنْعَـامِ لَعِبْـرَةً نُّسْقِيْكُـمْ مِّمَّا فِيْ بُطُوْنِـهِ مِنْ بَـيْنِ فَـرْثٍ وَ دَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغاً لِّلشَّارِبِيْنَ) (١) .

و الخـلاص : ما أخلصته النَّار من الذَّهب و غيره ، و كذلك الخـلاصة . و فى الإخـلاص أيضًا معنى النَّجـاة و السَّلامـة . يقـال : خلص فلان من كـذا إذا سلم منه و نجـا . و فيه أيضًا معنى الصِّدق و الطَّهـارة ، يقال : أخلص فلان لفـلان في ودِّه : إذا كان صادقًا فيه طاهرًا . (٢)

الإخـلاص شرعًـا : و أمَّا معنى الإخلاص فى الشَّرع فهو تجريد قصد التَّقـرُّب إلى الله تعالى عن جميــع الشَّوائب و العـلل . و التَّبـرِّئ من كلِّ ما دون الله سبحـانـه و تعـالى . قـال القـرطبيُّ : " و الإخلاص حقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين . قال صلَّى الله عليه وسلَّم : (إِنَّ اللهَ تَعَـالَى يَقُـوْلُ : أَنَا خَيْـرُ شَرِيكٍ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيْ شَرِيكًا فَهُـوَ لِشَرِيكِي ، يَا أَيُّهَـا النَّـاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ للهِ تَعَالى فَإِنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ مَا أُخْلِصَ لَهُ، وَ لاَ تَقُولُوا : هَذَا للهِ وَ لِلرَّحِمِ فَإِنَّهَا لِلرَّحِمِ وَ لَيْسَ للهِ مِنْهَا شَيْءٌ .... رواه الضَّحَّاك بن قيس الفهري ، قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ... فذكره ، خرَّجه الدَّارقطني (٣) و قال رويم : الإخـلاص من العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضاً فى الدَّارين ، و لا حظًّا من الملكين ، و قال الجنيد : الإخـلاص سرٌّ بين العبد و بين الله لا يعلمه ملك فيكتبه و لا شيطان فيفسده و لا هوى فيميله . و ذكر أبو القـاسم القشيري و غيره عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال : سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ فقال : سألت ربَّ العزَّة عن الإخلاص ما هو؟ قال : سرٌّ من سرِّي استودعته قلب من

(١) سورة النَّحل ، الآية رقم ٦٦

(٢) تاج العروس – ج ١٧– ص ٥٥٧ و ما بعدها

(٣) سنن الدَّارقطني –كتاب الطَّهارة– باب النِّيَّة – حديث رقم– ١٣٣– ج١– ص ٧٧

أحببته من عبادي " (١) و قال سهل : الإخلاص أن يكون سكون العبد و حركاته لله تعالى خاصَّة ، و قال إبراهيم بن أدهم : الإخلاص صدق النِّيَّة مع الله تعالى ، و قيل : الإخلاص دوام المراقبة ، و نسيان الحظوظ كلِّها (٢)

و يصوِّر الإمام الغزالي حقيقة الإخلاص فيقول :" اعلم أنَّ كلَّ شيئ يتصوَّر أن يشوبه غيره ، فإذا صفا عن شوبه و خلص منه سمِّي خالصاً و يسمَّى الفعل المخلص إخلاصاً ، قال الله تعالى : (مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغاً لِّلشَّارِبِيْنَ) فإنَّما خلوص اللَّبن أن لا يكون فيه شوب من الدَّم و الفرث ، و من كلِّ ما يمكن أن يمتزج به ، و الإخلاص يضادُّه الإشراك ، فمن ليس مخلصاً فهو مشرك إلاَّ أنَّ الشِّرك درجات ، فالإخلاص فى التَّوحيد يضادُّه التَّشريك فى الإلهيَّة ، و الشِّرك منه خفيٌّ و منه جليٌّ ، و كذا الإخلاص ، و الإخلاص و ضدُّه يتواردان على القلب ، فمحلُّه القلب " (٣)

الإخلاص في كتاب الله

و لقد ذكر القرآن الكريم إخلاص الدِّين لله في مواطن كثيرة ، قال الله تعالى : (وَ مَا أُمِرُوْا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ) (٤) و قال تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ فِى الدَّرْكِ ٱلأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْراً * إِلاَّ الَّذِيْنَ تَابُوْا وَ أَصْلَحُوْا وَ اعْتَصَمُوْا بِاللهِ وَ أَخْلَصُوْا دِيْنَهُمْ للهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ) (٥) قال الإمام ابن جرير الطَّبري : و أخلصوا طاعتهم و أعمالهم الَّتي يعملونها لله فأرادوه بها و لم يعملوها رياءً للنَّاس و لا على شكٍّ منهم في دينهم و امتراء منهم في أنَّ الله محص عليهم ما عملوا فمجازى المحسن بإحسانه و المسيئ بإساءته و لكنَّهم عملوها على يقين

(١) الجامع لأحكام القرآن-ج٢- ص ٩٩ عند قوله تعالى : (قُلْ أَتُحَاجُّوْنَنَا فِى اللهِ وَ هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُوْنَ) [البقرة ، رقم ١٣٩] و الحديث ذكره الإمام الغزالي رحمه الله عن الحسن مرسلاً و حكم عليه العراقي بأنَّ سنده ضعيف . انظر إحياء علوم الدِّين مع تخريج العراقي- الباب الثَّاني : الإخلاص و فضيلته و حقيقته و درجاته- هامش رقم (٧) ج٤- ص ٣٢٧

(٢) إحياء علوم الدِّين - ج ٤- ص ٤٠٢ ، ٤٠٣

(٣) نفس المصدر - ج٤- ص ٤٠٠

(٤) سورة البيِّنة ، من الآية رقم ٥

(٥) سورة النِّساء ، الآية رقم ١٦٥ ، ١٦٦

منهم في ثواب المحسن على إحسانه و جزاء المسيئ على إساءته أو يتفضّل عليه ربُّه فيعفو ، متقرّبين بها إلى الله مريدين بها وجهه (١) . و قال تعالى : (قُلْ : أَمَرَ رَبِّيْ بِالْقِسْطِ ، وَ أَقِيْمُوْا وُجُوْهَكُمْ عَنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَ ادْعُوْهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُوْدُوْنَ) (٢) . و قال جلَّ شانه : (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّيْنَ * أَلاَ لَهُ الدِّيْنُ الْخَالِصُ) (٣) . و قال عزَّ من قائل : (قُلْ : إِنِّيْ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّيْنَ * وَ أُمِرْتُ لأَنْ أَكُوْنَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِيْنَ * قُلْ : إِنِّيْ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّيْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيْمٍ * قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِيْنِيْ * فَاعْبُدُوْا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُوْنِهِ ...) (٤) و من جليل فضيلة الإخلاص ما بيَّنه سبحانه أنَّ الشَّيطان لا يقدر أن يسيطر على المخلَصين ، قال الله تعالى : (رَبِّ ! بِمَا أَغْوَيْتَنِيْ لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَ) (٥) . و قال بعد قليل : (إِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِيْنَ) (٦) .

و لقد تكرَّر قوله تعالى في سورة الصَّافَّات عدَّة مرَّات يستثني فيها المخلَصين من عباده ليكونوا بمنجاة من مواقف الإثم و مواطن السُّوء ، و ليفوزوا بالخير و النَّعيم في الدُّنيا والآخرة . يقول تعالى : (إِنَّكُمْ لَذَائِقُوْا الْعَذَابِ ٱلْأَلِيْمِ * وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ * إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِيْنَ * أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُوْمٌ) (٧) و يقول تعالى : (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِيْنَ * إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِيْنَ) (٨) . و يقول أيضاً : (سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُوْنَ * إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِيْنَ) (٩)

---

(١) جامع البيان-٥/٢١٧ ، ٢١٨ عند قوله تعالى: (إلاَّ الَّذين تابوا و أصلحوا و اعتصموا...) [سورة النِّساء ، رقم ١٤٥]

(٢) سورة الأعراف ، الآية رقم ٢٩

(٣) سورة الزُّمر ، الآية رقم ٢ ، ٣

(٤) نفس السُّورة ، الآية رقم ١١- ١٥

(٥) سورة الحجر ، الآية رقم ٣٩ ، ٤٠

(٦) نفس السُّورة ، الآية رقم ٤٢

(٧) سورة الصَّافَّات ، الآية رقم ٣٨ - ٤١

(٨) نفس السُّورة ، الآية رقم ٧٣ ، ٧٤

(٩) نفس السُّورة ، الآية رقم ١٥٩ ، ١٦٠

ثمرات الإخلاص

يقول الدُّكتور أحمد الشِّرباصي : و للإخلاص ثمرات كثيرة جليلة ، منها ما يلي :

أوَّلاً . محبَّة الله تعالى لمن أخلص له ، فقد جاء في الأثر أنَّ الله تعالى يعطي الإخلاص لمن يحبُّه ، كما يقول الرَّسول صلَّى الله عليه و سلَّم فيما يرويه ابن ماجه : (مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى ٱلإِخْلاَصِ للهِ وَحْدَهُ وَ عِبَادَتِهِ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، وَ إِقَامِ الصَّلاَةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةَ مَاتَ وَ اللهُ عَنْهُ رَاضٍ) (١)

ثانيًا . قبول الله تعالى من المخلص ، لأنَّ الحديث يقول : (إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ خَالِصاً ، وَ ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) (٢)

ثالثًا . انقطاع الوسواس عن الإنسان ، و لذلك يقول أبو سليمان الدَّاراني الصُّوفي : إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسواس و الرِّياء .

رابعاً . صرف السُّوء و الفحشاء عن الشَّخص المخلص ، و لعلَّ هذا بعض ما نفهمه من قول الله تعالى عن يوسف عليه السَّلام : (وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لاَ أَنْ رَآى بُرْهَانَ رَبِّهِ ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ وَ الْفَحْشَاءَ ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ) (٣)

خامساً . تفجُّر الحكمة من المخلص ، فقد قال مكحول : (ما أخلص عبد قطُّ أربعين يوماً إلاَّ ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

سادساً . نصر الله للمخلص ، لقول النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلمَّ فيما يرويه النَّسائي : (إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ ٱلأُمَّةِ بِضُعَفَائِهَا وَ دَعْوَتِهِمْ وَ إِخْلاَصِهِمْ) (٤)

سابعاً . زيادة مضاعفة الحسنات ، فإذا كان الله تبارك و تعالى قد وعد ـ و هو الكريم و صاحب الفضل العظيم ـ بأن يثيب على الحسنات بأضعافها ، و قال : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) و وعد بأكثر من العشرة إلى سبعمائة ضعف ، بل إلى ما فوق السَّبعمائة ،

(١) سنن ابن ماجه – ج١– ص ٢٧ – حديث رقم – ٧٠ عن أنس بن مالك رضي الله عنه . و سنده ضعيف .

(٢) رواه النَّسائي –كتاب الجهاد – ج٦ – ص ٢٥ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

(٣) سورة يوسف ، الآية رقم ٢٤ .

(٤) سنن النَّسائي – كتاب الجهاد – ج٦ – ص ٤٥ عن مصعب سعد عن أبيه .

فإنَّ الزِّيــادة في الأضعــاف تنمو بحسب تمكُّن الإخلاص من نفس المؤمن ، فكلَّما زادت مكانته في الإخلاص علوًّا زادت مثوبتـه على الحسنات أضعــافاً مضاعفــة ، و الله يضـاعف لمن يشاء ، و الله واسع عليم . و لهذا قال معاذ بن جبل رضي الله عنه :" لَمَّا بعثني رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم إلى اليمن قلت لـه : يا رسول الله ! أوصني ! فقــال : (أَخْلِصْ دِيْنَكَ يَكْفِكَ الْعَمَلُ الْقَلِيْلُ) أي : اجعـل إيمانك خـالصاً ممَّا يشوبـه من شهـوات النَّفس ، و اجعل طاعتــك كلَّها لوجه الله يصبح القليل من عملك كثيراً مباركاً " (١)

الطَّريق إلى الإخلاص

و الطَّريق إلى الإخلاص هو محاربـة أهـواء النَّفس و مقاومـة الطَّمع في الدُّنيا و أهلها ، و التَّجرُّد للإقبال على الآخرة و إحياء خشية الله في القلب . يقول الإمام ابن القيِّم رحمه الله : فإذا حدَّثتك نفسك بطلب الإخـلاص فأقبل على الطَّمـع أوَّلاً ، فاذبحه بسكِّـين اليأس ، و اقبـل على المدح و الثَّنـاء فازهـد فيهما زهـد عشَّاق الدُّنيـا في الآخرة ، فإذا استقـام لك ذبح الطَّمع و الزُّهـد في الثَّناء و المدح سهل عليك الإخلاص ، فإن قلت : و ما الَّذي يسهل على ذبح الطَّمع و الزُّهد في الثَّنــاء و المدح ؟ قلت : أمَّا ذبح الطَّمع فيسهِّل عليك علمك يقيناً أنَّه ليس شيئ يطمع فيه إلاَّ و بيـد الله وحـده خزانتـه لا يملكهـا غيره ، و لا يـؤتي العبـدَ منهـا شيئاً سواه . و أمَّـا الزُّهـد في الثَّنــاء و المـدح فيسهِّلـه عليـك علمـك أنَّـه ليس أحـد ينفـع مدحـه و يـزين و يضرُّ ذمُّـه و يشين إلاَّ الله وحـده . قال ذلك الأعـرابي للنَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم : إنَّ مدحي زين و ذلِّي شين ، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم : ذَلِكَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ ... (٢)

(١) موسوعة أخلاق القرآن – ج٢– ص ١٨٠ ــ ١٨٢ و الحديث أخرجه الحاكم في مستدركه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه –كتاب الرِّقاق– حديث رقم (١/٧٨٤٤) ج٤– ص٣٤١

(٢) نقله في موارد الظَّمآن لدروس الزَّمان – ج١– ص ١٣١ . و انظر هداية المرشدين – ص ١١٦

تصحيح النِّيَّة

و للنِّيَّـــة ارتبــاط وثيـق بالإخــلاص ، فالإخــلاص هـو تطهير النِّيَّـة ، و تنقيتهـا من الأوشاب و تجريدها لله تعالى .

و النِّيَّة في كلام العلمـاء تقع بمعنيـين : أحدهما تمييز العبادات بعضها عن بعض ، كتمييز الغسل من الجنـابة من غسل التَّبرُّد و التَّنظيف و نحو ذلك ، و هـذا المعنى هو الَّذي يريـده الفقهـاء من النِّيَّـة في كتبهم . و المعنى الثَّاني : تمييز المقصود بالعمل ، و هل هو لله وحده لا شريك له أم لله و غيره ، و هذه النِّيَّـة الَّتي يتكلَّم فيها العـارفون في كتبهم على الإخـلاص و توابعه ، و هي الَّتي توجـد في كلام السَّلف (١) . و هــذه النِّيَّـة هي المقصودة بالحـديث هنـا ، و هي الَّتي لا يتحقَّق الإخـلاص إلاَّ بتجريدها لله عـزَّ و جـلَّ و تصفيتهـا من الشَّوائب و تصحيحهـا . و قد عني بها القرآن الكريم عناية بالغة ، و تحدَّث عنها في مواطن كثيرة ، و بأساليب شتَّى و تعبيرات مختلفة . قال الله تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيْـدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَـا لَهُ فِيْهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُّرِيْـدُ ، ثُمَّ جَعَلْنَـا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوْماً مَّدْحُوْراً) (٢) . و قال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِيْنَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيْهَا ، وَ هُمْ فِيْهَا لاَ يُبْخَسُوْنَ* أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ ، وَ حَبِطَ مَا صَنَعُوْا فِيْهَـا ، وَ بَـاطِلٌ مَّا كَانُـوْا يَعْمَلُـوْنَ) (٣) . و قـال تعالى : (مَنْ كَانَ يُرِيْـدُ حَرْثَ ٱلآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِيْ حَرْثِـهِ ، وَ مَنْ كَانَ يُرِيْـدُ حَـرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِـهِ مِنْهَا ، وَ مَا لَهُ فِى ٱلآخِـرَةِ مِنْ نَّصِيْبٍ) (٤) . و قـال تعـالى : (فَـآتِ ذَا الْقُـرْبَى حَقَّـهُ وَ الْمِسْكِـيْنَ وَ ابْنَ السَّبِيْلِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِيْنَ يُرِيْـدَوْنَ وَجْهَ اللهِ ، وَ أُوْلَئِكَ هُـمُ الْمُفْلِحُوْنَ * وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ رِّبًا لِيَرْبُوَ فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوْ عِنْدَ اللهِ ، وَ مَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيْدُوْنَ وَجْهَ اللهِ ، فَأُوْلَئِكَ هُـمُ الْمُضْعِفُوْنَ) (٥)

(١) انظر جامع العلوم و الحكم لابن رجب – ج١– ص ١٧

(٢) سورة الإسراء ، الآية رقم ١٨

(٣) سورة هود ، الآية رقم ١٥ ، ١٦

(٤) سورة الشُّورى ، الآية رقم ٢٠

(٥) سورة الرُّوم ، الآية رقم ٣٨ ، ٣٩

و قال تعـالى : (لَنْ يَّنَـالَ اللهَ لُحُوْمُهَا وَ لاَ دِمَـاؤُهَا ، وَ لَكِنْ يَّنَـالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) (١) . و قال تعالى : (وَ مَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزَى * إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلأَعْلَى * وَ لَسَوْفَ يَرْضَى) (٢) إلى غير ذلك من الآيات . و جاءت السُّنَّة مؤيِّدة للقرآن ، مؤكِّـدة معنى النِّيَّـة رافعة من قدرها ، منوِّهـة بذكرها ، مبيِّنة ضرورتها و أهمِّيّتها في أحاديث كثـيرة جـدًّا . أخـرج الشَّيخان عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه مرفـوعاً بلفظ (إِنَّمَا ٱلأَعْمَالُ بِالنِّيَّـاتِ ، وَ إِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَـوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُـهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَّنْكِحُهَـا فَهِجْرَتُـهُ إِلَى مَا هَـاجَرَ إِلَيْهِ) (٣) . و عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً بلفظ (يَغْزُوْ جَيْشٌ الْكَعْبَـةَ ، فَإِذَا كَانُوْا بِبَيْـدَاءَ مِنَ ٱلأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَ آخِـرِهِـمْ ، قَـالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُوْلَ اللهِ ! كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِـمْ وَ آخِرِهِـمْ وَ فِيْهِـمْ أَسْوَاقُهُـمْ وَ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ، قَالَ : يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَ آخِرِهِـمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُـوْنَ عَلَى نِيَّـاتِهِمْ) أخرجه الشَّيخان و اللَّفظ للبخاري (٤) . و عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال : (كنَّـا مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم في غـزاة فقال : إِنَّ بِالْمَدِيْنَةِ لَرِجَالاً ، مَا سِرْتُمْ مَّسِيْراً وَ لاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كَانُوْا مَعَكُمْ ، حَبَسَهُمُ الْمَرضُ ، و في رواية : إِلاَّ شَرَكُوْكُمْ فِي ٱلأَجْرِ) (٥)

و عن أبي هريـرة رضي الله عنه مرفوعـاً بلفظ (إِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُـمْ وَ لاَ إِلَى صُوَرِكُـمْ وَ لَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوْبِكُـمْ) (٦) و عن أبي موسى رضي الله عنه قـال : سئل رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم عن الـرَّجل يقـاتل شجاعـة و يقـاتل حميَّـة ، و يقاتل ريـاءً أيُ ذلك في سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (مَنْ قَاتَلَ لِتَكُوْنَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَـا فَهُوَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ) متَّفق عليه و اللَّفظ لمسلم (٧).

---

(١) سورة الحجِّ ، من الآية رقم ١٨

(٢) سورة اللَّيل ، الآية رقم ١٩ ـ ٢١

(٣) الحديث صدَّر به البخاري صحيحه و رواه في مواضع عديدة أخرى منه ، و رواه مسلم في صحيحه- كتاب الإمارة – ج١٣- ص ٥٣ . و راه غيرهما

(٤) صحيح البخاري –كتاب البيوع – ج٢- ص ١٣ . و صحيح مسلم –كتاب الفتن – ج ١٨- ص ٥ ، ٦

(٥) صحيح مسلم –كتاب الإمارة – ج١٣- ص ٥٦

(٦) صحيح مسلم —كتاب البرِّ و الصِّلة – ج ١٦ – ص ١٢١

(٧) صحيح البخاري –كتاب الجهاد – ج٢- ص ١٣٩ . و صحيح مسلم –كتاب الإمارة – ج١٣ – ص ٤٩

و فى الصَّحيحين عن سعد بن أبي و قَّاصٍ رضي الله عنه مرفوعًا (إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِيْ بِهَا وَجْــهَ اللهِ إِلاَّ أُثِبْتَ عَلَيْهَــا حَتَّى اللُّقْمَــةَ تَجْعَلُهَــا فِيْ فِى امْـرَأَتِكَ) (١) . و اهتــمَّ السَّلف الـرَّاشد بأمر النيَّة أشدَّ الاهتمام . و قد أثرت عنهم في ذلك أفـانين من الأقـوال و العبــارات . روى ابن أبى الدُّنيا عن عمر رضي الله عنه قال : لا عمل لمن لا نيَّـة له ، و لا أجر لمن لا حسبة له .
و عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لا ينفع قـول إلاَّ بعمل ، و لا ينفع قول و عمل إلاَّ بنيَّـة ، و لا ينفـع قول و عمل و نيَّـة إلاَّ بما وافق السُّنَّة . و قـال يحيى بن أبي كثـير : تعلَّموا النِّيَّـة فإنَّها أبلغ من العمل . و عن سفيــان الثَّـوريِّ قال : ما عـالجت شيئًا أشدَّ عليَّ من نيَّتي لأنَّهـا تتقلَّب عليَّ . و عن ابن المبارك قال : رُبَّ عملٍ صغيرٍ تعظِّمه النِّيَّة ، و رُبَّ عملٍ كبيرٍ تصغِّره النِّيَّة (٢). و كان معروف الكرخي يضرب نفسه و يقول : يا نفسي ! أخلصي تتخلَّصي . و قال سليمان : طوبى لمن صحَّت له خطوة واحـدة لا يريـد بها إلاَّ الله تعالى . و كتب عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريِّ : من خلصت نيّته كفـاه الله تعالى ما بينه و بين النَّاس . و قال أيُّوب السَّختيـانى : تخليص النِّيَّـات على العمَّال أشدُّ عليهم من جميع الأعمال (٣) . و عن زبيد قال : يسرُّني أن يكون لي في كلِّ شيء نيَّة حتَّى فى الأكل و النَّوم (٤)

الإخلاص و الدُّعاة

لقد وضحت أهمِّيَّة الإخلاص و ضرورته و مكانته . بما سبق ـ غاية الوضوح ـ و إنَّ أهمِّيَّته بالنِّسبة للدُّعـاة إلى الله أشدُّ و آكد . و لعلَّ السِّرَّ في إخفـاق الدُّعـاة اليوم ، و ذهاب كثـير من الجهود المبذولة في ميـدان الدَّعوة و الإرشاد و الإصلاح سدًى و تنـازع الجماعـات و الحركات الدَّعويَّـة فيما بينها و تفرُّق صفوف القائمين بأمر الدَّعوة ـ لعلَّ السِّرَّ في ذلك كلِّه ـ هو فقدان الإخلاص إنَّ الاختـلاف فى الآراء و الاجتهـادات أمر وارد و لا يضرُّ ، و لكنَّ الدَّاء العضال ، و المشكلة

(١) صحيح البخاري –كتاب الفـرائض – ج٤ – ص ١٦٥ ، ١٦٦ . و صحيـح مسلم – كتاب الوصيَّـة – ج١١ – ص ٧٧ . ٧٩

(٢) ذكر هذه الأقوال ابن رجب في جامع العلوم و الحكم – ج١ – ص ٢٢ ، ٢٣

(٣) إحياء علوم الدِّين – ج٤ – ص ٣٩٨ ، ٣٩٩

(٤) كتاب الزُّهد لابن المبارك – ص ٦٤

القاصمة للظَّهر هي التَّخالف و التَّنازع و التَّنافر و التَّناحر. و الدَّواء النَّافع و الحلُّ النَّاجع إنَّما هو الإخلاص . فلو صحَّ الإخلاص لصحَّ الوداد و اجتمعت القلوب ، و توحَّدت الصُّفوف ، و تكلَّلت المساعي بالنَّجاح .

و تأتي أهمِّيَّة الإخلاص بالنِّسبة للدُّعاة من نواح عديدة ، فالدُّعاة سالكون مسلك الأنبياء ، مقتفون على آثارهم ، قائمون بدعوتهم . و قد كان الإخلاص سمتهم البارزة و شعارهم الجليَّ . يقول نوح عليه الصَّلاة و السَّلام لقومه : (وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِيْنَ) (١) و يقولها هود (٢). ثمَّ يقولها صالح (٣) . ثمَّ لوط ثمَّ شعيب (٤) . و أخيراً يأمر الله خاتم الأنبياء أن يقولها : (قُلْ : مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِيْنَ) (٥)

و الإخلاص يكسب الدَّاعية شجاعة نادرة و جرأة منقطعة النَّظير في قول الحقِّ و الإقدام على ما يراه مصلحة دون تردُّد و لا دجل ، و ذلك لأنَّه لا يطمع في أحد فيراعيه أو يداريه ، و لا يخاف أحداً من النَّاس فيجبن عن قول الحقِّ له .

و الدَّاعية المخلص لا يريد من دعوته إلاَّ وجه الله ، إنَّه لا يريد أن يحظى بمكانة اجتماعيَّة مرموقة ، و لا يهمُّه كثيراً أن يكون ذا صيت بين النَّاس أو حامل الذِّكر مغموراً ، إنَّه لا يهتمُّ بثناء النَّاس و لا يغتمُّ لمذمَّتهم ، و لا يبغى من دعوته أن يجمع حطام الدُّنيا ، إنَّما يهمُّه أن تعلو كلمة الله ، و ترتفع راية الله ، و تعزَّ دعوة الله و تنتشر في الأرض . إنَّ الدَّاعية المخلص يسرُّ إذا تحقَّق الخير على يدي غيره كما يسرُّ لو تحقَّق على يديه ، لأنَّ قصده تحقُّق الخير ممَّن كان و على يدي من كان . فينبغي للدَّاعي أن يتحلَّى بالآداب الشَّرعيَّة و الإخلاص في الدَّعوة إلى الله تعالى حتَّى يكون وارثاً نبويًّا و عالماً ربَّانيًّا ، و أن يعلم أنَّه لا يجتمع الإخلاص في القلب و محبَّة المدح و الثَّناء فيما عند النَّاس إلاَّ كما يجتمع الماء و النَّار و الضَّبُّ و الحوت ، و أن

(١) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ١٠٩

(٢) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ١٢٧

(٣) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ١٤٥

(٤) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ١٦٤ ، ١٨٠

(٥) سورة ص ، الآية رقم ٨٦

يبالغ في رياضة النَّفس على اجتناب الرِّياء و الحـذر من مكائد الشَّيطان و حبائل الهوى ، و أن يبتعـد عن العجب بالفعل ، و أن لا يعبـأ بما يسعى إليـه الكثـيرون من لذَّة الاستيـلاء و الفـرح بالاستتباع .

و من الأشياء المؤثِّـرة فى القلب غايـة التَّأثير أعـلاها الإخـلاص بأيِّ عمل كان ، و منها الحسن و الجمال ، و منهـا الصَّوت الجميل ، و لا مانع أن يقـال : لكلِّ كمـال و جمال تأثيـر بليـغ فى النُّفوس و نفوذ سريع في أعماق القلوب . و هذه كلُّها بديهيَّـة ثابتة بالتَّجربـة لا تحتاج إلى دليل و برهان . و الله أعلم بالصَّواب .

الفصل الثَّالث : أسلوب الدَّعوة

نجد كثيراً من الدُّعـاة إلى الإسلام أدواتهم فى الدَّعوة عقيمـة ، و أساليبهم غير موصلة . و ليس للدَّعوة مناهج محدَّدة أو خطَّة ثابتة ، و حركة الدَّعوة في داخل البلاد الإسلاميَّة الواعية و المؤهِّلة للدَّعوة و خارجها تتمُّ بطريقة عشوائيَّـة عاطفيَّة ، و لا تقوم على أسس علميَّـة ، و الأمر متروك لشخص الدَّاعيـة و إمكاناتـه العلميَّـة و الثَّقافيَّـة و الفكريَّـة ، كما نجـد قصوراً كبـيراً في عمليَّـة الدَّعـوة ، و لا تـزال توجـد أصقـاع كبـيرة على ظهر الأرض لا تعرف شيئاً عن الإسلام ، و إذا عرفت شيئاً فأكثره زيف و تحريف يسيئ أكثر ممَّا يحسن .

و هذا يدعونا إلى تقديم دراسة جادَّة عن الدَّعائم الَّتي يقوم عليها أسلوب الدَّعوة فى الإسلام من خلال التَّوجيهات القرآنيَّـة و ما يوحي بـه القصص الحقُّ من أساليب للدَّعوة نلتمسها من المنهج الحكيم للرُّسل و الأنبياء (١) . و أتناول هنا من تلك الدَّعائم جوانب و هي كما يلي :

أوَّلاً : الحكمة

ثانيًّاً : الموعظة الحسنة

ثالثاً : الجدل بالَّتي هي أحسن

١ . الحكمـة : و تـأتي الحكمـة لمعـان كثـيرة : العـدل و العـلم و الحـلم و النُّبـوَّة و القـرآن و الإنجيل (٢) . و الحكمة إصابـة الحقِّ بالعلم و العمل . و وردت بمعنى الحلم و هو ضبط النَّفس و الطَّبع عن هيجان الغضب ، فإذا كان هذا صحيحاً فهو قريب من معنى العدل (٣)

و الغرض هنا أن نعبِّر عنها بأنَّه هو حثُّ الإنسان على أن تكون أقواله و أفعاله و تدبيراته تابعة للحكمة ، موافقـة للصَّواب ، غير متقدِّمة على أوانها و لا متأخِّـرة ، و لا فيهـا زيادة عمَّا ينبغي و لا نقص ، و أن يكون في كلِّ فرد من أفـراد حركاته المذكورة مجتهداً في معرفة نفعه و صلاحه ، سالكاً أقـرب طـريق موصل لـه إلى ذلك . و بتحقيق هـذا يعـرف كمال عقل الإنسان و رزانتـه و لبُّه و به تدرك الأمور و تنجح المقاصد (٤)

(١) الدَّعوة فى الإسلام عقيدة و منهج – ص ٦٢ ، ٦٣

(٢) القاموس المحيط للفيروزا بادي – ص ١٤١٥

(٣) تاج العروس للزَّبيدي – ج٨– ص ٢٥٣

(٤) الرِّياض النَّاضرة و الحدائق النَّيِّرة الزَّاهرة فى العقائد و الفنون المتنوّعة الفاخرة – ص ٨٧ ، ٨٨

و قد علَّم النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم أصحابه الحكمة في سنَّته الرَّاشدة الَّتي حوَّل فيها تشريع ربِّ العالمين فى القرآن الكريم إلى تطبيق عمليٍّ سديد ، و أقوال حكيمة و توجيهات رائعة .

و أمثل ما فى الحكمة الوقوف على حدود الشَّريعة ، ففي سورة الإسراء يبيِّن لنا ربُّنا حقَّ الله فى العبادة و حقَّ الأبوين فى البرِّ و حقَّ الأقارب فى الإحسان و حقَّ المجتمع فى الاقتصاد و البعد عن التَّبذير و التَّقشير و الكفَّ عن الزِّنا و الرِّبا و السِّحر و قتل النَّفس ، و بعد هذا يقول ربُّنا تبارك و تعالى مشيراً إلى هذا السِّجلِّ من الأوامر و النَّواهي : (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) (١)

و ما من نبيٍّ إلاَّ آتاه الله الحكمة ، ذلك لأنَّها جوهر الرِّسالة بما فيها من أحكام ، و عدَّة الرُّسل في تبليغهم ما أوحي إليهم من رسالات ربِّهم ، بما تستلزمه من ضبط اللِّسان و رقَّة الكلام و حسن الخلق . يقول ربَّنا تبارك و تعالى في شأن داود عليه السَّلام : (وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصْلَ الْخِطَابِ) (٢) . و في نصيحة لقمان لابنه الَّتي سجَّلها القرآن الكريم على لسانه نرى تفسيراً جديدًا للحكمة . إذ يقول جلَّ شأنه : (وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للهِ ، وَ مَنْ يَّشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ) إلى قوله تعالى : (وَ اقْصِدْ فِيْ مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيْرِ) (٣) .

ففيم كانت حكمة لقمان كما فسَّرتها الآيات التَّالية ؟

تبدو في تحذيره ابنه من الشِّرك ، و دعوته للبرِّ بوالديه و أمره بإقامة الصَّلاة و الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر و الصَّبر على ما أصابه إلى آخر ما حذَّر منه لقمان ابنه . فمن مظاهر الحكمة أن يوفَّق الدَّاعي في دعوته و أن يحسن نصيحته صياغةً و مضمونًا و شكلاً و موضوعًا و معنًى و أسلوبًا . و هذا هو ما فعله لقمان الحكيم ، و هو جانب أمثل من جوانب الحكمة . و إذا كانت الحكمة تتمثَّل في إخلاص العبادة و الالتزام بشريعة الله و العمل بكتابه ، و تطبيق

(١) سورة الإسراء ، الآية رقم ٣٩

(٢) سورة ص ، الآية رقم ٢٠

(٣) سورة لقمان ، الآية رقم ١٢ – ١٩

المناهـج الخلقيّـة فيـه كما تتمثّل في مخافـة الله و تقـواه و هما رأس الحكمـة . فإنّها تتحقّق بصـورةٍ أعمق و أكـبر عنـد ما تكون الحكمة منهجًـا و أسلوبًـا للدّاعيـة إلى الله سبحانـه و تعـالى (١)

و حكمة الدّعوة تتحقّق في أمورٍ :

١ . عنصر الزّمن . ٢ . البيئة المكانيّة . ٣ . العبارة و الصّياغة. ٤ . نزاهة العرض. ٥ . إثـارة النّوازع الإنسانيّة الّتي تعزّز الثّقّة فى الدّاعي . ٦- الجمهور الّذي يوجّه إليه الدّعوة .

أوّلا : عنصر الزّمن .

الزّمن إطار عـام يحكم حيـاة النّاس له بصماتـه و مؤثّـراته الّتي توجّـه سلوك النّاس توجيهًا خاصًّا و حكمة الدّاعي تتيح له فرصة استثمار الزّمن الّذي يعيشه لإنجاح دعوته . فـ "هود" عليه السّلام و هو يدعو قومه إلى الله يذكّرهم بما أتاحـه لهم الـزّمن الّذي يعيشون فيه من فرصة الخـلافة لقوم نوحٍ ، فيقول كما حكى لنا القرآن الكريم : (أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَـاءَكُمْ ذِكْـرٌ مِّنْ رَّبِّكُـمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ ، وَ اذْكُرُوْا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوْحٍ وَّ زَادَكُمْ فِي الْخَـلْقِ بَصْطَةً) (٢) . و كلّما كانت الدّاعية على صلةٍ بأحـداث عصره و على إلمام بظروفـه و ملابساته يعرض دعوتـه و يصوغ حجّتـه على ضوء الأحـداث الّتي يعيشها ضمن لدعوتـه التّأثـير و البـلاغ . و إذا كان بمعـزل عن العصر و أحـداثـه فإنّـه بهـذا يضرب في حـديد بـارد ، يقـدّم للنّـاس مـا لا يحسّونـه و لا يشعـرون بـه . و أبـرز دليل لذلك نـزول القـرآن الكريم منجّمًـا حسب الأحـداث الّتي تمرُّ بالدّعـوة . فمن حكمة الدّاعيـة أن يتوخّى المناسبة الزّمنيّـة ، ففي رمضـان يتحـدّث عن الصّيام و حكمته و رسالتـه التّربويّـة ، بأن يجعل الحـديث عن الصّيام إطاراً لعرض قضـايا كثيـرة يجهلها الكثيرون و فى الوقت نفسه له صلة بالصّيام . منها : انتصارات المسلمين على اختلاف العصور في رمضان . غزوة بدر و غزوة الفتح و ما وراءهما من انتصارات كبيرة . القرآن و علاقته بالصّيام و لماذا فرض الصّيام في شهر رمضان (٣)

هذا و يناسب له أن يتحدّث عن دعوة يوسف فى السّجن .

---

(١) الدّعوة فى الإسلام عقيدة و منهج – ص ٦٥ ، ٦٦

(٢) سورة الأعراف ، الآية رقم ٦٩

(٣) الدّعوة فى الإسلام عقيدة و منهج – ص ٧٠

ثانيًا : البيئة المكانيَّة .

و المكان الَّذي يقـوم فيه الدَّاعي بدعوته و ما يحيط به من ملابسات لا بدَّ أن يكون له حساب في تقدير الدَّاعية . فالنَّاس لهم في كلِّ مكان أعراف و تقـاليد ، و لهم مـألوفات ، و موروثـات ، و لهـم تـاريخهـم و الشَّكل الاجتمـاعيُّ المميِّز لهـم . و لأهـل كلِّ مكان حـرفتهـم من زراعـة أو صناعـة أو تجـارة أو صيد أو رعيٍ و نحوهـا . و أسلوب أهل المكان فى التَّعـامل متـأثِّر بذلك كلِّـه . و من هنـا كان المكان عنصرًا هـامًّا في عمليَّـة الدَّعـوة ، فآيـات القـرآن الكريم في مكَّةَ تحـدَّثت عن العقيدة الصَّحيحة و وجوه انحراف القوم عنها . ثمَّ قدَّمت لهم أحسن القصص عبرةً و موعظةً و تذكـرةً ، و حدَّثتهم عن يوم القيـامة و عن الجنَّـة و النَّـار ترغيبًا و ترهيبًا . لأنَّ هذه الموضوعـات تعـالج الانحرافـات الَّتي عـرف بها أهل مكَّة . و آيـات القرآن الكريم المدنيَّـة قدَّمت التَّشريعات الَّتي تلزم للدَّعوة في مهجرها الجديد ، لتكون مدداً دستوريًّا و تشريعيًّـا لكلِّ ما تحتاج إليه الدَّعوة في ظروفها الجديدة .

ثالثًا : العبارة و الصِّياغة و مخاطبة كلِّ إنسان على قدر فهمه و ثقافته .

العبـارة الَّتي يحملها فكر الدَّاعية و يصبُّ فيها منهجه و تعي حروفها و صوتياتها نبضات قلبه ، و هواجس نفسه لها أبلغ الأثـر في عمليَّة الدَّعوة . و نقل الفكر و الشُّعور ، و بقـدر أحكامها و سدادها تؤدِّي غايتها كما تؤكِّد حكمة الدَّاعي الَّذي يحملها .

و العبـارة اللُّغويَّـة تكون من باب الحكمة بقـدر ما تحمل من إيجـاز يضمُّ أصولـه القول ، و يردُّ فضولـه ، و بقـدر ما تـأتي نتيجـة لفهم و وعي و دراسة بحيث تمتلك نفس المدعوِّ و تأخذ عليه مشاعره و عواطفه . من ذلك هذا الموقف :

يقول فرعون لموسى : (فَمَا بَـالُ الْقُـرُوْنِ ٱلْأُوْلَى) (١) . فرعـون هنـا يتساءل عن مصير الأجـداد السَّابقـين الَّذين لم يؤمنـوا بمثل ما دعـا إليـه موسى ، و كان يمكن لو جانبتـه الحكمة أن يقـول مثـلاً : هـؤلاء كفـروا و ضـلُّوا و مصـيرهـم إلى النَّـار ، لكن منطـق الحكمـة جَنَبَـه هـذا الـرَّدَّ الَّذي يمكن أن يعقـد الموقف . و أملى عليـه قوله : (عِلْمُهَـا عِنْدَ رَبِّيْ فِيْ كِتَـابٍ ، لاَّ يَضِلُّ رَبِّيْ

(١) سورة طه ، الآية رقم ٥١

وَ لاَ يَنْسَى) (١) و تبدو حكمة العبارة في موقف آخر بصورة رائعة ، يقول فرعون : (وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِيْنَ) (٢) فهو يسأل عن صفات ربِّ العالمين و هو تطاول لا ينبغي و إجابته على ما سأل فيها إقرار لحمقه ، و هذا أمر لم يفعله موسى عليه السَّلام و إنَّما اتَّبع أسلوب الحكيم (قَالَ : رَبُّ السَّمَوَاتِ وَ ٱلأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوْقِنِيْنَ) (٣) . إنَّ العبارة الحكيمة هي الَّتي يمتلك بها صاحبها زمام الموقف بحيث لا يستطيع أحد لها ردًّا ، و لا يملك لها جواباً إلاَّ أن يختلق شيئاً يتحلَّل به من حصار الموقف الَّذي أحاطه به الدَّاعية الحكيم .

من ذلك موقف النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم على جبل الصَّفا و قد نجح في جمع بطون قريش من حوله : (أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِيْ تُرِيْدُ أَنْ تُغِيْرَ عَلَيْكُمْ ، أَكُنْتُمْ مَصَدِّقِيْ ؟ قَالُوْا : نَعَمْ ! مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِباً ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَ السَّلاَمُ : إِنِّيْ رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً) (٤)

رابعاً : نزاهة العرض

إنَّ من أبرز مظاهر الحكمة في أسلوب الدَّعوة العرض النَّزيه لما يحمله الدَّاعية من أفكار ، و المقصود بنزاهة العرض أن يقدِّم الدَّاعي دعوته و كأنَّها ـ هي الحقُّ الَّذي لا شكَّ فيه ـ قضيَّة مطروحة للمناقشة ، مؤيَّدة بالبراهين و الأدلَّة .

و أبلغ مثل لهذا أنَّ الله سبحانه و تعالى يعلِّم نبيَّه محمَّداً عليه الصَّلاة و السَّلام مطالبته المعارضين بالحجَّة و البرهان ، يقنعهم أنَّ دين الله جاء هادياً للعقول ، فلا يمكن أن يسفِّه من شأنها ، و ليس في دين الله ـ فيما عدا ما يتَّصل بذات الله ـ قضيَّة تفرض من غير حكمة كريمة أو غاية نبيلة . فعند ما قال بنو إسرائيل : (لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوْداً أَوْ نَصَارَى) قال ربُّنا لنبيِّه عليه أفضل الصَّلوات و التَّسليم (قُلْ : هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ) (٥). و عند ما قالوا :

---

(١) سورة طه ، الآية رقم ٥٢

(٢) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ٢٣

(٣) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ٢٤

(٤) رواه البخاري –كتاب التَّفسير – سورة الشُّعراء – ج٣– ص١٧١ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما

(٥) سورة البقرة ، الآية رقم ١١١

(لَنْ تَمَسَّنَا النَّـارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْـدُوْدَةً) قال الله تعالى لنبيِّـه : (قل : أَ تَّخَـذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْـداً فَلَنْ يُّخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ ، أَمْ تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُوْنَ) (١)

و من مظاهر العـرض النَّزيـه للدَّعـوة تأكيـد الدَّاعي للجـانب البشري فيـه ، فهـو ليس ملكاً ، و لا يحمل سرًّا و لا يملك ضرًّا و لا نفعاً ، و ليس عنـده خـزائن الأرض و لا تصريف الأمـور ، يقول تعالى : (قُـلْ : لاَّ أَقُـوْلُ لَكُمْ عِنْدِيْ خَـزَائِنُ اللهِ ، وَ لاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لاَ أَقُـوْلُ لَكُـمْ إِنِّيْ مَلَكٌ ، إِنْ أَتَّبِـعُ إِلاَّ مَا يُوْحَى إِلَيَّ ، قُـلْ : هَلْ يَسْتَوِى ٱلأَعْمَى وَ الْبَصِيْرُ ، أَ فَلاَ تَتَفَكَّـرُوْنَ) (٢)

خامساً : إثـارة النَّـوازع الإنسانيَّـة الَّتي تخلق الثِّقـة في الدَّاعي .

من مظاهر حكمـة الدَّعـوة أن يعمـد الدَّاعي إلى النَّـوازع الإنسانيَّـة في جماعتـه الَّتي يدعـوهـا ، و يذكر لهم انتماءاتـه إليهم و صلاته الوثيقـة بهم ، فقد يثير فيهم مشاعر القرابـة القريبة إذا كان يتحـدَّث في الأسرة أو العشـيرة . و إذا كانت الدَّعـوة على مـدى أوسع و أشمل يمكن أن يحـرِّك الرَّابطة الإنسانيَّـة و يستطيع من خلال إثـارة هـذه النَّـوازع كلِّها أن يقنـع النَّاس .

و الأمثلة على حكمـة إثـارة النَّـوازع و استثمـارها في خلق الثِّقـة بين الدَّاعي و من يدعـوه كثـيرة و متعـدِّدة . يحـدِّثنا القرآن عن دعـوة نوح لقومه و ما فيها من إثـارة رابطة الدَّم و النَّسب بينهم بالحرص على النِّـداء بقولـه " يَا قَـوْمِ ! " ممَّا يذكـر بروابط الدَّم الَّتي هي قـوام العلاقـة في الأسرة و العشـيرة و القبيلة ، يقول تعالى : (وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوْحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ، يَا قَوْمِ ! إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِيْ وَ تَذْكِـيْرِيْ بِآيَاتِ اللهِ ، فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوْا أَمْـرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ ، ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّـةً ، ثُمَّ اقْضُوْا إِلَيَّ وَ لاَ تُنْظِرُوْنِ) (٣) . و في رسالة هود لقومه عـاد يقول تعالى : (وَ إِلَى عَـادٍ أَخَـاهُـمْ هُـوْداً ، قَـالَ : يَا قَـوْمِ ! اعْبُـدُوا اللهَ ، مَا لَكُـمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْـرُهُ) (٤) . و في رسالة صالح لقومه هـود يقول تعالى : (وَ إِلَى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صَالِحاً ، قَالَ : يَا قَـوْمِ ! اعْبُدُوْا

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٨٠

(٢) سورة الأنعام ، الآية رقم ٥٠

(٣) سورة يونس ، الآية رقم ٧١

(٤) سورة هود ، الآية رقم ٥٠

الله ، مَا لَكُـمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْـرُهُ) (١) . (كَـذَّبَتْ ثَمُوْدُ الْمُرْسَلَيْنَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوْهُمْ صَالِحٌ : أَ لاَ تَتَّقُوْنَ ؟) (٢) . و في رسالة لوط إلى قومـه يقول تعالى : (كَذَّبَتْ قَـوْمُ لُوْطٍ الْمُرْسَلَيْنَ * إِذْ قَالَ لَهُـمْ أَخُـوْهُـمْ لُوْطٌ أَ لاَ تَتَّقُـوْنَ * إِنِّيْ لَكُـمْ رَسُوْلٌ أَمِـيْنٌ) (٣) . ثمَّ تأتي رسالـة النَّبيِّ عليه الصَّلاة و السَّلام و هو يحمل انتمائيَّة قويَّـة عميقـة إلى قومه يؤكِّـدها و يعتزُّ بها و يحرص على هدايتهم لأجلها ، كما قال تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُوْلٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيْزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيْصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِـيْنَ رَؤُوْفٌ رَّحِيْـمٌ) (٤) . و لَمَّا نزل قوله تعالى : (وَ أَنْـذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْـرَبِيْنَ) (٥) نادى بطـون قريش بطنًا بطنًا لأنَّهم جميعًـا عشيرتـه و أولى النَّاس بمودَّتـه و طاعتـه . و قد بيَّن لهم هـذا بقوله (لآ أَسْأَلُكُـمْ عَلَيْـهِ أَجْـرًا إِلاَّ الْمَـوَدَّةَ فِي الْقُـرْبَى) (٦) فهم أقربـاؤه لا يطلب لهم إلاَّ الخـير و المصلحـة و عليهـم أن لا يعصوه و لا يسبُّوه . و هـو لا يسألهـم غـرمًا أو مقـابلاً ، و كلُّ ما يرجوه هو أن يؤدُّوا حقَّ القرابـة الموجودة بينهم و بينه . يقول الزَّمخشري : لم يكن بطن من بطون قريش إلاَّ و بين رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم قـربى ، فلمَّا كذَّبوا و أبوا أن يبـايعوه نزلت هذه الآيـة . و المعنى لا تـؤذوني فى القـربى أي في حقِّ القـربى يعني أنَّكـم قـومي و أحـقُّ من أجـابني و أطاعني ، فإذا أبيتم ذلك فاحفظوا حقَّ القربى و لا تؤذوني ... (٧)

و الَّذي يبعث على العجب و الإعجـاب أنَّ ربَّنـا تبـارك و تعـالى يشفق عليـه ممَّا يعـانى منه من شقـاء و مشقَّـة من أجل حملهـم على الهدايـة فيقـول لـه : (مَا أَنْـزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُـرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِـرَةً لِّمنْ يَّخْشَى) (٨) و قـال تعـالى : (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّـرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِـمْ بِمُصَيْطِـرٍ) (٩)

(١) سورة هود ، الآية رقم ٦١

(٢) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ١٤١ ، ١٤٢

(٣) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ١٦٠- ١٦٢

(٤) سورة التَّوبة ، الآية رقم ١٢٨

(٥) سورة الشُّعراء ، الآية رقم ٢١٤

(٦) سورة الشُّورى ، الآية رقم ٢٣

(٧) الكشَّاف - ج٢ - ص ٣٣٩ ، ٣٤٠

(٨) سورة طه ، الآية رقم ٢ ، ٣

(٩) سورة الغاشية ، الآية رقم ٢١ ، ٢٢

ثمَّ أكَّـد لهم في مـوقف من مواقفـه أنَّ نـوازع القرابـة الَّتي أثـار فيهم لخلق الثِّقـة و قبول الدَّعـوة لن تفيـدهم شيئًا إذا أصرُّوا على الكفـر و الضَّـلال . و لأجل ذلك قـال لهم : (وَ مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) (١)

سادسًا : الجمهور الَّذي توجَّـه إليه الدَّعوة .

و نعني بهذا مظاهر حكمة الدَّاعية و الدِّراسة الجادَّة و الدَّقيقـة لمن يدعوهم و معرفة خصائصهم النَّفسيَّـة والفكريَّة حتَّى يكون أسلوب الدَّعـوة ملائمًا لهم ، ولا تكون هناك عقبـة مَّا في أسلوب الدَّعوة تحول بين القوم و بين قبولها . و قد مرَّ في البحث عن "عنصر الزَّمن" و" البيئة المكانيَّة" و يمكن أن يجمع هذه العناوين الثَّلاثة كلمة "رعاية مقتضى الحال" فينبغي للدَّاعية أن يلاحظ ما تقتضيه أحوال الأشخاص و المجتمعات الخصوصيَّة و العموميَّة من إلقاء درس أو خطابة أو شدَّة أو لـين أو جـدل بالحسنى أو ضرب مثل أو روايـة قصص أو إيجـاز أو إطنـاب فيمـا يقـول . إلى غـير ذلك ممَّا يختلف باختـلاف الأحـوال و الأشخـاص . و الجـامع لهذه المتفرِّقـات قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ...) (٢) و الحديث : (أَنْزِلُوْا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ) (٣) . فرعاية أحوال النَّاس من أسمى القواعـد التَّربويَّة و من ركائز الدَّعوة القوميَّـة و تنفيـذه و الامتثال له آيـة دالَّة على حكمة الدَّاعيـة و سداده . و القـرآن الكريم راعى المدارك العقليَّـة للنَّاس الَّذين عاشوا عصر نزولـه . و ذلك ببلاغتـه الفائقـة . لأنَّ القوم كانوا مثلاً عظيمًا في البلاغة. و كذلك بإجماله بعض القضايا العلميَّة الَّتي لو فصِّلت عجزوا عن استيعابها ، كما لا يمنـع إجمالها من إدراك ما فيها من روائع العلم و المعرفـة . فالدَّاعي إلى الله في جمهرة من المثقَّفين و أهل العلم لا بدَّ له أن يتخيَّر الأسلوب و ينتقي العبارة و يحرص على صحَّة المادَّة الَّتي يقدِّمها قائمة على حجج و براهـين تقنع العقل بلا مغالطة ، و الَّذين لم يؤتوا نصيبهم من العلم

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه – كتاب العلم – باب الحثِّ على طلب العلم – ج٣– ص ٣١٧ – حديث رقم– ٣٦٤٣ . و أحمد في مسنده – ج٢– ص ٢٥٢ عن أبي هـريرة رضي الله عنه . و لينظر لهذا الموضـوع الدَّعـوة في الإسلام عقيـدة و منهج – ص ٦٦ – ٩١ .

(٢) سورة النَّحل ، الآية رقم ١٢٥

(٣) أخرجه أبوداود في سننه – كتاب الأدب – باب في تنزيل النَّاس منازلهم– ج٤ – ص ٤٦١ عن عائشة رضي الله عنها

و المعرفة و هم العامَّة يحتاجون إلى بساطة الأسلوب و تيسير المادَّة المقدِّمة لهم و ضرب الأمثلة من واقع حياتهم و سوق القصص الحقِّ الَّذي يحفل بالدُّروس و المواعظ و العبر. و الَّذين يحملون عبأً الدَّعوة إلى الإسلام خارج بلاد الإسلام و بين شعوب لاتعرفه أو تدين بغيره يحملون عبأً أكبر في عمليَّة الإقناع ، تتَّجه إلى العقل ، و شواهد العلم ، و ظواهر الحياة . و من غير المفيد أن نستدلَّ لهم بالقرآن و السُّنَّة الصَّحيحة إلاَّ لنؤكِّد لهم أنَّ آيات العلم وراء آيات الكتاب العزيز و الدَّعوة إلى الإسلام بين سكَّان الغابات و المراعي و الأمم البدائيَّة لا بدَّ أن تقترن بما يؤكِّد أنَّ هذه الدَّعوة وراءها الأمن و الغذاء (١)

٢ . الموعظة الحسنة .

هي الدِّعامة الثَّانية الَّتي ينبغي أن يقوم عليها أسلوب الدَّعوة فى الإسلام . و الموعظة هي الكلمات الطَّيِّبات الَّتي تحرِّك القلب و المشاعر و تهزُّ الوجدان و الحسَّ . و تكون الموعظة حسنة طالما يتوخَّى صاحبها الرِّفق و يعمد إلى لين القول ، و يتجنَّب ما يولم و يؤذي من الألفاظ النَّابية ، و العبارة السَّيِّئة مع الحفاظ التَّام على الحقيقة و البعد عن الرِّياء و المداهنة (٢)

و حسن الموعظة يتحقَّق بأمور :

١ . القول اللَّيِّن ، المتَّسم بالرِّفق الَّذي يجنِّب فيه صاحبه الغلظة و الفظاظة ، و قسوة العبارة و لا سيَّما في مواجهة عليَّة القوم و ذوى المكانة فيهم ، فلا يحقِّرهم و لا يسفِّه من شأنهم . قال الله تعالى : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُوْلاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (٣) . و قد أشار القرآن الكريم إلى ما أثمره القول اللَّيِّن من نجاح دعوة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم و تأثيرها فى النَّاس فيقول تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيْظَ الْقَلْبِ لاَ انْفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ) (٤) . و قال صلَّى الله عليه وسلَّم : (إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُوْنُ فِيْ شَيْئٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَ لاَ يُنْزَعُ

(١) انظر هداية المرشدين – ص ١٨٨ . و الدَّعوة فى الإسلام عقيدة و منهج – ص ٨٩ ــ ٩١ .

(٢) الدَّعوة فى الإسلام عقيدة و منهج – ص ٩١ ، ٩٢

(٣) سورة طه ، الآية رقم ٤٣ ، ٤٤

(٤) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٥٩

مِنْ شَيْئٍ إِلاَّ شَانَـهُ) (١) . و قال عليه الصَّلاة و السَّلام : (إِنَّ اللهَ رَفِيْـقٌ يُحِبُّ الـرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ وَ يُعْطِيْ عَلَيْهِ مَا لاَ يُعْطِيْ عَلَى الْعُنْفِ) (٢)

و روى أبو أمامة أنَّ غـلاماً شابًّا أتى النَّبيَّ صلَّى الله عليه و سلَّم فقـال : يا نبيَّ الله ! أ تأذن لي في الزِّنـا ؟ فصاح النَّـاس بـه ، فقـال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : (أَ تُحِبُّـهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ : لاَ ! جَعَلَنِيَ اللهُ فِدَاءَكَ ، قَالَ : كَذَلِكَ النَّاسُ لاَ يُحِبُّوْنَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ ، أَ تُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ . زاد ابن عوف : أنَّه ذكر العمَّة و الخـالة و هو يقول في كلٍّ واحـدة : لا ! جَعَلَنِيَ اللهُ فِـدَاءَكَ . فَوَضَعَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَ قَالَ : اللَّهُمَّ ! طَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَ حَصِّنْ فَرْجَهُ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْئٌ أَبْغَضَ إِلَيْهِ مِنْهُ ، يَعْنِي الزِّنَا) (٣) . قال الإمام الغزالي : و يدلُّ على وجوب الرِّفق ما استدلَّ بـه المأمون إذ وعظه واعظ و عنَّف له في القول فقـال : يا رجل ! ارفـق فقد بعث الله من هـو خير منك إلى من هو شرٌّ منِّي ، و أمره بالرِّفـق ، فقال تعالى : (فَقُوْلاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّـرُ أَوْ يَخْشَى) (٤) قال ابن تيميَّة رحمه الله : فلا بدَّ من العلم و الرِّفـق و الصَّبر ، و هذا كما جـاء في الأثـر عن بعض السَّلف و رووه مرفـوعاً ذكره القـاضي أبو يعلى في " المعتمـد " لا يأمر بالمعـروف و ينهى عن المنكر إلاَّ من كان فقيهاً فيما يأمر بـه ، فقيهاً فيما ينهى عنه ، رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقـاً فيما ينهى عنه ، حليماً فيما يأمر به ، حليماً فيما ينهى عنه (٥) . و لا يلـزم من هـذا أنَّه لا يجـوز التَّعنيف مطلقاً ، بل يجـوز تعاطيـه عنـد الحاجة . قال الإمام الغـزالي : الدَّرجة الرَّابعـة : السَّبُّ و التَّعنيف بالقـول الغـليظ الخشن ، و ذلك يعـدل إليـه عنـد العجـز عن المنـع باللُّطف و ظهور مبادئ الإصرار و الاستهـزاء بالوعظ و النُّصح ، و ذلك مثل قول إبراهيم عليه السَّلام : (أُفٍّ لَّكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَ فَلاَ تَعْقِلُوْنَ) (٦)

(١) أخرجه مسلم في صحيحه –كتاب البرِّ – باب الرِّفق – ج ١٦– ص ١٤٦ عن عائشة رضي الله عنه

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه –كتاب البرِّ – باب الرِّفق – ج ١٦– ص ١٤٦ عن عائشة رضي الله عنه

(٣) أخرجه أحمد في مسنده – ج٥٢– ص ٢٥٦ . قال العراقي : رواه أحمد بإسناد جيِّد رجاله رجال الصَّحيح . انظر تخريج العراقي لإحياء علوم الدِّين – ج٢– ص ٣٦٣

(٤) سورة طه ، الآية رقم ٤٤

(٥) الأمر بالمعروف و النَّهي عن المنكر لابن تيميَّة ص ٣١

(٦) سورة الأنبياء ، الآية رقم ٦٧ ، و انظر إحياء علوم الدِّين – ج٢– ص ٣٥٨

٢ . فصاحة العبارة و بعدها عن الألفاظ المستكرهة و النَّابية سواء من النَّاحية الصَّوتيَّة أو المعنويَّة . فليس من حسن الموعظة التَّقعُّر فى العبارة و التماس الألفاظ الغامضة و العبارة المبهمة الَّتي يقصد بها صاحبها التَّعالي على النَّاس و ادِّعاء العلم . و قد عدَّ النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم هذا النَّمط من الكلام مجافيًا للخلق الكريم ، فضلاً عن مجافاته للموعظة الحسنة إذ يقول صلَّى الله عليه و سلَّم : (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَ أَقْرَبِكُمْ مِّنِّي مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا الْمُوْطِئُوْنَ أَكْنَافًا ، الَّذِيْنَ يَأْلَفُوْنَ وَ يُؤْلَفُوْنَ ، وَ أَنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَ أَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُوْنَ ، الْمُتَفَيْهِقُوْنَ ، الْمُتَشَدِّقُوْنَ) (١)

٣ . الموعظة الحسنة توصل إلى التَّأثير العاطفيِّ بجانب الإقناع العقليِّ بالقضايا المعروفة و ذلك متوافر ، و ما بقي إلاَّ تحريك العاطفة ليكون فيها تزيُّل غشاوات الغفلة . و في مقام الجدل للإقناع برأي معيَّن لا تستحسن الإثارة ، إذ المطلوب في هذه الحالة الحجَّة و البرهان .

عن العرباض بن ساريَّة رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بليغة وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوْبُ وَ ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُوْنُ ، فَقُلْنَا يَا رَسُوْلَ اللهِ ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا . قَالَ : (أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَ السَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ وَ إِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِيْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيْرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِيْ وَ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ مِنْ بَعْدِيْ ، عَضُّوْا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَ إِيَّاكُمْ وَ مُحْدَثَاتِ الْأُمُوْرِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ) (٢)

٤ . التَّرغيب و التَّرهيب .

و الأصل فى التَّرغيب أن يكون في نيل رضا الله و رحمته و جزيل ثوابه فى الآخرة و أن يكون التَّرهيب بالتَّخويف من غضب الله و عذابه فى الآخرة . و هذا هو نهج رسل الله الكرام كما

(١) أخرجه التِّرمذيُّ في سننه –كتاب البرّ – باب ما جاء في معالى الأخلاق – ج٤– ص ٣٧٠ – حديث رقم – ٢٠١٨ . و أحمد في مسنده – ج٢ – ص ٣٦٩ عن جابر رضي الله عنه

(٢) أخرجه أصحاب السُّنن الأربعة سوى النَّسائي– سنن أبي داود –كتاب السُّنَّة – باب لزوم السُّنَّة – ج٤– ص ٢٠١ . سنن التِّرمذيُّ –كتاب العلم– باب ما جاء فى الأخذ بالسُّنَّة و اجتناب البدع – ج٥ – ص ٤٤– حديث رقم– ٢٦٧٦ . و سنن ابن ماجه – المقدِّمة – باب اتِّباع سنَّة الخلفاء الرَّاشدين – ج١– ص ١٥– حديث رقم – ٤٢ . و أحمد في مسنده – ج٤ – ص ١٢٦ .

بيّنه القرآن الكريم و جاءت السُّنَّة النَّبويَّـة المطهَّـرة . قال الله تعالى : (إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَ عَمِلُوْا الصَّـالِحَاتِ جَنَّـاتٍ تَجْـرِيْ مِنْ تَحْتِهَـا ٱلْأَنْهَـارُ ، وَ الَّذِيْنَ كَفَـرُوْا يَتَمَتَّعُوْنَ وَ يَأْكُلُوْنَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـامُ وَ النَّـارُ مَثْوًى لَّهُمْ) (١) . و مع أنَّ الأصل فى التَّـرغيب و التَّـرهيب يكون بالجـزاء فى الآخرة . فإنَّـه يجوز أن يكون بما يصيب المدعوِّين فى الدُّنيا من خير في حالة استجابتهم و ما يصيبهم من شرٍّ في حالة رفضهم . على أن لا يغفل الدَّاعي أبدًا عن التَّرغيب و التَّرهيب بالجزاء فى الآخرة . و من أمثلة ذلك :

١. قال الله تعالى : (وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ آمَنُوْا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوْا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِـمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْنَهُـمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُـمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُـمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ...) (٢)

٢ . و قال تعالى حكايـةً عن قول نوحٍ عليه السَّلام لقومـه : (فَقُلْتُ : اسْتَغْفِـرُوْا رَبَّكُـمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّـارًا * يُرْسِلِ السَّمَـآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا * وَ يُمْدِدْكُـمْ بِأَمْـوَالٍ وَّ بَنِيْنَ وَ يَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّـاتٍ وَّ يَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا) (٣)

٣ . ما قاله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عند ما جـاء أشراف قريش عمَّه أبا طالبٍ ليحـدِّثوه بشأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و طلبوا منه أن يكلِّمه ليكفَّ عنهم و يكفُّـوا عنه . فلمَّا كلَّم رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال عليه الصَّلاة و السَّلام : يا عمِّ ! كلمة واحدة تعطونيها ، تملكون بها العـرب و تدين لكم بها العجم . فقال أبو جهل : نعـم ! و أبيك و عشر كلمات . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : تقولون : لا إله إلا الله و تخلعون ما تعبدون من دونه (٤) . و قال تعالى فى الرَّجاء : (لاَ تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ) (٥) . و قال تعالى فى الخوف : (يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اتَّقُوْا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لاَ تَمُوْتُنَّ إِلاَّ

(١) سورة محمَّد ، الآية رقم ١٢ .

(٢) سورة النُّور ، الآية رقم ٥٥ .

(٣) سورة نوح ، الآية رقم ١٠ــ ١٢.

(٤) سيرة ابن هشام – القسم الأوَّل – ص ٤١٧ . و انظر أصول الدَّعوة لعبد الكريم الزَّيدان – ص ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٥) سورة الزُّمر ، الآية رقم ٥٣ .

وَ أَنْتُـمْ مُّسْلِمُـوْنَ) (١) . و جمع الله بينهما في آيـة واحـدة : (فَاسْتَجَبْنَـا لَـهُ وَ وَهَبْنَـا لَـهُ يَحْيَى وَ أَصْلَحْنَـا لَهُ زَوْجَـهُ إِنَّهُـمْ كَانُـوْا يُسَارِعُـوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ يَدْعُـوْنَنَا رَغَبًـا وَّ رَهَبًـا وَّ كَانُـوْا لَنَـا خَاشِعِيْنَ) (٢) و قال تعالى : (تَتَجَافَى جُنُوْبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَّ طَمَعًا وَّ مِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ يُنْفِقُوْنَ) (٣) . و أخرج ابن حبَّـان في صحيحـه عن أبي هـريرة رضي الله عنه مرفوعاً (لَوْ تَعْلَمُوْنَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيْـلاً وَّ لَبَكَيْتُمْ كَثِـيْراً ، فَأَتَـاهُ جِـبْرِيْلُ فَقَـالَ : إِنَّ اللهَ قَالَ لَكَ : لِمَ تُقَنِّطْ عِبَادِيْ ، قَالَ : فَرَجَعَ إِلَيْهِـمْ وَ قَالَ : سَدِّدُوْا وَ أَبْشِرُوْا) (٤) . قال عمر رضي الله عنه : لو نودي ليدخل النَّار كلُّ النَّاس إلاَّ رجلاً واداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الـرَّجل ، و لو نودي ليدخل الجنَّـة كلُّ النَّاس إلاَّ رجـلاً واحـداً لخشيت أن أكون ذلك الرَّجل . قال الغزالي رحمه الله : و هذا عبارة عن غـايـة الخـوف و الرَّجـاء و اعتـدالهما مع الغلبـة و الاستيـلاء ، و لكن على سبيـل التَّقـاوم و التَّساوي (٥)

٣ . الجدل بالَّتي هي أحسن

من أبـرز عنـاصر السَّداد في أسلوب الـدَّعـوة الجـدل بالَّتي هي أحسن . و الجـدل هـو الحـوار و تبادل الأدلَّـة و البراهين بين الأطراف دعماً لما يراه كلٌّ منهما من فكر و ما يعتقده من رأي . و يكون الجدل حسناً طالما كان نزيهاً يعفُّ عن المغالطة و ينآى عن المكابرة و يتجرَّد المتجادلان من الرَّغبة فى الانتصار للنَّفس بالحقِّ أو الباطل (٦) قال أحمد بن محمَّد الفيُّومي :" جـادل مجادلة و جـدالاً إذا خـاصم بما يشغل عن ظهور الحقِّ و وضوح الصَّواب ، هـذا أصله ثُمَّ استعمل على لسان حملة الشَّرع في مقابلة الأدلَّة لظهور أرجحها وهو محمود إن كان للوقوف على الحقِّ و إلاَّ

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٠٢

(٢) سورة الأنبياء ، الآية رقم ٩٠

(٣) سورة السَّجدة ، الآية رقم ١٦

(٤) صحيح ابن حبَّان - ٤- كتاب العلم - ذكر البيان بأنَّ على العالم أن لا يقنِّط عباد الله عن رحمة الله- حديث رقم- ١١٣- ج١- ص٣١٩

(٥) انظر إحياء علوم الدِّين - ج٤- ص ١٧٣

(٦) الدَّعوة فى الإسلام عقيدة و منهج - ص ٩٩

فمذموم " (١) . يعتبر الجدل صناعة الرُّسل و الدُّعاة ، لأنَّ تغيير العقائد ليس أمراً سهلاً ، و لذا أعطى الله رسله البيان ، و أرسلهم بلغة أقوامهم ، و منحهم القدرة على المخاصمة لكي يردُّوا جدل المعارض و يُقنعوا السَّائل ، و يأخذوا بيد الجميع عن طريق المناقشة و الحرَّة العاقلة .

نماذج للجدال :

١. قال الله تعالى : (وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَّ نَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ : مَنْ يُّحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيْمٌ * قُلْ : يُحْيِيْهَا الَّذِيْ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَّ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيْمٌ * الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً ، فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوْقِدُوْنَ * أَوَ لَيْسَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمَارَاتِ وَ الْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ ؟ بَلَى ! وَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيْمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَّقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ) (٢)

٢ . و قال تعالى : (وَ قَالُوْا : لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوْداً أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ : هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ * بَلَى ! مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ) (٣)

٣ . و قال تعالى : (قُلْ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ! تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ ، اَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ ، وَ لاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُوْنِ اللهِ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُوْلُوْا اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُوْنَ) (٤) .

و جدال إبراهيم و نوح و صالح و لوط مبسوط فى القرآن ، و أكتفي هنا بذكر جدال عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما للحروريَّة من الخوارج .

روي حين اجتمع بعضهم للخروج على عليٍّ رضي الله عنه فجعل الرَّجل يأتيه يقول له : يا أمير المؤمنين ! إنَّ القوم خارجون عليك ، قال : دعهم حتَّى يخرجوا ، حتَّى كان ذات يوم فدخل عليهم الصَّحابي الجليل عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما و هم قائلون فإذا هم مسهمة وجوههم من السَّهر من أثر السُّجود في جباههم ، كأنَّ أيديهم ثفن الإبل ، عليهم قمص مرحضة ، فقالوا : ما جاء بك يا ابن عبَّاس ، و ما هذه الحلَّة عليك ؟ قال : قلت :

(١) المصباح المنير – ج١– ص٩٣ . مادَّة جدل

(٢) سورة يس ، الآية رقم ٧٨ ــ ٨٢

(٣) سورة البقرة ، الآية رقم ١١١ ، ١١٢

(٤) سورة آل عمران ، الآية رقم ٦٤

و مـا تعيبون منِّي ذلك فلقد رأيت رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم ـ و عليـه أحسن ما يكون من الثِّياب اليمنيَّة ـ قـال : ثمَّ قـرأت هـذه الآيـة : (قُـلْ : مَنْ حَـرَّمَ زِيْنَـــةَ اللهِ الَّتِيْ أَخْـرَجَ لِعِبَـادِهِ وَ الطَّيِّبَـاتِ مِنَ الـرِّزْقِ) (١) فقـالوا : ما جـاء بك ؟ قال : جئتكم من عند أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم و ليس فيكم منهم أحد ، و من عند ابن عمِّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، و عليهم نزل القـرآن و هـم أعلم بتأويله ، جئت لأبلِّغكم عنهم و أبلِّغهم عنكم ، فقال بعضهم : لا تخاصموا قريشاً فإنَّ الله يقول : (بَلْ هُمْ قَـوْمٌ خَصِمُوْنَ) (٢) فقال بعضهم : بل فلنكلِّمه ، قـال : فكلَّمني منهم رجـلان أو ثلاثـة ، قـال : قلت : ما نقمتم عليه ؟ قالوا : ثلاثـاً ، قلت : ما هي ؟ قـالوا : حكم الرَّجل في أمر الله ، و الله يقول : (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ) (٣) قال : قلت : هذه واحدة ، و ماذا أيضاً ؟ قالوا : فإنَّه قاتَلَه و لم يَسبِ و لم يغنم ، فلئن كانوا مؤمنين ما حلَّ قتالهم ، و لئن كانوا كافـرين حلَّ قتـالهم و سبيهـم ، قال : قلت : و مـاذا أيضاً ؟ قـالوا : و محا نفسه من إمرة المؤمنين ، فإن لم يكن أمـير المؤمنين فهو أمـير الكافرين ، قال : قلت : أرأيتـم إن أتيتكم من كتاب الله و سنَّة رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم بما ينقض من قولكم هـذا أ ترجعون ؟ قالوا : و مالنا لا نرجع ؟ قلت : أمَّا قولكم : حكم الرِّجال في أمر الله ، فإنَّ الله قال في كتابه : (يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ تَقْتُلُوْا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ) (٤) و قال فى المرأة و زوجها : (وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَـاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُـوْا حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمـاً مِّنْ أَهْلِهَـا) (٥) فصـيَّر الله ذلك إلى حكم الرِّجـال فناشدتكم الله : أ تعلمون حكم الرِّجال في دماء المسلمين و في إصلاح ذات البين أفضل أم في ثمن أرنب ، ثمنه ربع درهم و في بضع امرأة ؟ قالوا : بل هذا أفضل ، قال : أخرجتم من هـذه؟ قالوا : نعم ! قال : أمَّـا قولكـم : قـاتل و لم يسب و لم يغنـم ، أ تَسْبُون أمَّكـم عـائشة ؟ فإن قلتـم نسبيها

(١) سورة الأعراف ، الآية رقم ٣٢

(٢) سورة الزُّخرف ، الآية رقم ٥٨

(٣) سورة الأنعام ، الآية رقم ٥٧ ، و سورة يوسف ، الآية رقم ٤٠ ، ٦٧

(٤) سورة المائدة ، الآية رقم ٩٥

(٥) سورة النِّساء ، الآية رقم ٣٥

فنستحلُّ منها ما نستحلُّ من غيرها فقد كفرتم ، و إن قلتم : ليست بأمِّنا فقد كفرتم فأنتم تردَّدون بين ضلالتين ، أخرجتم من هذه ؟ قالوا : نعم ! قال : أمَّا قولكم : محا نفسه من إمرة المؤمنين ، فأنا آتيكم بمن ترضون ، إنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه و سلَّم يوم الحديبيَّة حين صالح أبا سفيان و سهيل بن عمرو ، فقال أبو سفيان و سهيل بن عمرو : ما نعلم أنَّك رسول الله ، و لو نعلم أنَّك رسول الله ما قاتلناك ، قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (اللَّهُمَّ ! إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّيْ رَسُوْلُكَ . يَا عَلِيُّ ! اكْتُبْ : هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَ أَبُوْ سُفْيَانَ وَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو) فرجع منهم ألفان و بقي بقيَّتهم ، فخرجوا فقُتلوا جميعاً (١)

(١) الاعتصام للإمام الشَّاطبي - ج٣- ص ٣٥ . ٣٧

الفصل الرَّابع : التَّضحية في سبيل الدَّعوة بتحمُّـــل المشـــاقِّ و الصَّبـــر عليـــها

إذا استحكمت الأزمات و تعقَّدت حبالها ، و ترادفت الضَّوائق و طال ليلها ، فالصَّبر وحده هو الَّذي يُشعُّ للمسلم النُّور العاصم من التَّخبُّط و الهداية الواقية من القنوط . و الصَّبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه و دنياه ، و لا بدَّ أن يبني عليها أعماله و آماله و إلاَّ كان هازلاً ... يجب أن يوطِّن نفسه على احتمال المكاره دون ضجر ، و انتظار النَّتائج مهما بعدت و مواجهة الأعباء مهما ثقلت بقلب لم تعلق بــه ريبــة ، و عقل لا تطيش بــه كربــة ، يجب أن يظلَّ موفور الثِّقة بادي الثَّبات ، لا يرتاع نعيمة تظهر في الأفق و لو تبعتها أخرى و أخرى بل يبقى موقناً بأنَّ بوادر الصَّفو لا بدَّ آتية ، و أنَّ من الحكمة ارتقابها في سكون و يقين . و قد أكَّد الله أنَّ ابتلاء النَّاس لا محيص عنه حتَّى يأخذوا أهبتهم للنَّوازل المتوقِّعة ، فلا تذهلهم المفاجئات و يضرعوا لها . قال الله تعالى : (وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِيْنَ وَ نَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) (١) (٢) قال الإمام الغزالي :" اعلم أنَّ الصَّبر مقام من مقامات الدِّين و منزل من منازل السَّالكين . و جميع مقامات الدِّين إنَّما تنتظم من ثلاثة أمور : معارف و أحوال و أعمال ، فالمعارف هي الأصول و هي تورث الأحوال ، و الأحوال تُثمر الأعمال ، فالمعارف كالأشجار و الأحوال كالأغصان و الأعمال كالثِّمار ، و هذا مطَّرد في جميع منازل السَّالكين إلى الله تعالى، و اسم الإيمان تارة يختصُّ بالمعارف و تارة يطلق على الكلِّ ، كذلك الصَّبر لا يتمُّ إلاَّ بمعرفة سابقة و بحالة قائمة ، فالصَّبر على عبارة عنها و العمل هو كالثَّمرة يصدر عنها ، و لا يعرف هذا إلاَّ بمعرفة كيفيَّة التَّرتيب بين الملائكة و الإنس و البهائم ، فإنَّ الصَّبر خاصية الإنسان ، و لا يتصوَّر ذلك في البهائم و الملائكة ، أمَّا في البهائم فلنقصانها و أمَّا في الملائكة فلكمالها"(٣)

الآيات الدَّالَّة على فضيلة الصَّبر :

١ . قال الله تعالى مادحاً لأئمَّة الصَّبر و الاستقامة : (وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوْا) (٤) . ٢ . و قال جلَّ جلاله و عمَّ نواله : : (وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى

(١) خلق المسلم لمحمَّد الغزالي– ص ١٤١

(٢) سورة محمَّد ، الآية رقم ٣١

(٣) إحياء علوم الدِّين – ج٤– ص ٦٥

(٤) سورة السَّجدة ، الآية رقم ٢٤ .

بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ بِمَا صَبَرُوْا) (١) . ٣ . و قال تعالى : (وَ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِيْنَ صَبَرُوْا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ) (٢) . ٤ . و قال الله تعالى : (أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوْا) (٣) . ٥ . و قال تعالى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٤) . ٦ . و قال : (وَ اصْبِرُوْا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ) (٥) . ٧ . و قال تعالى : (وَ بَشِّرِ الصَّابِرِيْنَ * الَّذِيْنَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيْبَةٌ قَالُوْا : إِنَّا للهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ) (٦)

بعض الأحاديث الَّتي وردت في فضيلة الصَّبر

١ . قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَ لَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ ، وَ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ) (٧) . ٢ . و قال عليه الصَّلاة و السَّلام : (مَا يُصِيْبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَ لاَ وَصَبٍ وَ لاَ هَمٍّ وَ لاَ حُزْنٍ وَ لاَ أَذًى وَ لاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) (٨)
٣ . عن أنس رضي الله عنه قال : مرَّ النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم بامرأة تبكي عند قبر فقال : (اتَّقِي اللهَ وَ اصْبِرِيْ ، فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّيْ ، فَإِنَّكَ لَنْ تُصِبْ بِمُصِيْبَتِيْ ، وَ لَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيْلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِيْنَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُوْلَى) (٩)

---

(١) سورة الأعراف ، الآية رقم ١٣٧

(٢) سورة النَّحل ، الآية رقم ٩٦

(٣) سورة القصص ، الآية رقم ٥٤

(٤) سورة الزُّمر ، الآية رقم ١٠

(٥) سورة الأنفال الآية رقم ٤٦

(٦) سورة البقرة ، الآية رقم ١٥٥ ، ١٥٦

(٧) أخرجه مسلم -كتاب الزُّهد - ج ١٨- ص ١٢٥ عن صهيب رضي الله عنهما

(٨) متَّفق عليه : صحيح البخاري -كتاب المرضى - باب أشدِّ النَّاس بلاء الأنبياء ثمَّ الأوَّل فالأوَّل - ج٤- ص ٣ . صحيح مسلم-كتاب البرِّ - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه-ج ١٦- ص ١٢٦ ـ ١٣١ عن أبي هريرة و أبي سعيد الخدري

(٩) متَّفق عليه : صحيح البخاري —كتاب الجنائز - باب زيارة القبور - ج١- ص ٢٢٢ . صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب الصَّبر على المصيبة عند الصَّدمة الأولى - ج ٦- ص ٢٢٧ عن أنس رضي الله عنه

٤ . عن خبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه قال : أتيت النَّبيَّ صلَّى الله عليه و سلَّم و هو متوسِّد بردة و هو في ظلِّ الكعبة و قد لقينا من المشركين شدَّة فقلت : أ لا تدعو الله ؟ فقعد و هو محمرٌّ وجهه فقال : (لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيْدِ مَا دُوْنَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ ، وَ يُوْضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِيْنِهِ ، وَ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيْرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمُوْتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللهَ ، وَ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ) (١)

٥ . و قال عليه الصَّلاة و السَّلام : (الصَّبر ضياء) (٢)

تكليف الدُّعاة بالصَّبر

١ . أمر الله محمَّداً صلَّى الله عليه و سلَّم بأن يصبر كما صبر أولو العزم من الرُّسل حتَّى يؤدِّي واجب التَّبليغ و الهداية إلى سبيل الله أحسن أداء ، فقال له في سورة (الأحقاف) : (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ لاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوْعَدُوْنَ لَمْ يَلْبَثُوْا إِلاَّ سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ ، بَلاَغٌ ، فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُوْنَ) (٣)

٢ . و يوجِّه الله الدُّعاة للتَّحلِّي بفضيلة خلق الصَّبر فيقول لرسوله صلَّى الله عليه و سلَّم في سورة النَّحل : (وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوْا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ ، وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِيْنَ * وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ، وَ لاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَ لاَ تَكُ فِيْ ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُوْنَ) (٤) . ففي هذا النَّصِّ يأمر الله رسوله بأن يصبر في مجال الدَّعوة إلى سبيل ربِّه فيقول : (وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ ، وَ لاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ، وَ لاَ تَكُ فِيْ ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُوْنَ) . و يلحق بالرَّسول كلُّ داع إلى الله جلَّ و علا ، و ما خوطب به الرَّسول في ذلك كلِّه يعتبر خطاباً لكلِّ الدُّعاة إلى الله ، و المفروض في كلِّ مسلم أن يكون داعياً إلى الله على مقداره .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب المناقب – باب ما لقي النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم و أصحابه من المشركين بمكَّة – ج٢– ص ٣٢٠ ، ٣٢١ . و أحمد في مسنده – ج٥– ص ١٠٩

(٢) جزء من حديث صحيح مسلم– كتاب الطَّهارة– باب فضل الوضوء – ج٣– ص ١٩ ، ٢٠ عن أبي مالك الأشعري

(٣) سورة الأحقاف ، الآية رقم ٣٥

(٤) سورة النَّحل ، الآية رقم ١٢٦ ، ١٢٧

ليس من شأن الدُّعاة إلى الله اليأس و القنوط

لَمَّا كانت وظيفة الدَّاعي إلى الله التَّبليغ ، و لم تكن وظيفته تحويل النَّاس إلى الهداية و لا إكراههم عليها ، و لَمَّا كانت الدَّعوة إلى الله في المجتمع الإنساني لا ينعدم من يستجيب إليها مهما قلَّ المستجيبون ، كان من واجب الدَّاعي أن لا ييأس و لا يقنط مهما وجد من النَّاس إعراضاً ، و مهما قابلوه بالجحود و الإنكار و الرَّفض حتَّى الهزء و السُّخرية و الاضطهاد و التَّعذيب . هذا إذا كانت دعوته دعوة صادقة مخلصة لله تعالى يبتغي بها رضوان الله و الدَّار الآخرة ، أمَّا إذا كانت دعوته مشوبة بأغراض دنيويَّة و مصالح عاجلة ، فإنَّ اليأس و القنوط سيستبدَّان بنفسه متى طال عليه الأمد دون أن يظفر بما يرجوه ، و مع اليأس و القنوط قد ينهزم من ساحة الدُّعاة ، و قد يتحوَّل إلى طريق آخر يرجو منه ما ينشده من متاع الحياة الدُّنيا ، و قد يستبصر فيصلح نيَّته و يجد عزيمته ، و يبدأ الدَّعوة إلى الله مخلصاً دون أن يطلب منها غير مرضاة الله و الدَّار الآخرة و نعيمها .

و قد لوحظ في بعض الَّذين تصدَّوا للدَّعوة إلى الله أنَّهم يشكون إعراض النَّاس عنهم و عدم استجابتهم لهم ، و عدم تقدير االنَّاس لجهادهم ، و لما تعرَّضوا له من تعذيب على أيدى الظَّلمة من الأعداء لله و ينحون باللاَّئمة على جماهير المسلمين الَّذين لم يؤدُّوا لهم ثواب جهادهم و دعوتهم إلى الله كأنَّهم كانوا يعملون للنَّاس لا لله ، و يريدون أن يستثمروا من النَّاس دعوتهم إلى الله . و يقول قائلهم : لقد فسد النَّاس ، و أمسى الإصلاح متعذِّراً ، و أنَّه لا خلاص للعالم ممَّا تردَّى إليه إلاَّ بمعجزة تتولاَّها المقادير الرَّبَّانيَّة بشكل مباشر إمَّا بتدمير أهل الشَّرِّ و الفساد و إمَّا بآيات خارقة تردُّ النَّاس إلى الله و تخرجهم من الظُّلمات إلى النُّور . و هذا من اليأس الَّذي لا يكون من صفات الدُّعاة المخلصين الَّذين يدعون إلى الله على هدى و بصيرة ، و يتَّبعون مرضاة الله و ثواب الآخرة . و لقد بدأت الدَّعوة الإسلاميَّة في عالم كلُّه فساد و ضلال ، و جميع القوى المادِّيَّة فيه بأيدي أهل الشَّرِّ و الكفر ، ثمَّ انطلقت هذه الدَّعوة انطلاقاً إنسانيًّا محفوفاً بعناية الله و توفيقه ، و قد كانت أول الأمر غرسة واحدة طيِّبة مباركة ، و العالم من حولها كلُّه مخالف لها و مقاوم لدعوتها ، ثمَّ أخذت هذه الغرسة الطَّيِّبة تنمو نموًّا طبيعيًّا عجيباً ، و صمدت للهزَّات العنيفة ، و صبرت على أنواع الأذى من أعدائها و خصومها حتَّى شقَّت

طريقها الصَّاعدة بجهد جهيد و صبر مديد فاكتسحت و ملكت ما كان في أيدى الشَّرِّ من أرض و مال و قوى مادِّيَّة ، ثمَّ دانت الأمم لها و اهتدت بهديها ، و تمَّ لها ما كانت تصبو إليه بالإيمان و العمل و الصَّبر و الأمل و الثِّقة بالله و الاعتماد عليه .

فما على الَّذين يريدون القيام بواجب الدَّعوة إلى الله على هدى و بصيرة إلاَّ أن يعملوا بإخلاص و صبر و يهتدوا في الهدي برسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم مع الأمل بنصر الله و الثِّقة بالله و الاعتماد عليه (١)

و هذا ما عرف عن الصَّبر و فضله ، و أمَّا تذوُّقه و تعاطيه بالمباشر و تعامله بالتَّجربة فليس أمراً سهلاً بل شيئ عظيم و ذوقه مرير ، و الحقُّ أنَّ الله إذا أراد ابتلاء عبد من عباده يعطيه من القوَّة على تحمُّله ، و يأتي البلاء و المحن بقدر قوَّة الإيمان و ضعفه ، فالأنبياء هم المثل الأعلى لتحمُّل البلاء و الصَّبر على المشاقّ ثمَّ الأمثل فالأمثل . و قد مرَّ كثير من أمثلة تضحية الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين في الفصل الأوَّل تحت عنوان " قوَّة الإيمان و العقيدة " و يناسب هذا المقام أن أذكر ما قاله الدُّكتور علي جريشة في الصَّبر و تذوُّقه . قال : و الكلمة (يعني كلمة الصَّبر) قصيرة سهلة لا تجاوز ثلاثة حروف ، يستطيع كلُّ إنسان أن ينطقها و أن يوصي بها ، لكن معاناتها أمر آخر ، قال : كنت أقف كثيراً عند قوله تعالى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) لم أكن أعرف الصَّبر ، كانت حياتي سهلة بين أبي و أمِّي و إخوتي في تعليمي، في احتياجاتي ، فلم أعاني في حياتي الأولى ما يعلِّم الصَّبر أو يعوِّد الصبَّر . و عرفت الصَّبر في شبابي ثمَّ في شيخوختي . عرفته في شبابي حين قضى الله سبحانه ـ و قضاؤه الخير ـ أن أكون مع الصَّادقين في سجون الظَّالمين ، و عرفت الصَّبر و تجرَّعت الصَّبر و تمرَّست على الصَّبر ، عرفته مريراً .... مريراً أقصى ما تكون المرارة ، فأدركت لِمَ هو نصف الإيمان و لِمَ يوفَّى الصَّابرون أجرهم بغير حساب ؟ و عرفت أنَّ بغير ضجر و لا شكوى هو الصَّبر الجميل ، و أنَّى لمن يتجرَّع المرارة ألاَّ يضجر و ألاَّ يشكو ؟ أنَّى له أن يتجرَّع المرارة ساكتاً ساكناً صابراً محتسباً ... إنَّه ليس بالأمر السَّهل ... إلى أن قال : و من هنا أدركت أنَّ الصَّبر معاناة و ليس مجرَّد كلمة أو و صيَّة بها ،

(١) انظر الأخلاق الإسلاميَّة و أسسها – ج٢– ص ٣١٧ . ٣٢٢

لكن تعلَّمت مع ذلك أنَّ الصَّبر يبدأ تخلُّقاً و يصير خلقاً أو يبدأ تطبُّعاً و تصير طبعاً (١) . قلت : و قد تعجَّبت من صبر المرأة النَّحيفة كبيرة السِّنِّ الضَّعيفة في هذا العصر الحاضر لَمَّا قرأت ما كتبته هي عنها و عن غيرها من الإخوان المسلمين ، ألا و هي السَّيِّدة زينب الغزالي رحمها الله (٢) و ليست و لن تكون هذه الأرض خالية من الصَّابرين و الدُّعاة الصَّادقين . و نسال الله تعالى العفو و العافية فى الدُّنيا و الدِّين و الآخرة .

التَّضحية في سبيل الدَّعوة بالنَّفس و المال :

و يعبِّرها الشَّارع عن الجهاد في سبيل الله ، و إنَّ من مهمَّات هذا الدِّين أن يقضى عن طريق الجهاد في سبيل الله على العقبات و العوائق الَّتي تحول ضدَّ الدَّعوة إلى الله ، و تمنعهم من تبليغ الدَّعوة إلى النَّاس . قال الله سبحانه و تعالى في سورة التَّوبة بعد ذكر القتال مع الَّذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر : (يُرِيْدُوْنَ أَنْ يُّطْفِئُوْا نُوْرَ اللهِ بَأَفْوَاهِهِمْ ، وَ يَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُّتِمَّ نُوْرَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ) (٣) و قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا إِنَّ كَثِيْراً مِّنَ الْأَحْبَارِ وَ الرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُوْنَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ ، وَ الَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لاَ يُنْفِقُوْنَهَا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ) (٤) .

إنَّ أعداء الله سبحانه و تعالى لا يفتأون يصدُّون أولياءه عن تبليغ عباده دعوته ، و يمنعونهم عن سماع الحقِّ و الاستجابة له ، لذلك أراد الله سبحانه و تعالى أن يعذِّبهم على أيدي أوليائه المجاهدين في سبيله فقال : (الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَ صَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) (٥) إلى أن قال : (فَإِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ، حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوْهُمْ فَشُدُّوْا الْوِثَاقَ ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً ، حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، ذَلِكَ ، وَ لَوْ شَاءَ اللهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ ، وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَ

(١) دعوة الله بين التَّكوين و التَّمكين – ص ٨٥ ، ٨٦

(٢) قرأت أحوالها في " روداد قفس " ترجمة أردويَّة لكتابها " أيَّام من حياتي " نقلها إلى الأرديَّة خليل أحمد الحامدي

(٣) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٣٢

(٤) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٣٤

(٥) سورة محمَّد ، الآية رقم ١

بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ، وَ الَّذِيْنَ قُتِلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَلَنْ يُّضِلَّ أَعْمَالَهُمْ) (١) و قال سبحانه و تعالى : (وَ قَاتِلُوْهُمْ حَتَّى لاَ تَكُوْنَ فِتْنَةٌ وَ يَكُوْنَ الدِّيْنُ للهِ) (٢)

قال سيِّد قطب في ظلال القرآن :" إنَّهم ينفقون أموالهم و يبذلونها و يبذلون جهودهم و يستنفدون كيدهم فى الصَّدِّ عن سبيل الله و في إقامة العقبات في وجه هذا الدِّين و في حرب العصبة المسلمة كلِّ أرض و في كلِّ حين ، إنَّ المعركة لن تكفَّ و أعداء هذا الدِّين لن يدعوه في راحة ، و لن يتركوا أولياء هذا الدِّين في أمن . و سبيل هذا الدِّين أن يتحرَّك ليهاجم الجاهليَّة و سبيل أوليائه أن يتحرَّكوا لتحطيم قدرة الجاهليَّة على العدوان ثمَّ لإعلاء راية الله حتَّى لا يجرؤ عليها الطَّاغوت " (٣)

إنَّ الحواجز البشريَّة من طواغيت الأرض الَّذين يمنعون النَّاس من الاستماع و الاقتناع و يصدُّون عن الدَّعوة إلى الله يجب أن تحطَّم حتَّى تنال الدَّعوة حرِّيَّتها ، لذلك أمر الله المسلمين أن يقاتلوهم حتَّى لا تكون للكفرة قوَّة يفتنون بها المسلمين ، و حتَّى تتقرَّر الألوهيَّة فى الأرض لله وحده و يكون الدِّين كلُّه لله ، و إنَّ الهدف السَّامي من الجهاد في سبيل الله هو إعلاء كلمة الله و إظهار دينه على سائر الأديان ، فقال تعالى في سورة التَّوبة : (وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا السُّفْلَى وَ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَ اللهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ) (٤) أخرج ابن المنذر و ابن أبي حاتم و البيهقي فى الأسماء و الصِّفات عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله : (وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا السُّفْلَى) قال : هي الشِّرك (وَ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا) قال : لا إله إلاَّ الله (٥) . و قال تعالى : (قَاتِلُوْا الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَ لاَ بِالْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَ لاَ يُحَرِّمُوْنَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَ رَسُوْلُهُ وَ لاَ يَدِيْنُوْنَ دِيْنَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِيْنَ أُوْتُوْا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوْا الْجِزْيَةَ عَنْ يَّدٍ وَّ هُمْ صَاغِرُوْنَ) (٦) .

(١) سورة محمَّد ، الآية رقم ٤

(٢) سورة الأنفال ، الآية رقم ٣٩

(٣) ظلال القرآن – ج٣– ص ١٥٠٦

(٤) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٤٠

(٥) الدُّرُّ المنثور – ج٤– ص ٢٠٧ و البيهقي فى الأسماء و الصِّفات – ص ١٠٩

(٦) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٢٩

هذا : و قد بيَّن ذلك النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : جـاء رجل إلى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فقال : الرَّجل يقاتل للمغنم ، و الرَّجل يقاتل للذِّكر و الرَّجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال : (مَنْ قَـاتَلَ لِتَكُوْنَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ) (١) . و هـذا الهدف السَّامي مثَّله السَّلف في جهـادهم و عـبَّروا عنه بأصدق لهجة ، ذلك أنَّه لَمَّا سأل رستم قـائدُ الفرس ربعيَّ بن عامر : ما جاء بكم ؟ فقال :" الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العبـاد إلى عبـادة الله و من ضيق الدُّنيا إلى سعتها و من جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلَنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه و رجعنا عنه و من أبى قاتلنـاه أبداً حتَّى نفضي إلى موعـود الله ، قـالوا : و ما موعـود الله ؟ قال : الجنَّـة لمن مات على قتـال من أبى و الظَّفـر لمن بقي" (٢) . و قال ابن تيميَّة رحمه الله :" الجهاد مقصوده أن تكون كلمـة الله هي العليـا ، و أن يكون الدِّين لله ، فمقصوده إقـامة دين الله لا استيفـاء الرَّجل حظَّه ، و لهذا كان ما يصاب بـه المجاهد في نفسه و ماله أجره فيه على الله ، فإنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بأنَّ لهم الجنَّة "(٣)

فضيلة الجهاد و التَّضحية في سبيل الله

لَمَّا كان الجهاد الإسلامي مصدر خـير كثـير و بركة عامَّة للعالم و رحمة للإنسانيَّة ، و أنَّه لا قيام لهذا الدِّين فى الأرض بدون الجهـاد في سبيل الله ، و لا عـزَّة على الإسلام و المسلمـين إلاَّ بـه ، و لا فلاح للمسلمين إلاَّ بـه ، و أنَّه يفـرِّق بين الحقِّ و الباطل و يميِّز المؤمن من المنافق رغَّب الله فيـه أعظـم التَّـرغيب و أجـزل ثـواب المجاهـدين و الشُّهـداء و منحهـم من الامتيـازات الرُّوحيَّـة و العمليَّـة فى الدُّنيا و الآخرة ما لم يمنحها سواهم و جعل دماءهم الطَّاهرة الزَّكيَّة عربون النَّصر فى الدُّنيا و عنوان الفوز و الفلاح فى العقبى و توعَّـد المخلَّفين القـاعدين بأفظع العقوبـات و رماهم بأبشع النُّعوت والصِّفات و وبَّخهم على الجبن و القعود و نعى عليهم الضَّعف و التَّخلُّف و أعدَّ لهم فى الدُّنيـا خـزيـاً لا يرفـع إلاَّ أن جاهـدوا و فى الآخـرة عـذاباً لا يفلتـون منه و لو كان لهـم

(١) صحيح البخاري مع الفتح - ج١٠- ص ٢٧ و صحيح مسلم - ج١٣- ص ٤٩

(٢) البداية و النِّهاية - ج٧- ص ٣٩

(٣) مجموع فتاوى ابن تيميَّة - ج١٥- ص ١٧٠

مثل أحد ذهباً ، و اعتبروا القعود و الفرار كبيرة من أعظم الكبائر و إحدى السَّبع المهلكات (١)

و في فضائل الجهاد آيات كثيرة ، منها :

١. (أَ جَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُوْنَ عِنْدَ اللهِ ، وَ اللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ) (٢)

٢ . (الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَ هَاجَرُوْا وَ جَاهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ ، وَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُوْنَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَ رِضْوَانٍ وَ جَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيْهَا نَعِيْمٌ مُّقِيْمٌ * خَالِدِيْنَ فِيْهَا أَبَداً ، إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيْمٌ) (٣)

قال ابن القيِّم رحمه الله : فأخبر سبحانه و تعالى أنَّه لا يستوى عنده عُمَّار المسجد الحرام و هم عُمَّاره بالاعتكاف و الطَّواف و الصَّلاة ، هذه هي عمارة مساجده المذكورة فى القرآن ، و أهل سقاية الحاجِّ لا يستوون هم و أهل الجهاد في سبيل الله ، و أخبر أنَّ المؤمنين المجاهدين أعظم درجة عنده و أنَّهم هم الفائزون و أنَّهم أهل البشارة بالرَّحمة و الرِّضوان و الجنَّات ، فنفى التَّسوية بين المجاهدين و عُمَّار المسجد الحرام من أنواع العبادة مع ثنائه على عُمَّاره بقوله تعالى : (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَقَامَ الصَّلاَةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ لَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهُ ، فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَّكُوْنُوْا مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ) (٤) .

فهؤلاء هم عمَّار المساجد و مع هذا فأهل الجهاد أرفع درجة عند الله منهم (٥) .

٣ . (قُلْ : هَلْ تَرَبَّصُوْنَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ، وَ نَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُّصِيْبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِيْنَا ، فَتَرَبَّصُوْا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُوْنَ) (٦)

(١) الجهاد في سبيل الله – ص ٥٩

(٢) سورة التَّوبة ، الآية رقم ١٩

(٣) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٢٠ – ٢٢

(٤) سورة التَّوبة ، الآية رقم ١٨

(٥) طريق الهجرتين ، ص ٣٢٢

(٦) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٥٢

٦ . (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فَيَقْتُلُوْنَ وَ يُقْتَلُوْنَ ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَ الْإِنْجِيْلِ وَ الْقُرْآنِ ، وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمُ الَّذِيْ بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ) (١)

الأحاديث الواردة في فضائل الجهاد

١. عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في بعض أيَّامه الَّتي لقي فيها العدوَّ انتظر حتَّى مالت الشَّمس ، ثمَّ قام في النَّاس فقال : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَ سَلُوْا اللهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيْتُمُوْهُمْ فَاصْبِرُوْا وَ اعْلَمُوْا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوْفِ) (٢)

٢ . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فقال : دلَّني على عمل يعدل الجهاد ، قال : (لاَ أَجِدُهُ ، قَالَ : هَلْ تَسْتَطِيْعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُوْمُ وَ لاَ تَفْتُرُ وَ تَصُوْمُ وَ لاَ تُفْطِرُ ؟) قال : و من يستطيع ذلك ؟ قال أبو هريرة : إنَّ فرس المجاهد ليستنُّ في طوله فيكتب له حسنات (٣) قال ابن حجر : و هذه فضيلة ظاهرة للمجاهد في سبيل الله تقتضي أن لا يعدل الجهاد شيئ من الأعمال ، و قال أيضاً : و استدلَّ به على أنَّ الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً ، و قال ابن دقيق العيد : القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال الَّتي هي وسائل ، لأنَّ الجهاد وسيلة إلى إعلاء الدِّين و نشره ، و إخماد الكفر و دحضه ، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك ، و الله أعلم (٤)

٣ . عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً من أصحاب النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم مرَّ بشعب فيه عيينة من ماء عذب فأعجبه و طيبه و حسنه ، فقال : لو اعتزلت النَّاس و أقمت في هذا الشِّعب ، ثمَّ قال : لا أفعل حتَّى أستأمر رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم ، فذكر ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم فقال : (لاَ تَفْعَلْ ! فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ فِيْ أَهْلِهِ سِتِّيْنَ عَاماً ، أَ لاَ تُحِبُّوْنَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ، وَ يُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ ، اغْزُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ ،

(١) سورة التَّوبة ، الآية رقم ١١١

(٢) صحيح البخاري مع الفتح – ج٦– ص ١٥٦ – باب لا تمنَّوا لقاء العدوِّ – صحيح مسلم – ج١٢– ص ٤٦

(٣) نفس المصدر – ج٤– ص ٦٠

(٤) فتح الباري – ج٥– ص ٦

مَنْ قَاتَلَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ) (١)

٤ . عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم قـال : (مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَّرْجِعَ إِلَى الدَّنْيَا وَ لَهُ مَا عَلَى ٱلأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ الشَّهِيْدُ ، يَتَمَنَّى أَنْ يَّرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلُ عَشَرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ ٱلْكَرَامَةِ (٢)

أقوال السَّلف في فضائل الجهاد

١ . قال سيف الله خـالد بن الوليـد رضي الله عنه الَّذي ذاق حـلاوة الجهاد في سبيل الله بعد أن ذاق حـلاوة الإيمان بالله و قضى حياته كلَّه مجاهداً و أخذ يقارن بين متع الحيـاة ممثِّلاً لها بعروس هو لها محبٌّ أو بغلام يبشَّر به ، و الجهاد في سبيل الله ، فيرى في هـذا متعتـه و قـرَّة عينه ، قال رضي الله عنه : ما من ليلة يُهـدي إليَّ فيهـا عروس أنا لها محبٌّ أو أبشَّر فيها بغـلام ، أحبُّ إليَّ من ليلة شديدة الـبرد كثيرة الجليد في سريَّة أصبِّح فيها العدوَّ (٣)

٢ . قـال الإمـام أحمد رحمه الله : لا أعـلم شيئـاً من العمل بعـد الفـرائض أفضل من الجهـاد (٤)

٣ . قال السَّرخسي رحمه الله : و قد كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تارة يخرج و تارة يبعث غيره حتَّى قال : (وَدِدْتُ أَنْ لاَّ تَخْرُجَ سَرِيَّةٌ أَوْ جَيْشٌ إِلاَّ وَ أَنَا مَعَهُمْ ، وَ لَكِنْ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ وَ لاَ تَطِيْبُ أَنْفُسُهُمْ بِالتَّخَلُّفِ عَنِّيْ ، وَ لَوَدِدْتُ أَنْ أُقَاتَلَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى أُقْتَلَ ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ) ففي هـذا دليل على أنَّ الجهاد و صفـة الشَّهادة فى الفضيلة بأعلى النِّهاية ، حتَّى تمنَّى ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع درجة الرِّسالة .... و قد سمَّاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سنام الدِّين (٥)

---

(١) أخرجه الحاكم ، و صحَّحه على شرط مسلم . انظر المستدرك على الصَّحيحين - ج٢- ص ٦٨

(٢) صحيح البخاري مع الفتح - ج٦- ص ٣٢

(٣) الجهاد لابن المبارك - ج١- ص ٩١

(٤) المغني لابن قدامة - ج١٠- ص ١٤٩٧

(٥) المبسوط للسَّرخسي - ج٣- ص ١٠ . و الحديث أخرجه مسلم نحوه في صحيحه - كتاب الإمارة — باب فضل الجهاد و الخروج في سبيل الله — ج١٣- ص ١٩ ، ٢٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه

البــــاب الثَّـــاني : في لـــــوازم الـدَّعــوة

و فيه أربعـة فصول

الفصل الأوَّل : العـلم بكتـاب الله و سنَّة رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم و الاطِّـلاع على كتب الفقـه الإسلامي و ما يتعلَّق بالدَّعوة من الثَّقـافـات الأخـرى

الفصل الثَّاني : العمل بمـا يدعـو إليه الدَّاعيـة و إعطـاؤه القدوة الحسنة من نفسه

الفصل الثَّـــالث : معـرفـــة الـــدَّاعي بأعــداء الإسلام و تحـرُّكاتهم و كيدهم للإسلام و أهله

الفصل الرَّابـع : احتراز الدَّاعيــة عن سلبيات بعض الدُّعاة و اجتنابه معوِّقـات الدَّعوة في نجاحها

الفصل الأوَّل : العــلم بكتـــاب الله و سنَّــة رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم و الاطِّلاع على كتب الفقــه الإسـلامي و ما يتعـلَّق بالدَّعــوة من الثَّقـافـات الأخـرى

إنَّ من أهمِّ الأسلحة الَّتي يجب أن يتسلَّح بها الدَّاعية العلم و المعرفة و الثَّقافة، و هذه هي العدَّة الفكريَّة للدَّاعية بجوار العدَّة الرُّوحيَّة و الأخلاقيَّة ، و الدَّعوة تعليم و تثقيف إلى جانب كونها تربية و إرشاداً و إصلاحاً ، و من لم يكن عنده علم و لا ثقافة و لا معرفة كيف يعطي غيره ؟ و فاقد الشَّيئ لا يعطيه ، و من لم يملك النِّصاب كيف يزكِّي ؟ و قال تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) (١) . و قال تعالى : (قُلْ : هَـذِهِ سَبِيْلِيْ أَدْعُوْ إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِيْ) (٢) . فلا بدَّ من العلم فالعلم فريضة ، و كيف يدعو على جهالة و كيف يتكلَّم فيما لا يعلم ؟ فالجاهل يهدم و لا يبني و يفسد و لا يصلح ، بل العلم مقدَّم على العمل كما تشير إليه الآية : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) فقدَّم العلم على العمل ، و الواقع أنَّ تقديم العلم على أيِّ عمل ضروريٌّ للعامل حتَّى يعلم ما يريد قصده ، و يعمل للوصول إليه ، و إذا كان سبقُ العلم لأيِّ عمل ضروريًّا فإنَّه أشدُّ ضرورة للدَّاعي إلى الله ، لأنَّ ما يقوم به من الدِّين و منسوب إلى ربِّ العالمين ، فيجب أن يكون الدَّاعي على بصيرة و علم بما يدعو إليه و بشرعيَّة ما يقوله و يفعله و يتركه ، فإذا فقد العلم المطلوب و اللاَّزم له كان جاهلاً بما يريده و وقع في الخبط و الخلط و القول على الله و رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم بغير علم ، فيكون ضرره أكثر من نفعه و إفساده أكثر من إصلاحه ، و قد يأمر بالمنكر و ينهى عن المعروف لجهله بما أحلَّه الشَّرع و أوجبه و بما منعه و حرَّمه ، فيجب إذن على كلِّ داع إلى الله تعالى العلم بشرع الله و بالحلال و الحرام و بما يجوز و ما لا يجوز و ما يحتمل وجهين أو أكثر و ما لا يحتمل . و العلم ما قام عليه الدَّليل الشَّرعي من كتاب الله أو سنَّة رسوله أو من أدلَّة الشَّرع الأخرى ، و على المسلم أن يستزيد من هذا العلم الشَّرعي النَّافع ليعرف موضوع دعوته ، و ليكون فيها على بصيرة ، فلا يأمر إلاَّ بحقٍّ و لا ينهى إلاَّ عن باطل . و الدَّاعية يحتاج إلى ثقافة ذات ألوان متعدِّدة و أصناف متنوِّعة يمكن إجمالها فيما يلي من الثَّقافات :

الثَّقافة الإسلاميَّة . الثَّقافة التَّاريخيَّة . الثَّقافة الأدبيَّة و اللُّغويَّة . الثَّقافة الإنسانيَّة . الثَّقافة العلميَّة

(١) سورة محمَّد ، الآية رقم ١٩

(٢) سورة يوسف ، الآية رقم ١٠٨

و أتحـدَّث بإذن الله فى الصَّفحات الآتيـة عن هـذه الثَّقـافات بعضها إجمالاً و بعضها تفصيلاً ، و بالله التَّوفيق .

أوَّلاً . الثَّقافـة الإسلاميَّة

إنَّ أوَّل و أهـمَّ ما يلزم الدَّاعيـة من العـدَّة الفكريَّـة أن يقف على أرض صلبـة من دراسة العلوم الإسلاميَّـة ــ على تنـوّعها ــ دراسة واعيـة شـاملة مستمدًّا إيَّـاها من مصـادر الإسلام الأصليَّـة و ينابيعه الصَّافية النَّقيَّة بعيداً عن تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين .

١ . القرآن الكريم و علومه .

هنـالك ظاهـرة تاريخيَّـة ينبغي أن يقف أمامهـا أصحاب الدَّعـوة الإسلاميَّـة في كلِّ أرضٍ و في كلِّ زمـان و أن يقفوا أمـامها طويلاً . ذلك أنَّها ذات أثـر حاسم في منهج الدَّعوة و اتِّجاههـا ، لقد خـرَّجت هـذه الدَّعوة جيـلاً من النَّاس ــ جيل الصَّحابـة رضوان الله عليهم ــ جيـلاً مميَّزًا في تاريخ الإسلام كلِّه و في تاريخ البشريَّـة جميعه ، ثمَّ لم تعد تخـرِّج هـذا الطِّراز مرَّة أخرى ....

نعم ! وجد أفـراد من ذلك الطِّـراز على مدار التَّاريخ ، و لكن لم يحدث قطُّ أن تجمَّع مثل ذلك العـدد الضَّخم في مكان واحـد ، كما وقع فى الفـترة الأولى من حياة هـذه الدَّعوة . كان النَّبـع الأوَّل الَّذي استقى منه ذلك الجيل هو نبع القرآن وحده ، فما كان حـديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم و هديه إلاَّ أثراً من آثار ذلك النَّبع ، فعند ما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قالت : خُلُقُهُ الْقُرْآنُ (١) . كان القرآن وحده إذن هو النَّبع الَّذي يستقون منه و يتكيَّفون به و يتخـرَّجون عليه ، ولم يكن ذلك كذلك لأنَّه لم يكن للبشريَّة يومها حضارة و لا ثقـافة و لا مؤلَّفـات و لا دراسات . و كانت الحضارتان الرُّومانيَّة و الفارسيَّة تحفَّان بالجزيرة العربيَّة من شمالها و من جنوبها ، كما كانت اليهوديَّة و النَّصرانيَّة تعيشان في قلب الجزيرة، فلم يكن إذن عن فقر فى الحضارات العالميَّة و الثَّقـافات العالميَّة يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده ... في فترة تكوُّنه ... و إنَّما كان ذلك عن " تصميم" مرسوم و نهج مقصود .

كان رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم يريـد صنع جيل خـالص القلب ، خـالص العقل ، خـالص

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم – كتاب صلاة المسافرين – ج٦ – ص ٢٦

التَّصوُّر ، خالص الشُّعور ، خالص التَّكوين ، من أيِّ مؤثِّر آخر غير المنهج الإلهي الَّذي يتضمَّنه القرآن الكريم . ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النَّبع وحده ، فكان له في التَّاريخ ذلك الشَّأن الفريد ، إنَّهم لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثَّقافة و الاطِّلاع و لا بقصد التَّذوُّق و المتاع ، لم يكن أحدهم يتلقَّى القرآن ليستكثر به من زاد الثَّقافة لمجرَّد الثَّقافة و لا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلميَّة و الفقهيَّة محصولاً يملأ به جعبته ، إنَّما كان يتلقَّى القرآن ليتلقَّى أمر الله في خاصَّة شأنه و شأن الجماعة الَّتي يعيش فيها و شأن الحياة الَّتي يحياها هو و جماعته . يتلقَّى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه ، و من ثمَّ لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة ، لأنَّه كان يحسُّ أنَّه إنَّما يستكثر من واجبات و تكاليف يجعلها على عاتقه ، فكان يكتفي بعشر آيات حتَّى يحفظها و يعمل بها كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه (١)

هذا الشُّعور ... شعور التَّلقِّي للتَّنفيذ .... كان يفتح لهم من القرآن آفاقًا من المتاع و آفاقًا من المعرفة . و كان ييسِّر لهم العمل و يخفِّف عنهم ثقل التَّكاليف . و يخلط القرآن بذواتهم ، و يحوِّله في نفوسهم و في حياتهم إلى منهج واقعيٍّ و إلى ثقافة متحرِّكة لا تبقى داخل الأذهان و لا في بطون الصَّحائف. إنَّ هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلاَّ لمن يقبل عليه بهذه الرُّوح روح المعرفة المنشئة للعمل ، إنَّه منهاج حياة منهاج إلهيٌّ خالص. إنَّ منهج التَّلقِّي للتَّنفيذ و العمل هو الَّذي صنع الجيل الأوَّل. نحن اليوم في جاهليَّة كالجاهليَّة الَّتي عاصرها الإسلام أو أظلم ، كلُّ ما حولنا جاهليَّة : تصوُّرات النَّاس و عقائدهم عاداتهم و تقاليدهم موارد ثقافتهم فنونهم و آدابهم شرائعهم و قوانينهم ، حتَّى الكثير ممَّا نحسبه ثقافة إسلاميَّة و مراجع إسلاميَّة و فلسفة إسلاميَّة ، و تفكيراً إسلاميًّا هو كذلك من صنع هذه الجاهليَّة . لذلك لا تستقيم قيم الإسلام في نفوسنا و لا يتَّضح تصوُّر الإسلام في عقولنا ، و لا ينشأ فينا جيل ضخم من النَّاس من ذلك الطِّراز الَّذي أنشأه الإسلام أوَّل مرَّة فلا بدَّ إذن ـ في منهج الحركة الإسلاميَّة ـ أن نتجَرَّد في فترة الحضانة و التَّكوين من كلِّ مؤثِّرات الجاهليَّة الَّتي نعيش فيها و نستمدُّ منها . لا بدَّ أن نرجع

(١) أخرجه الطَّبري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كان الرَّجل إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهنَّ حتَّى يعرف معانيهنَّ و العمل بهنَّ) انظر مقدِّمة جامع البيان – ج١– ص ٢٧

ابتـداءً إلى النَّبع الخالص الَّذي استمدَّ منه أولئك الرِّجال . و لا بدَّ أن نرجع إليه ـ حين نرجع ـ بشعور التَّلقِّي للتَّنفيـذ و العمل لا بشعـور الدِّراسة و المتـاع نرجع إليه لنعـرف ماذا يطلب منَّا أن نكون ، ماذا يريد منَّـا القرآن أن نعمل ، ما هو التَّصوُّر الكلِّيُّ الَّذي يريد منَّـا أن نتصوَّر ، كيف يريد القرآن أن يكون شعورنا بالله ، كيف يريد أن تكون أخلاقنا و أوضاعنا و نظامنا الواقعيُّ فى الحياة ؟ (١)

و يصف القـرآن الكـريم الخليفـة الرَّابـع عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه فيقـول :" القـرآن آمـر و زاجر صامت ناطق حجَّة الله على خلقه أخذ عليهم ميثاقه و ارتهن عليهم أنفسهم(٢) أتمَّ نوره و أكمل به دينـه و قبض نبيَّـه صلَّى الله عليه و سلَّم و قد فـرغ إلى الخلق من أحكام الهـدى بـه فعظِّموا منـه سبحانـه ما عظَّم منه نفسه ، فإنَّـه لم يُخف عنكم شيئاً من دينـه ، و لم يـترك شيئاً رضيه أو كرهه إلاَّ و جعل له علماً بادياً و آيـة محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه ، فرضاه فيما بقي واحـد و سخطه فيمـا بقي واحـد . و قال في مقـام آخر : ثمَّ أنـزل عليه الكتـاب نوراً لا تطفأ مصابيحه و سراجاً لا يخبو توقُّده و بحراً لا يدرك قعره و منهاجاً لا يضلُّ نهجه و شعاعاً لا يظلم ضوؤه و فرقاناً لا يخمد برهانـه و تبياناً لا تهدم أركانـه و شفـاء لا تخشى أسقـامه و عـزًّا لا تهـزم أنصاره و حقًّا لا تخذل أعوانـه ، فهو معـدن الإيمان و بحبوبتـه و ينـابيع العلم و بحـوره و ريـاض العدل و غدرانه و أثافي الإسلام و بنيانه و أودية الحقِّ و غيطانه و بحر لا ينزفه المنتزفون و عيون لا ينضبهـا الماتحون و مناهل لا يغيضهـا الـواردون و منـازل لا يضلُّ نهجهـا المسافـرون و أعـلام لا يعمى عنها السَّائرون و آكام لا يجوز عنها القـاصدون ، جعله الله ريًّـا لعطش العلماء و ربيعاً لقلوب الفقهـاء و محـاجَّ لطـرق الصُّلحاء و دواءاً ليس بعـده داء و نـوراً ليس معه ظلمة و حبـلاً وثيقـاً عروته و معقلاً منيعاً ذروتـه و عـزًّا لمن تولاَّه و سلماً لمن دخله و هدى لمن ائتمَّ به و عـذراً لمن انتحله و برهاناً لمن تكلَّم به و شاهداً لمن خاصم به و فلجاً لمن حاجَّ به و حاملاً لمن حـمله و مطيَّـة لمن أعملـه و آيــة لمن تـوسَّم و جنَّـة لمن استلئـم و علمـاً لمن دعي و حـديثـاً لمن روى

(١) معالم فى الطَّريق - ج١٤- ص ٢٢

(٢) معناه حبس نفوسهم في ضنك المواخذة حتَّى يؤدُّوا حقَّ القرآن من العمل به ، فإن لم يفعلوا لم يخلصوا بل يهلكوا .
الهامش لنهج البلاغة - ج٢- ص ١٣٣

و حكماً لمن قضى " (١)

و ممَّا يلزم الدَّاعية الاعتناء به علوم القرآن ، و هي بمثابة مدخل لا بدَّ منه لدراسة القرآن ذاته ، و لا شكَّ أنَّ أهمَّ علوم القرآن هو علم التَّفسير الَّذي يعين على فهم المراد من كلام الله تعالى بقدر الطَّاقة البشريَّة . و قد أُلِّفت في التَّفسير مئات من الكتب لا يزال ـ بفضل الله ـ بأيدينا منها الشَّيء الكثير الطَّيِّب ، و لا ينبغي للدَّاعية أن يكتفي منها بكتاب واحد و يهمل سائرها ، فإنَّ لكلٍّ منها مزيَّة لا توجد غالباً في غيره ، فالأولى أن ينهل من كلٍّ منها ما استطاع و أن يقبس من كلِّ كتاب خير ما فيه عاملاً بالحكمة القائلة " خذ ما صفا دع ما كدر "

٢ . السُّنَّة النَّبويَّة :

السُّنَّة النَّبويَّة هي المصدر الثَّاني للإسلام و بالتَّالي للثَّقافة الإسلاميَّة ، و هي تقف مع القرآن مورداً عذباً ، ففيها فصل ما أجمله القرآن ، و خصَّص أو قيَّد العام و المطلق ، و فيها ما جاء زائداً عن القرآن و إن أمكن ردُّه إلى القرآن كذلك ، و لقد كان فيها التَّشريع و التَّوجيه ، كما كان فيها القصص و ضرب الأمثال ، و قصَّة الثَّلاثة الَّذين غلِّقت عليهم الصَّخرة فدعا كلٌّ بصالح عمله (٢) تعطي دروساً عديدة :

أ . درس التَّقوى : ففي كلِّ عمل لهؤلاء الثَّلاثة كانت تقوى الله سبحانه سواء الَّذي جلس يحمل غبوق اللَّبن حتَّى يصحو والداه إحساناً إليهما ، أو الَّذي امتنع عن ابنة عمِّه و هي أشهى ما تكون لنفسه خوفاً من الله و حياء منه ، أو الَّذي ثمَّر أجر الأجير حتَّى زاد أضعافاً كثيرة ، كلُّ أولئك كانت غايتهم التَّقوى .

ب . غاية التَّقوى : كما تظهر من القصَّة ، كان انفراج الصَّخرة شيئاً فشيئاً حتَّى استطاعوا الخروج (وَ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) (٣)

---

(١) انظر نهج البلاغة – ج٢ – ص ١٣٣ ، ١٣٤ و ص ٢٠٢ ـ ٢٠٤

(٢) متَّفق عليه : صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب إجابة دعاء من برَّ والديه- ج٤- ص٤٧ . صحيح مسلم – كتاب الذِّكر و الدُّعاء و الرِّقاق-باب قصَّة أصحاب الغار الثَّلاثة ...-ج١٧-ص ٥٥ـ ٥٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما

(٣) سورة الطَّلاق ، الآية رقم ٢

ج . شمول الأعمال الصَّالحة : فليست هي قاصرة على تعبُّـد فقط ، بل إنَّ هذه الأعمال الثَّلاثة لم يكن فيها تعبُّـدٌ بالمعنى الاصطلاحي ، و مع ذلك كانت سبباً في فرج الله سبحانـه و تعالى . و قصَّة الغلام و السَّاحر (١) فيها كيف يكبر الإيمان دون تقيُّد بالسِّنِّ ، فيها كيف يجعل الله فرداً واحداً سبباً لإيمان أمَّة و هداية شعب ، و فيها كيف يستعلي الإيمان على الجبروت (فَاقْضِ مَا أَنْتَ بِقَاضٍ ، إِنَّمَا تَقْضِيْ هَـذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (٢) . فيها دناءة الطُّغيان و قلَّة وفائه ، إذ ضحَّى الملك بجليسه ثمَّ ضحَّى بالعالم (الرَّاهب) ثمَّ ضحَّى بالغلام الصَّغير ، ثمَّ لم يتحرَّج عن أن يشقَّ الأخاديد لشعبه كلِّه لَمَّا آمن . فيها تفسير للطُّغيان (وَ مَا نَقَمُوْا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوْا بِاللهِ الْعَزِيْزِ الْحَمِيْدِ) (٣) . فيها سنَّة الله (أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوْا أَنْ يَقُوْلُوْا آمَنَّا وَ هُمْ لاَ يُفْتَنُوْنَ * وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِيْنَ) (٤)

و تشمل السُّنَّة أقوال النَّبيِّ عليه السَّلام و أفعاله و تقريراته و شمائله و سيرته . و كتب السُّنَّة كثيرة جدًّا ، و ينبغي للدَّاعية أن يُقدِّم منها ما هو الأهمُّ كالأمَّهات السِّتِّ و مسند الدَّارمي و موطَّا مالك و مسند أحمد . و إذا لم تسعفه الهمَّة أو الوقت بقراءة الأصول ذاتها فإنَّه يمكنه الرُّجوع إلى بعض مختصراتها كالتَّجريد الصَّريح للزَّبيدي ، مختصر البخاري و مختصر صحيح مسلم للمنذري. و هناك كتب جمعت بين أحاديث هذه الأصول مثل جامع الأصول لابن الأثير الَّذي جمع فيه أحاديث الصَّحيحين و أبي داود و التِّرمذي و النَّسائي و الموطَّا . كذلك مجمع الزَّوائد للهيثمي الَّذي جمع فيه زوائد مسانيد الإمام أحمد و البزَّار و أبي يعلى الموصلي و معاجم الطَّبراني الكبير و الصَّغير و الأوسط . و قد قام أحد علماء الحديث في القرن الحادي عشر و هو العلاَّمة محمَّد بن محمَّد سليمان (المتوفَّى ١٠٩٤هـ) بتأليف كتاب جمع فيه كتابي ابن الأثير و الهيثمي ، و أضاف إليها زوائد الدَّارمي و ابن ماجه و سمَّاه "جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائد"

(١) هذه القصَّة أخرجها مسلم في صحيحه - كتاب الزُّهد - باب قصَّة أصحاب الأخدود و السَّاحر و الغلام - ج ١٨- ص ١٣٠ ـ ١٣٣ عن صهيب رضي الله عنه

(٢) سورة طه ، الآية رقم ٧٢

(٣) سورة البروج ، الآية رقم ٨

(٤) سورة العنكبوت ، الآية رقم ٢ ، ٣ . و انظر نحو نظريَّة التَّربية الإسلاميَّة - ص ١٦١ ـ ١٦٣

فكان بحقٍّ موسوعـة حديثيَّـة . و هنـاك أنـواع من كتب الحديث أخرى عـديدة لا يتَّسع المقـام لذكـرها ، غـير أنَّ ما لا يمكنـني إهمـاله هنـا هـو كتب الشُّروح الحديثيَّـة الَّتي جمعت بـين الفـوائد الحديثيَّـة و الفقهيَّـة و الأصوليَّـة و اللُّغويَّـة و الأدبيَّـة و التَّاريخيَّـة و الأخلاقيَّة ممَّا لا يزهـد فيه ذو عقل و لا يسـع أحـد أن يغفله ، و ذلك كشروح البخـاري و مسلم و أبي داود و الـتِّرمـذي و موطَّا مالك و غيرها ، و يجب على الدَّاعية أن يوجّه عنايـة خاصَّة إلى السِّيرة النَّبويَّة الكريمة ، ففيها نجد التَّطبيق العملي للإسلام .

٣ . الفقه :

ولابدَّ للدَّاعية من قدر كاف من الثَّقـافة الفقهيَّة بحيث يعرف أهمَّ الأحكام الشَّرعيَّة في العبادات و المعـاملات و الآداب ، و بحيث يكون قـادراً على مراجعـة ما لم يعرفـه أو يستحضره في مظانِّه الموثوقة ، و مصادره المعتمدة ، و ذلك مهمٌّ للدَّاعية من نواح عديدة :

أوَّلاً : ليستطيع أن يجيب السَّائلين عن الحـلال و الحـرام و شئون العبـادة و الأسرة و نحوها ، ممَّا يكثر احتياج النَّاس إلى معرفته و سؤالهم عنه ، فمن لم يكن متضلِّعاً من الفقه سكت أو هرب ، و في ذلك إضعاف لموقفه و تاثيره أو أفتى عن جهل فيَضلُّ و يُضلُّ .

ثانياً : ليمكنه تصحيح ما يقـابله من أخطاء و تقويم ما يواجهـه من انحرافـات في ضوء الأحكام الشَّرعيَّة .

ثالثاً : ليعمل على تضمين عظاته و دروسه من الأحكام المهمَّة ما تعنُّ له المنـاسبة و يحتـاج إليه النَّـاس ، فـالدَّاعيـة النَّـاجح هو الَّذي يجمع بـين وعظ النَّاس و تفقيههم بحيث لا يطغى و عظه على فقهه ، و لا فقهه على وعظه .

٤. علم أصول الفقه :

و لا بـدَّ للدَّاعيـة الإلمام بعلم أصول الفقـه إلماماً كافيـاً حتَّى يعرف الأدلَّـة المتَّفق عليها بين فقهاء الأمَّـة ، و هي الكتـاب و السَّنَّة و الَّتي اتَّفـق عليهـا جمهورهـم و هي الإجماع و القيـاس ، و الَّتي اختلفوا فيها بعـد ذلك بـين مثبت و نـاف و مضيِّـق و موسِّع و متـوسِّط ، و هي الاستحسـان و المصلحـة المرسلة و الاستصحاب و شرع من قبلنا و قول الصَّحابي و ما إلى ذلك ممَّا تفـرَّقت فيه وجهات النَّظر و كيف تستنبط الأحكام من أدلَّتها ، و من يجوز له الاستنباط و من يجب

عليه ، و من يجب عليه التَّقليد و من يحرم عليه . و يحسن للدَّاعية تتمَّة لهذا أن يعرف نبذة عن تاريخ الفقـه الإسلامي و نشأة المذاهب و تطوُّرهـا ، و غلبـة الجمود و التَّقليد على الاجتهـاد ، و الاستنباط فى الأعصر الأخيرة .

٥ . علم العقيدة :

لقد حشيت مؤلَّفـات العقيـدة القديمة ـ في أغلبها ـ بالمباحـث الكلاميَّة و الجدلات الفلسفيَّـة ممَّا لا يحتـاج إليـه العقل المعـاصر أو يستسيغـه و قد لا يفهمه إلاَّ بعد إنفـاق جهـد ذهنيٍّ ضخـم ، بالإضافة إلى أنَّ أغلب هذه المباحث قد تأثَّرت بالتَّفكير اليوناني و الأسلوب الفلسفي في معالجة أمور العقيـدة . و لذلك فليس هناك فـائدة تظهر من دراسة هـذه الكتب ، و إجهاد العقول في حلِّ ألغازها و تبيين معمَّياتها اللَّهـمَّ! إلاَّ أن تدرس أو تدرَّس كتاريخ للفكر الإسلامي و تطوَّراته. لذلك فإنَّه يجب على الدَّاعية في دراسة العقيدة مراعاة ما يلي :

١ . أن يكون كتـاب الله تعالى و ما يبيِّنه السُّنَّة الصَّحيحة هو المصدر الوحيـد للعقيدة بعيداً عن الشَّوائب و الأوشاب .

٢ . أن يتَّبع منهج القرآن في مخاطبة العقل و القلب و العاطفة و الوجدان معاً

٣ . الاهتمـام بأدلَّة القـرآن الَّتي ذكرهـا لإثبات ما يقـرِّره من الحقـائق و إقنـاع المدعويـين و تنفيذ مفتريات الخصوم و شبهاتهم .

٤ . صرف الهمَّة إلى مشكلات العقل المعاصر ، و الاشتغال بقضايا العقيدة الكبرى : مثل وجود الله تعـالى و توحيـده و النُّبـوَّة و المعـاد ، مع الإعـراض عن المباحث الفلسفيَّـة المحضة مثل : هل الصِّفات عين الذَّات أم غيرها ، أم لا عين و لا غير ... ؟

٥ . الاستفـادة من ثقـافة العصر و خصوصاً في ميادين العلوم البحتـة كالفلك و الطِّبِّ و الفيزيـا و غيرها ، لتأييد قضايا العقيـدة و تثبيتها كما فعل ذلك كثـير من المؤلِّفين في زماننا مثل صاحب كتاب " العلم يدعـو إلى الإيمان " و صـاحب " قصَّـة الإيمان " و صاحب " الإسلام يتحـدَّى"

٦. أن يتبنَّى طريقة السَّلف في وصف الله تعالى بما وصف به نفسه هو أو رسوله من غير تكييف و لا تمثيل و لا تحريف و لا تعطيل معتبراً في ذلك بما قالـه الفخر الـرَّازي :" لقد تأمَّلت المناهج الفلسفيَّـة و الطُّرق الكلاميَّـة فلم أرها تشفي عليـلاً أو تنفـع غليـلاً ، و رأيت خير الطُّرق طريق

القرآن ، اقـرأ فى الإثبات (الـرَّحْمَنُ عَلَى الْعَـرْشِ اسْتَوَى) و اقـرأ فى النَّهي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) و من جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي "

٦ . النِّظام الإسلامي .

و من أهمِّ ما ينبغي للدَّاعيـة أن يدرس دراسة وعي و هضم النِّظام الإسلامي . و المقصود بذلك دراسة الإسلام خالصاً غـير مشوب متكاملاً غـير مجزَّأ ، دراسة الإسلام باعتبـاره مذهباً متميِّزاً ، و نظاماً كاملاً للحياة : الحياة الفرديَّة و الاجتماعيَّة و المادِّيَّة و المعنويَّة .دراسة الإسلام مصفًّى من الشَّوائب و الفضول الَّتي ألصقت بـه على مـرِّ العصور . دراسة الإسلام شامـلاً كامـلاً غـير مبتور ، و لا مجـزَّأً و لا محذوف منه بعقـائده و تصوُّراته بشعائره و عباداتـه ، بأخلاقه و آدابه ، بنظمه و تشريعاته الاقتصاديَّـة و الاجتماعيَّـة و السِّياسيَّة و المدنيَّة و الجنائيَّة ، مع وجوب الرَّبط بينها و شدِّها جميعاً إلى أصل أصولها ، و هو توحيـد الله تعالى . دراسة الإسلام سليماً مـبرَّأً من تشويه المشوِّهـين ، و تحريف الغـالين و انتحال المبطلين و تأويل الجـاهلين . و يمكن للدَّاعيـة أن يستفيد في هـذا المجال من الكتابات الكثـيرة الطَّيِّبـة الَّتي كتبها رجـالات الفكر الإسلامي في أنحاء العـالم الإسلامي من الَّذين تـوفَّى الله بعضهـم إلى رحمته و لا يـزال بعضهم على قيـد الحياة ـ أمـدَّ الله في عمرهم و زاد بهم النَّفـع ـ : كالإمام الشَّهيـد حسن البنَّا و أبي الأعلى المودودي و سيِّد قطب و أبي الحسن النَّـدوي و محمَّـد أسد و محمَّد الغـزالي و غيرهـم و ذلك على سبيل المثال لا الحصر مع الملاحظة أنَّ كلَّ بشر يؤخذ منه كلامه و يترك إلاَّ المعصوم صلَّى الله عليه وسلَّم .

ثانياً . الثَّقافة التَّاريخيَّة .

و هي من الثَّقـافات اللاَّزمة للدَّاعيـة بدون شكٍّ ، و ينبغي للدَّاعيـة أن يركِّـز اهتمامه على تاريخ الإسلام و الأمَّـة الإسلاميَّـة على نحو خاص مع الإلمام بتـاريخ الإنسانيَّـة بوجـه عام أعني المواقف الحـاسمة منه و الملامح الرَّئيسيَّة فيـه . و تأتي أهمِّيَّـة الاعتنـاء بالتَّاريخ بالنِّسبة للدَّاعيـة من وجوه :

١ . أنَّه يوسِّع آفاق الدَّاعيـة و يُطلعه على أحوال الأمم ، و أنَّـه كيف تعمل سنن الله المحكمة فى الأمـم و الدُّول و المجتمعـات بلا محـابـاة و لا جـور ، كيف تـرقى الأمـم و تهبط ، كيف تنتصر الدَّعوات و تخفق ، كيف تحيى الحضارات و تموت ؟

٢ . إنَّ التَّاريخ كثيراً مَّا يعين على فهم الواقع الماثل ، و لا سيَّما إذا تماثلت الظُّروف و تشابهت الدَّوافع ، و هذا ما جعل العرب يقولون : ما أشبه اللَّيلة بالبارحة ؟ و جعل الغربيِّين يقولون : التَّاريخ يعيد نفسه .

٣. و أكثر من ذلك أنَّ بعض القضايا الحاضرة لها جذورها التَّاريخيَّة البعيدة الأغوار ، فالصِّدام بين الإسلام و المسيحيَّة في هذا العصر لا يعرفه حقَّ المعرفة من لم يعرف صراع الحروب الصَّليبيَّة و دوافعها و نتائجها و آثارها .

٤ . إنَّ بعض جوانب التَّاريخ لها صلة وثيقة بعمل الدَّاعية و اهتماماته مثل : تاريخ الأديان نشأتها و تطوُّرها ، و أهمُّ الشَّخصيَّات و الوقائع المؤثِّرة في سيرها و مثل تاريخ النِّحل و الفرق ، و تاريخ الفلسفات و المدارس الفكريَّة و تاريخ الحضارات الكبرى .

ثالثاً . الثَّقافة الأدبيَّة و اللُّغويَّة .

إنَّ الثَّقافة الأدبيَّة و اللُّغويَّة تعين الدَّاعية على صحَّة الأداء و حسن التَّعبير و جودة التَّصوير ، ممَّا يؤثِّر في السَّامعين تأثيراً حسناً و يضفي على كلامه رونقاً و بهاءً ، فضلاً عن أنَّ النَّقص في هذا الجانب قد يؤدِّي إلى خطأ في الفهم و غلط في الاستنتاج ، و من الأمثلة على ذلك تفسير بعضهم قوله تعالى : (يَوْمَ نَدْعُوْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) أنَّهم ينادون بأمَّهاتهم فيقال : فلان ابن فلانة (١) و إنَّما أتى هذا القائل من قبل ضعفه في علم الصَّرف ، و قد جاء في الحديث (إِنَّ مِنَ الْبِيَانِ سِحْراً ، وَ إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَماً) (٢) . و سوف يجد الدَّاعية في مصادر الأدب و الشِّعر و الأبيات الرَّائقة و الجمل الرَّائعة و الطَّرائف و الملح ما يزيِّن به كلامه و يحسِّن به عرضه للموضوعات و المعاني فيصل به إلى القلوب ، كما يروِّح به عن سامعيه ، فإنَّ القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان .

رابعاً . الثَّقافة الإنسانيَّة .

و نعني بها أن يلمَّ الدَّاعية إلماماً مناسباً بأصول ما يعرف الآن باسم " العلوم الإنسانيَّة " مثل

---

(١) روح المعاني - ج١٥- ص ١١٢

(٢) رواه أبوداود في سننه- كتاب الأدب- حديث رقم- ٥٠١١- ج٤- ص ٣٠٣ عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما

علم النَّفس و علم الاجتماع ، و الاقتصاد و الفلسفة و الأخلاق و التَّربيَّة ، و هذا مهمٌّ للدَّاعية من نواح عديدة :

١ . إنَّ الإلمام بهذه العلوم يعين على فهم النَّاس و الَّذين تثقَّفوا بهذه العلوم و أصبحت جزءً من تكوينهم الفكري و مزاجهم الثَّقافي ، و الدَّاعية مأمور أن يخاطب النَّاس على قدر عقولهم ، و لا يستطيع ذلك ما لم تكن بينه و بينهم رابطة جامعة من الثَّقافة يتفاهم بها الطَّرفان .

٢ . إنَّ لهذه العلوم في كثير من الأحيان رشحات ضارَّة على الثَّقافة المعاصرة ، و سموماً تنفثها في شتَّى المجالات لا يكاد يسلم منها كتاب أو مجلَّة أو صحيفة أو إذاعة أو غيرها ، و من لم يعرف مصادر هذه الرَّشحات و السُّموم لم يستطع أن يقاومها بأسلوب علميٍّ رصين ، بل لعلَّها تتسلَّل إلى نفسه ، و تؤثِّر في فكره و قلبه و لسانه و هو لا يشعر "لم يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهليَّة "

٣. تحمل هذه العلوم في طيَّاتها الكثير من الأفكار الهدَّامة و الفلسفات المنحرفة ، فكان لا بدَّ للدَّاعية من معرفتها ليتمكَّن من الرَّدِّ على الفكر المخالف بسلاح الفكر نفسه ، لأنَّ الرَّدَّ على المخالفين بالقرآن و الحديث لا يصلح ، إذ هم لايؤمنون بهما ، و هذا ما فعله الغزالي في كتابه "تهافت الفلافسفة" و ابن تيميَّة في "درء تعارض العقل و النَّقل" و في " نقض المنطق" و غيرهما.

خامساً . الثَّقافة العلميَّة العامَّة .

و أعني بالعلم هنا مفهومه الاصطلاحي الحديث ـ و لا مشاحَّة في الاصطلاح ـ و هو ما قام من العلوم على الملاحظة و التَّجربة ، و خضع للقياس و الاختبار ، مثل علوم الفيزيا و الكيميا و الأحياء و الجيولوجيا و الفلك و التَّشريح و الطِّبِّ و غيرها ، و لا نريد للدَّاعية أن يتعمَّق في دراسة هذه العلوم ، فإنَّ هذا غير مقدور عليه و العمر لا يتَّسع ، و المعرفة بحر لا ساحل له (وَ مَا أُوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيَلاً) (١) . إنَّما نريد منه أن يلمَّ بها بعض الإلمام عن طريق مطالعة بعض الكتب الميسَّرة منها ممَّا يكتب لغير المتخصِّصين ، و كذلك المقالات العلميَّة في المجلاَّت ممَّا ينشر ليقرأه جمهور المثقَّفين و المفروض أنَّه واحد منهم .

(١) سورة الإسراء ، من الآية رقم ٨٥

و الثَّقافـة العلميَّـة مهمَّة في عصرنا للدُّعاة لأسباب عديدة :

١. إنَّها ضروريَّة لفهـم الحياة المعاصرة ، و قد أصبح العلم شريانها و المحرِّك لعجلتها ، فما من بيت إلاَّ دخلته آثـار العلم الحديث من كهرباء و أجهزة و أدوات و حتَّى المسجد نفسه نجد فيه أشياء من إنتـاج العلم الحـديث ، و لا يجمل بالدَّاعيـة أن يعيش في دنيـا يسيِّرها العلم و يديرها ، و لا يدرك الأساسيَّات لهذا العلم .

٢ . إنَّ بعض ما يعـزى إلى العلم و تحويـه كتبـه و مقرَّراتـه يتَّخـذ وسيلة للتَّشكيك فى الدِّين مثل نظريَّة " النَّشر و الارتقـاء " مثلاً . فلا بدَّ للدَّاعيـة من معرفـة هـذه الأشياء و قيمتها من النَّاحية العلميَّة حتَّى يمكن الـرَّدُّ عليها على وجـه البصيرة " و الحكم على الشَّيئ فرع عن تصوُّره "

٣ . يستطيع الدَّاعيـة أن يستخـدم كـثيراً من الحقـائق العلميَّـة في تأييـد قضـايا الدِّين و توضيـح مفاهيمـه و الذَّبِّ عنه بدفـع شبهـات خصومه و مفـتريات أعـدائه ، كما نـرى ذلك واضحـاً في كتـاب أركـريسي موريسون " الإنسان لا يقـوَّم وحـده " المترجم إلى العربيَّـة تحت عنـوان " العلم يدعو إلى الإيمان " و كتاب " الله يتجلَّى في عصر العلم" لثلاثين عالماً أمريكيًّا معاصراً و " قصَّة الإيمان " للشَّيخ نديم الجسر و " الإسلام يتحدَّى" لوحيد الدِّين خان (١)

---

(١) المآخذ لهذا الفصل أي احتياج الدَّاعية إلى الثَّقافات المتنوِّعة :

(أ) ثقافة الدَّاعية : للدُّكتور يوسف القرضاوي .

(ب) معالم فى الطَّريق : لسيِّد قطب

(ج) نهج البلاغة : لأبى الحسن محمَّد الرَّضي

(د) نحو نظريَّة للتَّربية الإسلاميَّة : للدُّكتور علي جريشة

الفصل الثَّاني : العمل بما يدعو إليه الدَّاعيـة و إعطـاؤه القـدوة الحسنة من نفسه

إنَّ من أوجب واجبات الدَّاعية أن يجعل من نفسه قدوة طيّبة للنَّاس ، و أن يكون ترجمة حيَّة لما يدعو إليه ، و ليحذر ـ كلَّ الحذر ـ أن يخالف فعله قوله ، و يكذِّب مخبره مظهره .

إنَّ الدَّاعية يأمر النَّاس بالخير و لا يأتيه ، و ينهى النَّاس عن الشَّرِّ و يأتيه لا يستطيع أن ينفع النَّاس بدعوته ، ولا أن يؤثِّر فيهم أيَّ تأثير حسن ، بل يكون عقبة في سبيل الإصلاح بنفسه ، بل يكون سبباً لصدِّ النَّاس عن سبيل الدَّعوة و إفساد سمعة الدُّعاة الآخرين. و قد أنكر سبحانه و تعالى على أحبار اليهود سيرتهم المعوجة فى الإرشاد فقال : (أَ تَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُوْنَ الْكِتَابَ أَ فَلاَ تَعْقِلُوْنَ (١) . و في قوله تعالى : (أَ فَلاَ تَعْقِلُوْنَ) تعجيب للعقلاء من هذا المسلك المعيب ، و أنَّ هذه الطَّريقة يرفضها العقل . و قال سبحانه و تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لاَ تَفْعَلُوْنَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُوْا مَا لاَ تَفْعَلُوْنَ) (٢) . و عن أسامة بن زيد رضي الله عنه مرفوعاً " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ ، فَيَدُوْرُ كَمَا يَدُوْرُ الْحِمَارُ بِرِحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُوْلُوْنَ : أَيْ فُلاَنُ ! مَا شَأْنُكَ ؟ أَ لَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوْفِ وَ تَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوْفِ وَ لاَ آتِيْهِ وَ أَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ آتِيْهِ " (٣) و عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً " رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِيْ رِجَالاً تُقْرَضُ شَفَاهُهُمْ بِمَقَارِيْضَ مِنَ النَّارِ ، فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيْلُ ؟ فَقَالَ : الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الَّذِيْنَ يَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ يَنْسَوْن أَنْفُسَهُمْ ، وَ هُمْ يَتْلُوْنَ الْكِتَابَ أَ فَلاَ يَعْقِلُوْنَ " (٤)

و قال أبو الدَّرداء : " ويل للجاهل مرَّة ، و ويل للعالم سبع مرَّات " (٥)

و قال عليٌّ رضي الله عنه : " قصم ظهري رجلان : عالم متهتِّك ، و جاهل متنسِّك ، فالجاهل

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٤٤

(٢) سورة الصَّفِّ ، الآية رقم ٢ ، ٣

(٣) صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب صفة أهل النَّار و أنَّها مخلوقة – ج٢– ص ٢٢٠ و اللَّفظ له . صحيح مسلم – كتاب الزُّهد – ج ١٨– ص ١١٨

(٤) رواه ابن حبَّان في صحيحه – كتاب الإسراء – ذكر وصف الخطباء الَّذين يتَّكلون على القول دون العمل حيث رآهم صلَّى الله عليه وسلَّم ليلة أسري به – حديث رقم– ٥٣– ج١– ص ٢٤٩

(٥) انظر هداية المرشدين – ص ٩٤

يغرُّ النَّاس بتنسُّكه ، و العالم يغرُّهم بتهتُّكه " (١)

و إذا كان الدَّاعية مرموقاً منظوراً إليه تضاعفت المسئولية عليه لأنَّه متَّبع ، و كثير من النَّاس يبيحون لأنفسهم أن يرتكبوا المخالفات لمجرَّد أن رأوا رجلاً موثوقاً يفعلها ، و لو أنكر عليهم منكر لأجابوه : إنَّ فلاناً يفعل ذلك .

و إذا اختلف قول الدَّاعية عن فعله فالنَّاس إزاءه فريقان : . فإمَّا أن يكونوا واثقين به ، و هؤلاء صنفان : أوَّلهما حسن الظَّنِّ يأوِّل عمله قائلاً : إنَّ فعله دالٌّ على الجواز و قوله منصرف إلى الكمال ، و ما دام جائزاً فلا شيئ علينا في فعله ، و الصِّنف الثَّاني : تنعدم ثقته حال ما يطَّلع على هذا الازدواج المقيت و تتزلزل ثقته بدعوته ، و هناك عدد من غلاة الملحدين نشأوا في بيوت إسلاميَّة قائمة على الازدواج ، و لعلَّ هذه النَّشأة سبب في إلحادهم. و إمَّا أن يكونوا غير واثقين به أصلاً فيهاجمونه و فكرته و يقولون فيه : إنَّه دجَّال يريد أن يضع النَّاس في أقفاص من الأوهام لمصالح يجنيها هو و شركاؤه و يتَّخذون مثل هذا السُّلوك متَّكئاً و ممسكاً . (٢)

قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله :" علماء السُّوء جلسوا على باب الجنَّة يدعون إليها النَّاس بأقوالهم و يدعونهم إلى النَّار بأفعالهم ، فكلَّما قالت أقوالهم للنَّاس : هلمُّوا ! قالت أفعالهم : لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أوَّل المستجيبين له ، فهم فى الصُّورة أدلاَّء و فى الحقيقة قطَّاع الطَّرق " (٣)

و على الجملة فحقُّ الواعظ أن يتَّعظ ثمَّ يعظ و يبصر ثمَّ يبصِّر و يهتدي ثمَّ يهدي ، و لا يكون دفتراً يفيد و لا يستفيد و مسنًّا يستحدُّ و لا يقطع ، و سراجاً يضيئ للنَّاس و يحرِّق نفسه ، فمن الحكم المأثورة " مثل العالم الَّذي يعلِّم النَّاس و هو غير عامل كشمعة موقودة تضيئ للنَّاس و تحرِّق نفسها " بل يكون كالشَّمس تفيد القمر الضَّوء و لها أفضل ممَّا تفيده ، و كالنَّار تحمى الحديد و لها من الحمو أكثر ممَّا تفيد ، و كالمسك يطيِّب غيره و هو طيِّب في نفسه (٤)

---

(١) انظر هداية المرشدين – ص ٩٤

(٢) من صفات الدَّاعية – ص ٣٠ ، ٣١

(٣) الفوائد – ص ١٠٥

(٤) انظر كتاب الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة – ص ٢٥٤

فالدَّاعي من المدعو يجري مجرى التَّابع من المتبوع ، فكما أنَّه محال أن ينطبع نحو الطِّين على الطَّابع بما ليس متنقِّشاً به كذلك محال أن يحصل في نفس المدعو ما ليس بموجود من الدَّاعي ، فإذا لم يكن الدَّاعي إلاَّ ذا قول مجرَّد من العمل لم يكن نصيب المدعو منه إلاَّ القول ، و أيضاً مثل المرشد من المسترشدين مثل العود من الظِّلِّ ، فكما أنَّه محال أن يعوج العود و يستقيم الظِّلُّ كذلك محال أن يعوج المرشد و يستقيم المسترشدون . قال حجَّة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله فيما كتبه إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل : أمَّا الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له ، لأنَّ الوعظ ذكاة نصابه الاتِّعاظ ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزَّكاة ، و فاقد النُّور كيف يستنير به غيره ، و متى يستقيم الظِّلُّ و العود أعوج ؟ (١)

قال سيِّد قطب :" إنَّ آفة رجال الدِّين ـ حين يصبح الدِّين حرفة و صناعة لا عقيدة حارَّة دافعة ـ أنَّهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ، يأمرون بالخير و لا يفعلونه ، و يدعون إلى البرِّ و يهملونه ، و الدَّعوة إلى البرِّ و المخالفة عنه في سلوك الدَّاعية إليه هي الآفة الَّتي تصيب النُّفوس بالشَّكِّ لا فى الدُّعاة وحدهم و لكن فى الدَّعوات ذاتها ، و هي الَّتي تبلبل قلوب النَّاس و أفكارهم ، لأنَّهم يسمعون قولاً جميلاً و يشهدون فعلاً قبيحاً ، فتتملَّكهم الحيرة بين القول و الفعل و تخبو في أرواحهم الشُّعلة الَّتي توقدها العقيدة ، و ينطفئ في قلوبهم النُّور الَّذي يشعُّه الإيمان و لا يعودون يثقون فى الدِّين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدِّين . إنَّ الكلمة لتنبعث ميتة و تصل هامدة ، مهما تكن طنَّانة رنَّانة متحسِّمة إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها ، و لن يؤمن إنسان بما يقول حقًّا إلاَّ أن يستحيل هو ترجمة حيَّة لما يقول و تجسيماً واقعيًّا لما ينطق عندئذ يؤمن النَّاس و يثق النَّاس و لو لم يكن في تلك الكلمة طنين و لا بريق إنَّها حينئذ تستمدُّ قوَّتها من واقعها لا من رنينها و تستمدُّ جمالها من صدقها لا من بريقها ، إنَّها تستحيل يومئذ دفعة حياة لأنَّها منبثقة من حياة " (٢)

قال الفضيل بن عياض رحمه الله :" بلغني أنَّ الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل

(١) هداية المرشدين – ص ٩١

(٢) في ظلال القرآن – ج١– ص ٦٨ عند قوله تعالى : أَ تَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ...

عبدة الأوثان " و قال الشَّعبي :" يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنَّة على قوم من أهل النَّار فيقولون لهم : ما أدخلكم النَّار ، و إنَّما أدخلَنا الله الجنَّة بفضل تأديبكم و تعليمكم ؟ فيقولون : إنَّا كنَّا نأمر بالخير و لا نفعله و ننهى عن الشَّرِّ و نفعله " و قال حاتم الأصمُّ رحمه الله :" ليس في القيامة أشدُّ حسرة من رجل علَّم النَّاس علماً فعملوا به و لم يعمل هو به ففازوا بسببه و هلك هو " و قال مالك بن دينار :" إنَّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلَّت موعظته عن القلوب كما يزلُّ القطر عن الصَّفا "

عن عبد الرَّحمن بن غنم أنَّه قال :" حدَّثني عشرة من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم قالوا : كنَّا ندرس العلم في مسجد قباء ، إذ خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم فقال : (تَعَلَّمُوْا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعَلَّمُوْا فَلَنْ يَأْجُرَكُمُ اللهُ حَتَّى تَعْمَلُوْا) (١) و قال عيسى عليه الصَّلاة و السَّلام : مثل الَّذي يتعلَّم العلم و لا يعمل به كمثل امرأة زنت في السِّرِّ فحملت فظهر حملها فافتضحت ، ، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق " و قال معاذ بن جبل رضي الله عنه :" احذروا زلَّة العالم لأنَّ قدره عند الخلق عظيم فيتَّبعونه على زلَّته ". (٢)

و قد كان رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم المثل الأعلى في ميدان العمل ، و لذلك أمر جميع الأمَّة باتِّباعه صلَّى الله عليه وسلَّم ، و أنَّ كلَّ عمله كان مطابقاً لرضا الله سبحانه ، كيف و إن لم يكن النَّبيُّ قدوة فمن يكون بعده و قد قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (٣) ؟ و قالت عائشة رضي الله عنها : (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ) (٤). يعني أنَّ كلَّ أمر أمر الله به في كتابه المنزَّل ، و كلَّ نهي نهى عنه كان مترجماً ترجمة واقعيَّة في حياة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم ، و من ثمَّ كان خلقه القرآن . و أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه و أرضاه قال : بينا نحن

(١) قال العراقي : علَّق ابن عبد البرِّ و أسنده ابن عدي و أبو نعيم و الخطيب ، و قال : و رواه الدَّارمي موقوفاً على معاذ بسند صحيح " تخريج العراقي لأحاديث الإحياء – ج١– ص ٧٩

(٢) انظر إحياء علوم الدِّين – ج١– ص ٧٨ ، ٧٩

(٣) سورة الأحزاب ، الآية رقم ٢١

(٤) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين – ج٦– ص ٢٦

عند رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم و هو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة ـ و هو رجل من بني تميم ـ فقال : يا رسول الله ! اعدل ، قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (وَيْلَكَ ! وَ مَنْ يَعْدِلْ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ؟ قَدْ خِبْتُ وَ خَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ... الحديث بطوله) (١)

و عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يقول : (إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لَيَقُوْمُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ ، فَيُقَالُ لَهُ ، فَيَقُوْلُ : أَ فَلاَ أَكُوْنُ عَبْداً شَكُوْراً) (٢) .

و كذلك الصَّحابة كلُّهم كانوا في القمَّة العليا و النَّموذج العالي في الامتثال و العمل . هم الَّذين قال فيهم جلَّ و علا : (الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوْا للهِ وَ الرَّسُوْلِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ... الآية) (٣) و بيَّن الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الفرقة النَّاجية هي الَّتي تتمسَّك بطريقة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ و أصحابه بقوله : (مَا أَنَا عَلَيْهِ وَ أَصْحَابِيْ) (٤) . و ليس هناك مثال أو مثالان فأكثر يكفي ذكره في هذا المجال ، بل جميع حياتهم كانت مثالاً واقعيًّا في كلِّ مجال الحياة ، و الَّذي يريد التَّفصيل فليرجع إلى كتاب " حياة الصَّحابة " للكاندهلوي و " فضائل الصَّحابة " للإمام أحمد ابن حنبل و كتب أخرى . يقول محمَّد قطب :" ذلك الجيل الَّذي قال عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : (خَيْرُكُمْ قَرْنِيْ) (٥) و الَّذي استحقَّ استحقاقاً كاملاً وصف الله سبحانه (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ...) (٦) إنَّه الجيل الَّذي تمَّ فيه اللِّقاء بين المثال و الواقع فترجم مثاليَّات الإسلام إلى واقع و ارتفع بالواقع البشري إلى درجة المثال . و المثاليَّة الواقعيَّة أو الواقعيَّة المثاليَّة من أبرز خصائص هذا الدِّين ،

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الزَّكاة - ج٧- ص ١٦٥

(٢) صحيح البخاري- كتاب التَّهجُّد باللَّيل - باب قيام النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم حتَّى ترم قدماه - ج١- ص ١٩٧ ، ١٩٨ ، و انظر صحيح مسلم - كتاب صفة القيامة و الجنَّة و النَّار - باب إكثار الأعمال و الاجتهاد في العبادة - ج ١٨- ص ١٦٢

(٣) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٧٢

(٤) (هذه الكلمة) رواه الطَّبراني في الكبير كما في مجمع الزَّوائد - ج٧- ص ٢٥٩ . أمَّا حديث افتراق هذه الأمَّة في ثلاثة و سبعين فرقة فحديث صحيح مشهور كذا قال ابن تيميَّة . انظر فتاواه - ج٣- ص ٣٢٥

(٥) حديث مشهور أخرجه البخاري و غيره بلفظ متقارب عن عمران بن حصين رضي الله عنه

(٦) سورة آل عمران ، الآية رقم ١١٠

فلا هو يضع مثلاً روحانيَّة عسيرة التَّطبيق تهمل ضرورات الإنسان و واقعه المادِّي و تشدُّ النَّاس إلى أعلى شدًّا بلا هوادة فتعلِّقهم في الفضاء ، كما تصنع الهندوكيَّة و اليوذيَّة و الرُّهبانيَّة ، و لا هو إذ يلتفت إلى مطالب الجسد و عالم المادَّة يحبس الإنسان في نطاق ضروراته و يقعد به عن التَّحليق في الآفاق العليا الَّتي يتحقَّق فيها المثال ، بل يأخذ بهذه و تلك في آن واحد على توازن و اتِّساق ، و من ثمَّ تلتقي فيه المثاليَّة الَّتي لا تهمل الواقع بالواقعيَّة الَّتي لا تهمل المثال ، و يكون من نتائجها ــ في أعلى حالاتها ــ ذلك الجيل المتفرِّد في التَّاريخ .

و قال: إنَّما الَّذي تفرَّد به ذلك الجيل هو الدَّرجة العجيبة الَّتي قاموا فيها بتحقيق هذه الخصائص في عالم الواقع بعد قيامهم بتحقيقها في ذوات أنفسهم ، و هذه درجة لم يفرضها الله فرضاً على النَّاس ، إنَّما فرض عليهم الحدَّ الأدنى الَّذي لاتستقيم الحياة بدونه و ترك الدَّرجات العُلى للتَّطوُّع النَّبيل الَّذي تقدر عليه النُّفوس حين تتربَّى التَّربية الصَّحيحة على الإسلام و تستضيئ بنور الحقِّ، و تعبد الله كأنَّها تراه و تقتدي بالرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كأنَّها تعايشه (١)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :" كان الرَّجل إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهنَّ حتَّى يعرف معانيهنَّ و العمل بهن " (٢)

و عن مالك بن دينار عن الحسن قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ : (مَا مِنْ عَبْدٍ يَخْطُبُ خُطْبَةً إلاَّ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ سَائِلُهُ عَنْهَا أَظُنُّهُ قَالَ : مَا أَرَادَ بِهَا) قال جعفر : كان مالك بن دينار إذا حدَّث بهذا الحديث بكى حتَّى ينقطع ثمَّ يقول : تحسبون أنَّ عيني تقرُّ بكلامي عليكم و أنا أعلم أنَّ الله عزَّ و جلَّ سائلي عنه يوم القيامة ما أردتُّ به) (٣)

و أسأل الله تعالى أن يجعلنا علماء عاملين و يوفِّقنا باتِّباع سيِّد المرسلين صلاة الله و سلامه عليه ، و يحملنا على ما كان عليه الصَّحابة الهاديُّون المهديُّون رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) واقعنا المعاصر – ص ١٥ ، ٣١

(٢) جامع البيان للطَّبري – ج١– ص ٢٧

(٣) قال المنذري : رواه ابن أبي الدُّنيا و البيهقي مرسلاً بإسناد جيِّد . انظر التَّرغيب و التَّرهيب– ج١– ص ١٢٥ ، ١٢٦

الفصل الثَّالث : معرفة الدَّاعي بأعداء الإسلام و تحرُّكاتهم و كيدهم للإسلام و أهله

يجب على الدَّاعية أن يعرف عالَمه الَّذي يعيش فيه و ما يقوم عليه من نظم و ما يسوده من مذاهب ، و ما يصطرع فيه من قوى ، و ما يجري فيه من تيَّارات ، و ما يعجُّ به من متاعب ، و أن يعرف ـ بخاصَّة ـ و طنه الإسلامي الكبير بآماله و ألامه و أسباب قوَّته و تقدُّمه و عوامل ضعفه و تخلُّفه ، و ما تقاسيه من صراعات و مشكلات ، و ما يشغل أهلها من قضايا و أفكار أو يتهدَّدهم من أخطار .

إنَّ على الدَّاعية أن يعرف واقع القوى العالميَّة المعادية للإسلام من اليهوديَّة و الصَّليبيَّة و الشُّيوعيَّة ، و يعرف الأسباب و الدَّوافع وراء كيدها لنا ، و وسائلها فى الحرب ، و أساليبها و أجهزتها و مؤسَّستها ، و عليه أن يعرف واقع الأديان المعاصرة فيعرف اليهوديَّة و توراتها المحرَّفة و تلمودها الرَّهيب ، و نظرتها إلى الأمميَّين ، و يعرف المسيحيَّة و طوائفها و كنائسها المختلفة ، و مدى تعاونها مع اليهود ضدَّ المسلمين ، و يعرف الهندوكيَّة و البوذيَّة بمعتقداتهما و طوائفهما و موقفهما من المسلمين ، كما يجب عليه أن يعرف واقع المذاهب السِّياسيَّة المعاصرة من شيوعيَّة و رأسماليَّة و اشتراكيَّة و ديمقراطيَّة و دكتاتوريَّة .

و هذه العلوم و الثَّقافة لا تستمدُّ من الكتب وحدها ، و لكنَّها تستمدُّ ـ أيضاً ـ من الصُّحف و المجلاَّت و الدَّوريَّات و النَّشريَّات ، كما تستمدُّ من مصادرها الحيَّة المباشرة بلقاء النَّاس و مخالطتهم ، و مشاهدة أحوالهم و الاستماع إلى أحاديثهم فى الحضر و السَّفر .

و الدَّاعية النَّاجح هو الَّذي يعيش منفتح العينين ، مستيقظ الفكر ، حاضر الذِّهن ، مرهف الحسِّ ، و يستطيع أن يأخذ من كلِّ ما حوله من وقائع الحياة اليوميَّة ، مدداً يمدُّه في محاضراته و خطبه و مواعظه و دعوته (١)

و أتعرَّض هنا لبيان الكتل الخمسة : اليهوديَّة و النَّصرانيَّة و البوذيَّة و الهندوكيَّة و العلمانيَّة (اللاَّدينيَّة)

اليهوديَّة : إمَّا مأخوذة من الهود بمعنى التَّوبة أو التَّهويد بمعنى التَّرجيع بالصَّوت في لين و تطريب و يمكن أن يكون لفظ اليهود منسوباً إلى يهوذا أخي يوسف الصِّدِّيق عليه السَّلام و يمكن أن

(١) ثقافة الدَّاعيَّة – ص ٩٠

يكون من المهاداة و هي المواعدة على حدِّ قوله تعالى : (وَ وَاعَدْنَا مُوْسَى ثَلاَثِيْنَ لَيْلَةً ...) (١) و اليهود هم الزّاعمون بأنّهم أتباع موسى عليه السَّلام ، ولم نجد في كتاب الله و لا في سنَّة رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم إطلاق اليهود على سبيل المدح على أنّنا لا نستطيع أن نحدِّد بالضَّبط التَّاريخ الَّذي أطلقت فيه هذه الكلمة على هذه الطَّائفة من النَّاس ، و نحن نجزم بأنّها لم تعرف في عهد موسى عليه السَّلام ، و إنَّما كانوا يُعرفون في عهده عليه السَّلام ببني إسرائيل ، و يُطلق عليهم كذلك قوم موسى كما يُطلق عليهم كذلك أهل الكتاب (٢)

عقائدهم : العقيدة الأصليَّة لبني إسرائيل كانت : الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصَّمد ، إله النَّاس جميعاً ، خالقهم و راعيهم ، العالم بكلِّ شيئ القادر على كلِّ شيئ ، و الإيمان بالملائكة و الرُّسل و الكُتب و اليوم الآخر ، و ما يتَّصل بذلك من الحساب و الثَّواب أو العقاب . قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه الصَّلاة و السَّلام : (إِنِّيْ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ ٱلأَرْضَ حَنِيْفاً وَّ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ * وَ حَاجَّهُ قَوْمُهُ ، قَالَ أَ تُحَاجُّوْنِّيْ فِي اللهِ وَ قَدْ هَدَانِ ، وَ لاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُوْنَ بِهِ إِلاَّ أَنْ يَّشَاءَ رَبِّيْ شَيْئاً ، وَسِعَ رَبِّيْ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ، أَ فَلاَ تَتَفَكَّرُوْنَ * وَ كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَ لاَ تَخَافُوْنَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً ، فَأَيُّ الْفَرِيْقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ * الَّذِيْنَ آمَنُوْا وَ لَمْ يَلْبِسُوْا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ ٱلأَمْنُ وَ هُمْ مُّهْتَدُوْنَ * وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيْمَ عَلَى قَوْمِهِ ، نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ* وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوْبَ ، كُلاًّ هَدَيْنَا ، وَ نُوْحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوْبَ وَ يُوْسُفَ وَ مُوْسَى وَ هَارُوْنَ ، وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ * وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيْسَى وَ إِلْيَاسَ ، كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِيْنَ * وَ إِسْمَاعِيْلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُوْنُسَ وَ لُوْطاً ، وَ كُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِيْنَ) (٣)

و من العقائد الَّتي كان على بني إسرائيل أن يتَّبعوها إيمانهم بالبعث متَّبعين في ذلك سنَّة أبيهم

(١) سورة الأعراف ، الآية رقم ١٤٢

(٢) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ١٥ ، ١٦

(٣) سورة الأنعام ، الآية رقم ٨٠ – ٨٧

إبراهيم ، قال سبحانه و تعالى : (وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيْمُ : رَبِّ أَرِنِيْ كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ؟ قَالَ : أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى ! وَ لَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِيْ ، قَالَ : فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ، ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ، ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيْنَكَ سَعْياً ، وَ اعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ) (١)
و عن التَّوحيد و اليوم الآخر و الحساب يقول الله تعالى مخاطباً موسى عليه السَّلام : (إِنَّنِيْ أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِيْ وَ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيْ * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيْهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى* فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى) (٢)
و هكذا كانت العقيدة الَّتي نادى بها أنبياء بني إسرائيل متَّفقة تماماً مع عقيدة المسلمين ، تهتمُّ بوحدانيَّة الله إله الكون ، و إسناد الصِّفات المقدَّسة إليه سبحانه ، كما تهتمُّ باليوم الآخر و الحساب و غيرهما من المعتقدات ، هذه فكرة واضحة عن أنبياء بني إسرائيل و عقيدتهم من وجهة النَّظر الإسلاميَّة ، و لكنَّ بني إسرائيل ثاروا في وجه أنبيائهم و رفضوا الاستجابة لهم ، و اطرحوا العقيدة الَّتي جاء بها هؤلاء الأنبياء ثمَّ هاجموا الأنبياء و قتلوهم أحياناً ، و استبدَّ بهم الضَّلال و الجحود ، فعبدوا غير الله و أنكروا البعث و نسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء . و هنا أذكر بعض الآيات الَّتي تذكر بني إسرائيل و تحدِّث عن أخلاقهم و صفاتهم و زيغهم و ضلالهم :

١ . (فَبَدَّلَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِيْ قِيْلَ لَهُمْ ، فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ) (٣)

٢ . (وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ بَاؤُوْا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّ كَانُوْا يَعْتَدُوْنَ) (٤)

٣ . (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوْبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...) (٥)

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٣٦
(٢) سورة طه ، الآية رقم ١٤ . ١٦
(٣) سورة البقرة ، الآية رقم ٥٩
(٤) سورة البقرة ، من الآية رقم ٦١
(٥) سورة البقرة ، الآية رقم ٧٤

٤ . (أَ فَتَطْمَعُوْنَ أَنْ يُّؤْمِنُوْا لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُوْنَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُوْنَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوْهُ وَ هُمْ يَعْلَمُوْنَ) (١)

٥. (فَوَيْلٌ لِلَّذِيْنَ يَكْتُبُوْنَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيْهِمْ ثُمَّ يَقُوْلُوْنَ : هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ ، لِيَشْتَرُوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيْلاً ، فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيْهِمْ ، وَ وَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُوْنَ) (٢)

٦ . (وَ قَالُوْا : لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُوْدَةً ، قُلْ : أَ تَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُّخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ ، أَمْ تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُوْنَ) (٣)

٧. (أَ فَتُؤْمِنُوْنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُوْنَ بِبَعْضٍ ؟ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَّفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِيْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّوْنَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَ مَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ) (٤)

٨ . (وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ، وَ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُوْنَ عَلَى الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوْا كَفَرُوْا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِيْنَ) (٥)

٩ . (وَ أُشْرِبُوْا فِيْ قُلُوْبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ، قُلْ : بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ) (٦)

١٠ . (وَ قَالُوْا : لَنْ يَّدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوْداً أَوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ، قُلْ : هَاتُوْا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ) (٧)

١١ . (الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُوْنَهُ كَمَا يَعْرِفُوْنَ أَبْنَاءَهُمْ ، وَ إِنَّ فَرِيْقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُوْنَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُوْنَ) (٨)

١٢ . (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوْا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُوْدَاتٍ وَّ غَرَّهُمْ فِيْ دِيْنِهِمْ مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ)(٩)

---

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٧٥

(٢) سورة البقرة ، الآية رقم ٧٩

(٣) سورة البقرة ، الآية رقم ٨٠

(٤) سورة البقرة ، من الآية رقم ٨٥

(٥) سورة البقرة ، الآية رقم ٨٩

(٦) سورة البقرة ، من الآية رقم ٩٣

(٧) سورة البقرة ، الآية رقم ١١١

(٨) سورة البقرة ، الآية رقم ١٤٦

(٩) سورة آل عمران ، الآية رقم ٢٤

١٣ . (وَ مِـنْ أَهْلِ الْكِتَـابِ مَـنْ إِنْ تَأْمَنْـهُ بِقِنْطَارٍ يُـؤَدِّهِ إِلَيْك ، وَ مِنْهُـمْ مَّنْ إِنْ تَأْمَنْـهُ بِدِيْنَـارٍ لاَ يُـؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَـا دُمْتَ عَلَيْهِمْ قَـائِمًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُـمْ قَالُوْا : لَيْسَ عَلَيْنَـا فِي الْأُمِّيِّـيْنَ سَبِيْلٌ ، وَ يَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُوْنَ) (١)

١٤ . (لَقَـدْ سَمِعَ اللهُ قَـوْلَ الَّذِيْنَ قَـالُوْا : إِنَّ اللهَ فَقِيْرٌ وَّ نَحْنُ أَغْنِيَـاءُ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوْا وَ قَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَّ نَقُوْلُ : ذُوْقُوْا عَذَابَ الْحَرِيْقِ) (٢)

١٥. (أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِيْنَ أُوْتُـوْا نَصِيْباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُوْنَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوْتِ ، وَ يَقُوْلُوْنَ لِلَّذِيْنَ كَفَـرُوْا هَؤُلاَءِ أَهْـدَى مِنَ الَّذيْنَ آمَنُوْا سَبِيْلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ لَعَنَهُمُ اللهُ ، وَ مَنْ يَّلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيْراً) (٣)

١٦ . (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيْثَاقَهُـمْ وَ كُفْرِهِـمْ بِآيَاتِ اللهِ وَ قَتْلِهِمِ الْأَنْبِيَاءَ بِغَـيْرِ حَقٍّ وَّ قَـوْلِهِمْ : قُلُوْبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيَهَا بِكُفْرِهِمْ ، فَلاَ يُؤْمِنُوْنَ إِلاَّ قَلِيْلاً * وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيْمًا * وَ قَوْلِهِمْ : إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللهِ ...) (٤)

١٧. (وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَا وَ قَدْ نُهُوْا عَنْهُ ، وَ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيْمًا) (٥)

١٨ . (وَ قَالَتِ الْيَهُوْدُ : نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوْبِكُمْ ...) (٦)

١٩ . (سَمَّاعُوْنَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُوْنَ لِلسُّحْتِ) (٧)

٢٠ . (وَ قَالَتِ الْيَهُوْدُ : يَدُ اللهِ مَغْلُوْلَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيْهِمْ ، وَ لُعْنُوْا بِمَا قَالُوْا ...) (٨)

و يحكي عن عقائدهم " **التَّلمود** " (و هو كتاب فقهم)

---

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ٧٥

(٢) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٨١

(٣) سورة النِّساء ، الآية رقم ٥١ ، ٥٢

(٤) سورة النِّساء ، الآية رقم ١٥٥ ، ١٥٦ ، و من الآية رقم ١٥٧

(٥) سورة النِّساء ، الآية رقم ١٦١

(٦) سورة المائدة ، من الآية رقم ١٨

(٧) سورة المائدة ، من الآية رقم ٤٢

(٨) سورة المائدة ، الآية رقم ٦٤

١ . إنَّ اليهـود أحبُّ إلى الله من الملائكة ، و أَنَّهـم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيـه ، و من يصفع اليهود كمن يصفع الله .

٢ . و الموت جزاء الأمميِّ (كلٌّ من سواهم) إذا ضرب اليهوديَّ .

٣ . و اليهود يفضلون الأمـميِّين كما يفضل الإنسان البهيمة .

٤ . و الأمـميُّون جميعاً كلاب و خنازير .

٥ . و يحرم على اليهود العطف على الأمميِّ ، لأنَّه عدوُّه و عدوُّ الله .

٦ . و التُّقية أو المداراة جائزة للضَّرورة تجنُّباً لأذاه .

٧ . و كلُّ خير يصنعه يهوديٌّ مع أمميٍّ فهو خطيئة عظمى ، و كلُّ شرٍّ يعمله معه فهو قربان لله يُثيبه عليه .

٨. و الرِّبا غير الفاحش جائز مع اليهوديِّ كما شرع موسى و صموائيل (في رأئ واضعى التَّلمود)

٩. و الرِّبا الفاحش جائز مع غيره ، و كلُّ ما على الأرض ملك لليهود، فما تحت أيدى الأمميِّين مغتصب من اليهود ، و عليهم استرداده بجميع الوسائل .

١٠ . و سرقـة اليهود أخاه حرام ، و لكنَّها جـائزة بل واجبـة مع الأمميِّ ، لأنَّ كلَّ خيرات العالم خلقت لليهود ، فهي حقٌّ لهم ، و عليهم تملُّكها بأيِّ طريقة) . (١)

و لهم أيضاً عقائد فاسدة فى الذَّات الإلهيَّة و النُّبوَّات . (٢)

و لَمَّا كذب اليهـود على الله إذ زعمـوا أنَّ فضله منحصر فيهـم ، و أَنَّهـم شعب الله المختـار في كلِّ زمان و مكان .

و لَمَّا لم يستطيعـوا بسبب أنانيَّتهم و حسدهم أن يقبلوا اصطفاء الله لعيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل عليه الصَّلاة و السَّلام و لا أن يقبـلوا اصطفـاء الله لمحمَّـد بن عبـد الله فخـر العرب و خـاتم الأنبيـاء و رسول الله للنَّاس أجمعـين ـ صلوات الله و سلامه عليه ـ و لَمَّا لم يستطيعوا أن يجعلوا من بني إسرائيل كثرة كاثرة و قـوَّة قـاهرة فى الأرض لجأوا إلى سبيل الحيلة و المكر سعيـاً لما

---

(١) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٢٣ ، ٢٤ . و انظر اليهوديَّة للدُّكتور أحمد شلبي – ص ٢٦٧ ــ ٢٧٠

(٢) نفس المصدر – ص ٢٦ ــ ٢٩ . و انظر اليهوديَّة – ص ١٥٣ ــ ١٧٢

تصبو إليه أحلامهم من بسط نفوذهم في الأرض و مدِّ سلطانهم على العالمين ، و سلكوا في تنفيذ أهدافهم الخطط التَّاليَّة :

أ . القضاء على القدسيَّات و الأديان و ضرورة تمزيق الأوضاع و إفساد نظم الحكم فيها ، و في كلِّ الأقطار ، ثمَّ إغراء القوميَّات من جهة أخرى بالتَّجريد من سلطة الحكم و نصوص القانون.

ب . نشر المذاهب المختلفة في كلِّ زمان و مكان ، و يقومون بنشر الشُّيوعيَّة أحياناً و الرَّأسمالية أحياناً أخرى ، و العمل على تصاريح الكتلة العالميَّة بالوقيعة بينها و معاونة بعضها على بعض .

ج . نشر الإباحيَّة و الفوضى و العمل على تعويض الأسر ، و قطع صلات الودِّ و دفع النَّاس للشَّهوات و الانحلال .

د . دفع الدُّول المستعمرة على التَّنافس ، فإذا شبَّت الحرب بينها مع اليهود العمل على إيقادها بتقديم السِّلاح و القروض الماليَّة بشروط سهلة حيناً و معقَّدة أحياناً أخرى .

هـ - على اليهود العمل على تفريق أنفسهم في العالم ليحقِّق ذلك إفساد المصانع و المؤسَّسات بإشاعة الخلل في إدارتها و تخريب أجهزتها كلَّما أمكنتهم الفرصة في ذلك .

ز . إذا تحقَّق النَّصر فعلى اليهود أن تقيم دولة استبداديَّة تحكم العالم ، و يكون مقرُّها أورشليم ، و يكون حكمها بطريق الحكم الجبري إذا تمَّ سقوط الحكومات الأخرى . (١)

هذا : و ليعلم المسلمون أفراداً و أسراً و جماعات و خاصَّة الدُّعاة و ولاة الأمور منهم فليعلموا جميعاً أنَّ أعداءهم أعداء الله قد أعدُّوا لهم ما استطاعوا من القوى الحسِّيَّة و المعنويَّة قد جمعوا فيها كلَّ أنواع المدمِّرات المدنيَّة و المهلكات القاضية من صواريخ و قنابل مختلفة الأنواع ، و يعملون على السَّيطرة على جميع العلوم عقائديًّا و غيرها ، و من أكبر همومهم و أهدافهم القضاء على القرآن و السُّنَّة النَّبويَّة و التَّشكيك في جميع الأحكام الشَّرعيَّة . و ليعلم الدُّعاة و ولاة الأمور أنَّ لليهود خططاً إجراميَّة بالنِّسبة للمسلمين و للعالم أجمع ، فقد قاموا برسم خطط ، و أجمعوا عليها في قرارات سرِّيَّة ، و ذلك للقضاء على الإسلام و المسلمين و السَّيطرة على العالم ككلٍّ و تسخيره لهم يتصرَّفون فيه كما يتصرَّف الإنسان في ملكه .

---

(١) و للتَّفصيل ينظر في " مكايد يهوديَّة عبر التَّاريخ " لعبد الرَّحمن حسن حبنَّكة . و اليهوديَّة للدُّكتور أحمد شلبي

يقول الدَّكتور محي الدِّين حسن القضماني :" و بالجملة فاليهود يطمحون إلى السَّيطرة على البشريَّة لزعمهم أنَّهم شعب الله المختار ، و قد أنشأ اليهود الَّذين يحاولون السَّيطرة على العالم المحافل الماسونيَّة ، و كانت وسيلتهم تهديم الدِّيانات و تسيير العالم لمصلحتهم بتوجيه زعمائه السِّياسيِّين ، و يسيطر اليهود على المراكز الحسَّاسة في هذه المحافل ، و هم يطلقون اسم العميان على أعضائها من غير اليهود، و هذه المحافل و إن ادَّعت أنَّها ذات صبغة إنسانيَّة شعارها الحرِّيَّة و الإخاء و المساواة من أخطر المنظَّمات على الإنسانيَّة ، لأنَّها تسعى إلى هدم العقيدة و الأخلاق لتنفيذ مطامع الصَّهيونيَّة فى العالم " (١)

النَّصرانيَّة :

النَّصرانيَّة فى الأصل : نسبة إلى نصرانة و هي قرية المسيح عليه الصَّلاة و السَّلام من أرض الخليل ، و تسمَّى هذه القرية ناصرة و نصوريَّة . و النَّصرانيَّة و النَّصرانة كذلك واحدة النَّصارى .

أمَّا فى الاصطلاح : فالنَّصرانيَّة دين النَّصارى و هم المنتسبون للإنجيل . و قد يفهم من القرآن الكريم أنَّهم أحدثوا هذا الإسم إذ يقول الله تبارك و تعالى : (الَّذِيْنَ قَالُوْا : إِنَّا نَصَارَى) (٢) أمَّا المسيحيَّة فهي كذلك تطلق على أتباع المسيح عليه السَّلام على أنَّه لا ينبغي إطلاقها الآن على النَّصارى لأنَّ هؤلاء فى الواقع لا يتَّبعون المسيح عليه السَّلام ، و لذلك لم نجد في كتاب الله تعالى و لا في سنَّة رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم تسميتهم مسيحيِّين ، و قد أطلق عليهم القرآن أنَّهم نصارى كما سمَّاهم كذلك أهل الكتاب و أهل الإنجيل (٣)

عقائد النَّصرانيَّة المنتشرة فى العصر الحاضر

عاش النَّصارى فى القرون الثَّلاثة الأولى للميلاد حياة روحيَّة يدافعون عن الدِّين و ينشرونه ، و يتعرَّضون لكيد اليهود و بطش الرُّومان الوثنيِّين ، ثمَّ تغيَّرت الحال فى القرن الرَّابع الميلادي حين أظهر قسطنطين (٣١٣ م) ميله إلى النَّصرانيَّة الَّتي ما لبثت أن صارت الدِّين الرَّسمي للرُّومان ، و لكنَّ المشكلة الخطيرة الَّتي واجهت النَّصرانيَّة هي الوثنيَّة القديمة الَّتي كانت راسخة في شعوب

(١) صفحات من حاضر العالم الإسلامي- ص ١٥ ، ١٦

(٢) سورة المائدة ، من الآية رقم ٨٢

(٣) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٣٠ ، ٣١

أوربَّا بعقـائدها و عـاداتها و تقـاليدها ، ممَّا اضطرَّ آبـاء الكنيسة الأوَّلين إلى قبـولها و إدخـالها فى النَّصرانيَّـة ، و كذلك تسلُّط القيـاصرة و البابوات على هذه الدِّيانة الجـديدة و إخضاع عقـائدها و تعاليمها لمصالحهم و أهوائهم .

و قـد أدَّت هـذه الملابسات إلى تفـرُّق النَّصـارى و ظهور مذهبيَّات و كنائس كثـيرة اختلفت في طبيعة المسيح و أمور كثيرة تتعلَّق بالعقيدة و العبادات (١)

ينقسم النَّصـارى فى الجملة إلى ثـلاث طوائف كبـار : الكاثـوليك . الأرثـوذكس . الـبروتستانت و هـذه الطَّوائف كلُّها متَّفقـة على القول بألوهيَّـة المسيح ابن مريم و على القـول بالتَّثليث و على القـول بالصَّلب ، فهـم جميعـاً يعتقـدون أنَّ الله تعـالى أوصى آدم أن لا يأكل من الشَّجـرة فأكل منها بإغواء إبليس فاستحقَّ هو و ذرِّيَّته الفناء، و لكنَّ الله رحـم عباده فتجسَّد كلمته و هي ابنه الأزلي تجسُّداً ظاهراً ، فأرسل الله ملكه جـبريل إلى مريم العـذراء و بشَّرها بالمسيح المخلِّص و أنَّها تلد الكلمة الأزليَّة و تصير والدة الإله و أنَّه رضي بموتـه على الصَّليب و هو غـير مستحقٍّ لذلك ليكون فداء الخطيئة الأولى (٢)

و تختلف هذه الطَّوائف الثَّلاثة عن بعضها في بعض الفروع :

فالكاثوليك : أو الغربيُّون أو اللاَّتين لأنَّهم من رعايا الرُّومان الغربيِّين ، و تستعمل كنيستهم اللُّغة اللاَّتينيَّـة و يرأسهم البـابا فى الفاتيكان بروما ، الَّذي يؤلِّف مع الكرادسة المجمع الكنـائسي، و له عنـدهم حـقُّ التَّشريـع ، و إرادتـه لا تقبل المنـاقشة . و يتبعـه كنائس دول غـربي أوربَّـا (فـرنسا و بلجيكا و إيطاليا و إسبانيا و الـبرتقال و إيرلنده) و أكثر لتوانيا و بولنده و سلوفـاكيا و كندا الفرنسيَّة و أمريكا اللاَّتينيَّة ، و أقلِّيَّة في هولنده و الولايات المتَّحدة (٣)

و من أهمِّ ما تميَّز بـه الكاثوليك أنَّهم اعتقـدوا أنَّ روح القدس نشأ عن الله الأب و عن الله الابن معاً ، كما أنَّهم يعتقـدون بالمساواة الكاملة بين الله الأب و الله الابن . تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا

(١) قضايا هامَّة في حاضر العالم الإسلامي- ص ١٤ ، ١٥

(٢) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة - ص ٥٣ ، ٥٤

(٣) قضايا هامَّة في حاضر العالم الإسلامي- ص ١٥

كبيراً . و قد أباح الكاثوليك أكل الدَّم و المخنوق و أباحوا للرُّهبان أكل دهن الخنزير (١)

و الأرثوذكس : أو الرُّوم الشَّرقيُّون أو اليونان ، و قد انفصلت كنيستهم رسميًّا عن الكاثوليك فى القرن الخامس الهجري (١٠٥٤م) و رفضت هيمنة البابا عليها ، و جعلت بطريرك القسطنطينيَّة رئيساً عامًّا لها (٢)

و أهمُّ ما تتميَّز به هذه الكنيسة أنَّ أتباعها يعتقدون أنَّ روح القدس نشأ عن الله الأب فقط ، و لم ينشأ عن الابن ، كما يعتقدون أنَّ الإله الأب أفضل من الإله الابن (٣)

و البروتستانت : و قد ظهرت فى القرن العاشر الهجري (السَّادس عشر الميلادي) عقب حركة الإصلاح الدِّيني الَّذي نادى به لوثر وكالفن ، و أنشأت هذه الحركات عدَّة كنائس مختلفة فيما بينها ، أهمُّها الكنائس المصلحة أتباع كالفن ، و اللُّوثريَّة أتباع لوثر . و تنتشر البروتستانتيَّة في ألمانيا و إنجلترا و الدَّانمرك و هولندا و سويسرا و النَّرويج و أمريكا الشِّماليَّة .

و من أهمَّ ما تميَّز به البروتستانت أنَّهم جعلوا الإنجيل هو المصدر الوحيد للنَّصرانيَّة ، و أنَّهم يرون أنَّه ليس للكنيسة حقُّ غفران الذُّنوب ، و لا يرون ضرورة للرَّهبنة ، كما أنَّهم أباحوا الزَّواج لرجال الدِّين ، و يحرِّمون اتِّخاذ الصُّور و التَّماثيل فى الكنائس للسُّجود لها. و ليس لكنائس البروتستانت رئيس عام ، فهم من هذه النَّاحية كالأرثوذكس (٤)

و لينظر عقائد النَّصرانيَّة مفصَّلة في " إظهار الحق " للكيرانوي ، و " محاضرات فى النَّصرانيَّة " للشَّيخ محمَّد أبي زهرة . رحمهما الله تعالى .

صراع العالم النَّصراني مع العالم الإسلامي

حين جاء الإسلام حسر سلطان الرُّوم و دينهم عن معظم أقطارهم حين فتح المسلمون الشَّام و العراق و مصر و شمال إفريقيَّة و واصلت كتائب الجهاد زحفها على بلاد النَّصارى ، ففتحت إسبانيا و وصلت إلى بوايته في قلب فرنسا ، و دقَّت أبواب القسطنطنيَّة عاصمة بيزنطة حتَّى

---

(١) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٥٥

(٢) قضايا هامَّة في حاضر العالم الإسلامي– ص ١٥

(٣) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٥٦

(٤) قضايا هامَّة في حاضر العالم الإسلامي– ص ١٦ . و انظر الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٥٧

فتحتها أيّام محمَّد الفاتح. و ظلّ العالَم النَّصراني متربِّصاً في أوربَّا حتَّى آنس من المسلمين ضعفاً ، فقام بحملاته الصَّليبيَّـة و توالى الحملات المسعورة و توالى ولوغ عبـدة الصَّليب في دماء المسلمين مائتي عـام ، و العـالم الإسلامي يئنُّ تحت وطأة كابـوس ثقيـل من الحقـد و الكراهيـة ، و تنزف جراحة أنهـار من الدِّماء ، و يهاجمه الأعـداء في عقر داره ، لأنَّه رضي بالله ربًّـا و بالإسلام دينـاً و بمحمَّد رسولاً صلَّى الله عليه و سلَّم ، و لأنَّه يرفض أن يكون أفـراده أبقـاراً يحتلبهـا الدَّجاجلة و المشعوذون من القساوسة و معترفى الكهانات (١)

و حين فشلت هذه الحملات فى الاستيلاء على بلاد المسلمين أعاد العالم النَّصراني محاولته يدفعه حقـده الدَّفـين و يطمعه ما يتمتَّـع به العـالم الإسلامي من مساحـات واسعـة و خـيرات وفيرة ، و كان سقوط الأندلس على أيـدي النَّصـارى و قيـام دولتي أسبانيـا و البرتقـال النَّصرانيِّـين على أرض المسلمين فى القرن العاشر الهجري حافزاً قويًّا لأوربَّا إلى التَّطلُّع إلى غزو العالم الإسلامي (٢)

و لقـد كان من نتيجـة المـؤتمر الأوربِّي الَّذي انعقـد في برلين عـام ١٨٧٨م اتِّفـاق المتـآمرين على المقرَّرات الآتيَّة :

١ . تحطيم الدَّولـة العثمانيَّـة الَّتي كانت سدًّا منيعـاً في طريق محاولة فرض المسيحيَّة على الشُّعوب الإسلاميَّة و اقتسام تركتها .

٢ . تمزيق البلاد الإسلاميَّة إلى دويلات تقام بينها حدود مصطنعة .

٣ . دعـم الأقلِّيَّات النَّصرانيَّـة الموجودة فى البلاد الإسلاميَّة و استغلالها في إثارة القلاقل و الفتن .

٤ . مساندة و تشجيع المذاهب المنـاهضة للإسلام كالقاديانيَّـة و البهائيَّـة و التَّشيُّـع بجميع صوره و أشكاله .

٥ . مضاعفـة الجهود التَّبشيريَّـة و مسانـدة النَّشاط الكنسي بشقَّيـه الكاثـوليكي و الـبروتستاني ، و تـركيز هـذا النَّشاط فى العـالم الإسلامي . و كان من نتيجـة هـذه المقـرَّرات أن وقعت البـلاد

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النَّصرانيَّة و التَّبشير – ص ٣٦

(٢) صفحات من حاضر العالم الإسلامي– ص ٩. و لينظر للحروب الصَّليبيَّة حاضر العالم الإسلامي و قضاياه المعاصرة– ص ٦١ . ٦٨

الإسلاميَّة فريسة لاستعمار أوربِّي خبيث . استهدف نهب ثـرواتها و قتل مبادئها و تشويـه مثلها و حقنها بمفاهيم خاطئة هي مع دينها و تقاليدها (١)

التَّبشير (التَّنصير)

الحملات الصَّليبيَّـة الاستعماريَّة الجديـدة لم تعتمد على السِّلاح و القـوَّة العسكريَّـة وحدها ، بل استفـادت من تجـربتهـا السَّابقـة ، و عـرفت أنَّ الإسلام عقيـدة لا تهـزم بالسِّلاح بل لا بـدَّ من توهـين هـذه العقيـدة و هـدم هـذا الصَّرح القـويِّ ، فكانت حركـة التَّبشير الَّتي بدأت مبكِّرة ، ثمَّ تبعهـا تنظيم الاستشراق و الغـزو الفكري الَّذي كان في معظم الحـالات مقـدِّمة و تمهيـداً للغـزو العسكري و السَّيطرة السِّياسيَّة .

بدأ التَّبشير في القرن العاشر الهجري ، ثمَّ نما و أصبح له منظَّمات عديـدة و مؤسَّسات ضخمة ، و عقـدت منـذ مطالـع هـذا القـرن مـؤتمرات عديـدة للمبشِّرين . كان من أخطـرها في السَّنوات الأخيرة " مؤتمر أمريكا لتنصير المسلمين " (٢)

مراحل التَّبشير

مرَّت المحاولات التَّبشيريَّة بالمراحل الآتية :

المرحلة الأولى : تنصير المسلمين

و قد كشف ذلك بصراحة بعض المبشِّرين

: إنَّني أحاول أن أنقل المسلم من محمَّد إلى المسيح

: إنَّ جزيرة العرب الَّتي هي مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحيَّة

: متى توارى القرآن و مدينـة مكَّة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربيَّ يتدرَّج في سبيل الحضارة و كادت تكـون الحـالـة الوحيـدة الَّـتي تنصَّـرت " بـإرادتها هي حـالة فتـاة مسلمـة تـركت وطنها الإسلامي مع شابٍّ نصرانيٍّ مخدوعة بأحاديث الهوى و مغرياته (٣)

---

(١) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النَّصرانيَّة و التَّبشير – ص ٣٧ ، ٣٨

(٢) صفحات من حاضر العالم الإسلامي – ص ١٠

(٣) الاتِّجاهات الفكريَّة المعاصرة – ص ٢٤ ، ٢٥

المرحلة الثَّانيَّة : الإخراج من الإسلام أو التَّشكيك فيه

أعلن زويمر الَّذي تولَّى كبر هذا الأمر و أسندت إليه زعامة المبشِّرين في مؤتمر القدس عام ١٩٣٥م : أيُّها الإخوان الأبطال الَّذين كتب الله لهم الجهاد في سبيل المسيحيَّة و استعمارها لبلاد الإسلام ، فأحاطتكم عناية الرَّبِّ بالتَّوفيق الجليل المقدَّس ، لقد أدَّيتم الرِّسالة الَّتي نيطت بكم أحسن أداء ، و وفِّقتم لها أسمى توفيق ، و إن كان ليخيَّل إليَّ أنَّه من إتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسيَّة منه ، إنَّني أقرُّكم على أنَّ الَّذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحيَّة لم يكونوا مسلمين حقيقيِّين ، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة : إمَّا صغير لم يكن له من أهله من يعرِّفه ما هو الإسلام ؟

: أو رجل مستخفٌّ بالأديان ، لا يبغي غير الحصول على قوته ، و قد اشتدَّ به الفقر و عزَّت عليه لقمة العيش .

: و آخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشَّخصيَّة ، و لكنَّ مهمَّة التَّبشير الَّتي ندبتكم دول المسيحيَّة للقيام بها فى البلاد المحمَّديَّة ليست هي إدخال المسلمين فى المسيحيَّة ، فإنَّ في هذا هداية لهم و تكريماً ، و إنَّما مهمَّتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله (١)

المرحلة الثَّالثة : الإبعاد عن الإسلام

" التَّغيير الاجتماعي ، التَّغريب ، التَّحديث " و هي مرحلة متداخلة مع المرحلة السَّابقة . أحسَّ فيها القائمون على التَّخطيط أنَّ الإخراج من الإسلام كلِّيَّة صعب صعوبة التَّنصير ، لأنَّه يستوي فى المسلم أن يقال له : إنَّك صرت نصرانيًّا أو يقال له : إنَّك صرت مرتدًّا ، و من ثمَّ كانت زحزحة عن الإخراج إلى الإبعاد ... ليزحزح المسلم عن الالتزام الكامل إلى الالتزام النِّصفي أو الرُّبعي ، فبدلاً أن يقيم الصَّلوات جميعاً ، فلا بأس أن يكتفي بالجمعة ... و بدلاً أن يأخذ ثقافته و فكره من النَّبع الصَّافي فلا بأس أن يصير "مودرن" يأخذ على الفلسفة أو بعض الأفكار من هذا الفيلسوف ، و لا باس على الفتاة أن ترفع العباءة لتغطِّي نصف جسمها بدلاً من

(١) الاتِّجاهات الفكريَّة المعاصرة و موقف الإسلام منها – ص ٢٦ ، ٢٧

جسمها كلِّها ، إلى غير ذلك من الخرافات (١)

و المبشِّرون في جميع مراحلهم الثَّلاثـة يعمدون إلى ترويجها بالأساليب الخادعـة و الوسائل الملتويَّـة كافتتاح المدارس و إنشاء الملاجئ و المستشفيـات ، ليصطادوا بها السُّذَّج و البسطاء و ليتَّخـذوا منها في نفس الوقت أوكاراً للتَّجسُّس و حبك المؤامرات و نشر الرَّذيلة ، و لأنَّهم وجـدوا في هـذه المؤسَّسات وسيلـة من أفضـل وسائـل الكسب الحـرام ، و أسلوبـاً من أخبث أسـاليب النَّصب و الاحتيال (٢)

البوذيَّة

تنسب البوذيَّـة لرجـل أصله من الهنـدوس قد لقِّب ببوذا ، و ينتمي هـذا الرَّجـل إلى قبيلـة ساكيا الَّتي كان لها السُّلطـان على الأرض الواقعـة بين مدينـة بنارس و جبـال الهملايا شمال نهر الكنج . و قد ولد بوذا في أوائل القرن السَّادس قبل الميلاد و أطلق عليه اسم " سذهـاتا " و تزَّوج سذهاتا من ابنة أحـد الأمراء و اسمها " ياسودهـرا " و سرعـان ما رزق منها بولد سمَّاه راهولا . و في اللَّيلة الَّتي ولد فيها ولده راهولا كان القصر يموج بالبشر بمجيئ الطِّفل الوليد غير أنَّ سذهاتا قد استقرَّ رأيـه على أن يـدع حيـاة الـتَّرف و النِّعيـم ، و أن يبـدأ حيـاة الزَّهـادة و التَّقشُّف لعلَّه يصل إلى معرفة سرِّ الكون . و حينما هجع القصر بعد المرح و الغناء ألقى سذهاتا نظرة وداع على زوجته و طفلـه و تسلَّل من القصر ، و واصل سيره راجـلاً حتَّى التقى براهِبـين من الـبراهمة فصاحبهمـا دهراً ، لعلَّه أن يعرف بواسطتهما سرَّ الكـون ، و حينما فشل في مقصوده منهما هجرهما و قـرَّر أن يسعى بنفسه لنيـل المعرفـة و كشف أسرار الكـون ، و بـدأ حيـاة الـتَّرهُّب فصار يسمَّى من هـذا الحين غوتاما أي : الرَّاهـب .

و في تجواله مال إلى شجـرة في غابـة أرويلا ليتناول في ظلِّها طعامه بيد أنَّه أحسَّ ببعض السَّعـادة النَّفسيَّة تحت ظلال هـذه الشَّجـرة ، و بينما هـو كذلك إذ هتف بـه هاتف من نفسه أن يجـاهد نفسه هذا اليوم حتَّى يعرف سرَّ الكون .

---

(١) نفس المصدر – ص ٢٩

(٢) ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النَّصرانيَّة و التَّبشير – ص ١٠١

و من هذا التَّاريخ أطلق على هذا الرَّجل اسم "بوذا" و معناه العارف المستيقظ و العالم المتنوِّر(١) و هام على وجهه يطوف الهند واعظاً فانضمَّ إليه عدد كبير من الهندوس الَّذين تململوا من كابوس البرهميَّة و ضاقوا ذرعاً بقيودها ، و رآى البرهمة في تعاليم بوذا خطراً على النِّظام الطَّبقي فى المجتمع الهندوسي ، فطاردوا البوذيِّين فى الهند ، ففـرُّوا إلى بورما و الملايو و جزر الهند الشَّرقيَّة و الهند الصِّينيَّة و الصِّين و كوريا و اليابان و كان ذلك سبباً في انتشار البوذيَّة في تلك البلاد(٢)

أفكار بوذا

قال بوذا لمريديه : أيها المريدون ! لا تفكِّروا كما يفكِّر النَّاس بل فكِّروا هكذا : هذا ألم ، هذا مصدر الألم ، هذا إعدام الألم ، هذا سبيل إعدام الألم. و كان بوذا يقول : إنَّ خلاص الإنسان متوقِّف عليه لا على الإله ، و يرى أنَّ الإنسان صانع مصير نفسه. ثمَّ صار بوذا يحارب معتقدي الألوهيَّة ، فقد وقف في إحدى خطبه يسخر ممَّن يقول بوجود الإله ، و جاء في خطبته هذه : إنَّ المشائخ الَّذين يتكلَّمون عن الله لم يروه وجها بوجه ، فهم كالعاشق الَّذي يذوب كمداً و هو لا يعرف من هي حبيبته ، أو كالَّذي يبني السُّلَّم و هو لا يدري أين يوجد القصر (٣)

البوذيَّة بعد بوذا

البوذيَّة تطوَّرت بعد بوذا فدخلتها مسائل الألوهيَّة ، و أصبح بوذا نفسه معبوداً كآلهة الهندوس ، و أخذت البوذيَّة تبتعد عن مذهب بوذا كلَّما بعد بها الزَّمن أو الوطن ، و قد انقسمت البوذيَّة إلى قسمين : البوذيَّة القديمة ، و البوذيَّة الجديدة ، فالبوذيَّة القديمة هي الَّتي آثر أصحابها أن لا يبتعدوا عن آراء بوذا نفسه مهما كانت الظُّروف ، أمَّا الجديدة فقد دخلتها الأفكار الجديدة و أقرَّت الإلهيَّة ، و قد تشعَّبت البوذيَّة الجديدة بسبب الحضارات الَّتي وفدت هذه البوذيَّة إليها في أقطارها . فشعبة من هذه الشُّعوب تعتقد بوحدانيَّة الله ، و أنَّ الله أوجد العالم و أسباب بقائه ، ثمَّ تركه مكتفياً بهذه الأسباب ، و شعبة ترى أنَّ الله يُفرغ الكمالات الإنسانيَّة في كلِّ زمان على إنسان يتجرَّد لعبادته و يبتعد عن إرضاء الشَّهوات الحيوانيَّة ، و هذا الإنسان يحلُّ محلَّ

---

(١) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٧٠ – ٧٢

(٢) صفحات من حاضر العالم الإسلامي – ص ١٨ ، ١٩

(٣) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٧٤ ، ٧٥

الإله في إظهار الرِّضا عن بعض النَّاس أو الغضب عليهم تبعاً لأعمالهم ، و شعبة تدَّعي أنَّ الله يحلُّ في أيِّ صورة يختارها من صور أفراد الإنسان ليكملها و يطهِّرها ، و بعضهم يدَّعي أنَّ بوذا ابن الله و أنَّه جاء ليخلِّص البشر و ينقذهم من الخطايا و يلقِّبون أمَّ بوذا بأنَّها والدة الآلهة ، و أمَّا البوذيُّون الصِّينيُّون فقد جعلوا آلهة البوذيَّة ثلاثة و ثلاثين إلهاً على الطِّريقة الَّتي كانوا عليها قبل البوذيَّة (١)

الهندوسيَّة

و هي دين الهنود القدماء ، و ترجع إلى عهد قديم ، و هي مجموعة من الأفكار الَّتي تمَّت على مرِّ السِّنين ، و ليس لها تعاليم ثابتة مكتوبة ، و هي تؤمن بآلهة متعدِّدة ، و أهمِّها برهما الجدُّ الأكبر لباقي الآلهة ، و هو الَّذي خلق العالم ـ في زعمهم ـ و اتَّحد به ، ثُمَّ شيفا (الواقي) و فيشنو (الهادم) و الثَّالوث المكوَّن من هذه الثَّلاثة هو محور الهندوسيَّة فى الوقت الحاضر ، و قد جاءت البرهميَّة منبثقة من الهندوسيَّة فى القرن الثَّامن قبل الميلاد و في إطارها القديم ، و أهمُّ عقائدها تناسخ الأرواح و التَّجسُّد و التَّثليث و وحدة الوجود ، و تقرِّر الهندوسيَّة و البرهميَّة نظام الطَّبقات ، فالبراهمة هم الطَّبقة الممتازة ، و لهم وحدهم حقُّ إقامة الشَّعائر ، و هي شعائر معقَّدة لا يعرفها غيرهم .

أمَّا المنبوذون فيعتقد بنجاستهم و أنَّهم عصاة . و البراهمة هم الَّذين وضعوا نظام الطَّبقات ، و خصُّوا أنفسهم بكثير من الامتيازات فجعلوا البراهمة سادة وغيرهم عبيداً و جعلوا هذا التَّقسيم أبديًّا لا سبيل إلى إزالته ، و يقدِّس الهنادك البقرة إلى درجة العبادة و لا يستطيع الهندوسي أن يستفيد منها إلاَّ اللَّبن و الرَّوث و البول ، و يرون أنَّها أمُّ الإنسان ، كما يقدِّسون نهر الغانج ، فيحجُّون إليه من أقاصى الهند و يغتسلون فيه و يعتقدون أنَّه يطهِّرهم من الذُّنوب ، و هم يحرِّقون جثث موتاهم ، و يلقون رمادها في هذا النَّهر .

و قد تخلَّت الهندوسيَّة حديثاً عن بعض تعاليمها أو بدَّلتها فتركت عادة إحراق الزَّوجة في جنازة زوجها ، و ألفت نظام المنبوذين ، و تواجه الهندوسيَّة و ربيبتها البرهميَّة الحياة في تشاؤم ، و ترى

(١) الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٧٥ ، ٧٦

أنَّه لا سبيل إلى السَّعادة في هذا العالم ، و أنَّ مسرَّات الحياة ليست إلاَّ خداعاً و أوهاماً ، و لا خير فى الجسد لأنَّه محلُّ العاهات و كان لهذه الدِّيانة أثرها السَّلبي السَّيئ في أتباعها ، بما فرضت عليهم من عزلة عن الحياة و حرمان من طيِّباتها و متعها و تعذيب للنَّفس و الجلوس تحت الشَّمس المحرقة و من طبقيَّة بشعة فيها الإذلال و العبوديَّة و من امتهان للعقل بقبول الخرافات و الأوهام و الأساطير ، و لا تزال هذه الدِّيانة منتشرة في مقاطعات الهند ، و يشكِّل أتباعها أغلبيَّة السُّكَّان ، و كتابهم المقدَّس يسمَّى الويدا ، و هذا الكتاب لا يعرف له واضع معيَّن ، و هو عبارة عن أربعة كتب :١. الرِّيج ويدا . ٢. ياجور ويدا . ٣. ساما ويدا . ٤ . آثار ويدا . (١)

العلمانيَّة

العلمانيَّة الَّتي تعنى عند الأوربِّيِّين ترك الدِّين ، فأصل الكلمة اللاَّتيني (secular) يعني لاديني ، و لكن مترجميها إلى العربيَّة حاولوا إخفاء حقيقتها حتَّى لا تصدم حسَّ المسلم الَّذي يكرم العلم و يكره الكفر و الإلحاد (٢)

و أولى التَّرجمات بالعلمانيَّة أن نسمِّيها " اللاَّدينيَّة " و على ذلك فالعلمانيَّة فى الاصطلاح هي ذلك اللَّفظ الخادع الَّذي استخدم بدلاً من عبارة اللاَّدينيَّة ، و الَّتي تعتبر أصل الحركة الَّتي ظهرت في أوربَّا فى القرن التَّاسع عشر الميلادي لتعبِّر عن وجهة نظر المنكرين لوجود الله أو الَّذين يفصِّلون بين وجود الله و تأثيره فى الحياة ، فعلى فرض أنَّ الحركة لم تنكر الدِّين من أساسه ، و إنَّما تعزله عن المجتمع و تدع الفرد يباشر عبادته في نطاق حياته الفرديَّة ، فإنَّ فكرة بهذه الصُّورة فكرة لا دينيَّة و المجتمع الَّذي يتبنَّاها مجتمع لادينيٌّ ، لأنَّ المجتمع الَّذي يلجأ إلى التَّخلُّص من الدِّين بعزله عن تيَّار الحياة و حركتها و حبسه داخل جدران الكنيسة إنَّما هو مجتمع لا دينيٌّ و إن ادَّعى غير ذلك ، و لذلك فإنَّ قبول العلمانيَّة في أي مجتمع مسلم معناه الإلحاد و المروق من الإسلام و ردَّة صريحة عن دين الله الَّذي رضيه لها (٣)

---

(١) صفحات من حاضر العالم الإسلامي – ص ١٧ ، ١٨ . و لينظر الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة – ص ٥٨ ــ ٦٣ . و قضايا هامَّة في حاضر العالم الإسلامي – ص ٢٤

(٢) قضايا هامَّة في حاضر العالم الإسلامي– ص ٤٩ ، ٥٠

(٣) الاتِّجاهات الفكريَّة المعاصرة و موقف الإسلام منها – ص ٩١ ــ ٩٣

تطبيق العلمانيَّة في بلاد الإسلام

أوَّلاً : تركيـا : كان أوَّل من جاهر بالعلمانيَّـة كنظام دولـة نظريًّا و تطبيقـاً هو كمال أتـاتورك مؤسِّس تركيا الحديثة الَّذي ألغى الخلافـة الإسلاميَّة من تركيا و سلخها من الإسلام ، و استبدل بالدُّستور العثمـاني القـائم على الإسلام دستوراً مدنيًّـا بحتـاً . و لقد كانت تركيـا مجـبرة في قبولها العلمانيَّـة تحت وطأة الإنجليز الَّذين استغـلُّوا ضعف الدَّولـة و هـزيمتها فى الحرب العالميَّـة الأولى ١٩١٤ـ ١٩١٨هـ .

و قال وزيـر خارجيَّـة بريطانيـا يومئذ " كرزون " بأنَّهم لا يستطيعون أن يدعو تركيـا مستقلَّة حتَّى لا يجتمـع المسلمون حولها مـرَّة أخـرى ، و عندئذ طمأنهم" مصطفى كمال" بأنَّ استقـلال تركيـا لن يكون خطراً عليهـم فى المستقبل فأملى الإنجليز شروطهـم المعروفـة بشروط " كرزون " الأربعة و هي :

١ . أن تقطع تركيـا صلتها بالإسلام . ٢ . أن تلغي الخلافـة .٣ . أن تتعهَّد بإخماد كلِّ حركة يقوم بها أنصار الخـلافـة . ٤ . أن تختـار لنفسها دستوراً مدنيًّـا بدلاً من الدُّستور العثمـاني المستمدِّ من أحكام الشَّريعة الإسلاميَّة و القائم على حدودها (١)

ثانياً : **تونس** : يقـول المستشرق الفـرنسي " هـانوتو " مشـيراً إلى نجـاح فـرنسا في فصل السُّلطة الدِّينيَّـة عن السُّلطـة السِّياسيَّة في تونس أنَّها قد استطاعت أن تحقِّق هذا الانقلاب العظيم بلباقـة و حذق دون أن تثير ضجيجـاً أو تذمُّـراً ، فتوطَّدت دعـائم السُّلطـة المدنيَّـة من غـير أن يلحق بالدِّين مساس ، و تسرَّبت الأفكار الأوربِّيـة بين السُّكَّان بدون أن يتألَّم منها إيمان المحمَّدي . أي المسلم . و بذلك انفصل الحبـل بـين هـذا البلد و البـلاد الإسلاميَّـة الأخـرى الشَّديـدة الاتِّصال بعضها ببعض (٢)

ثالثـاً : **مصر** : و ما جـرى في تـونس جرى في كثير من إخـوانها .... ففي مصر ينقسم النِّظام التَّعليمي إلى نوعين :

(١) الاتِّجاهات الفكريَّة المعاصرة و موقف الإسلام منها – ص ١٠٠

(٢) نفس المصدر – ص ١٠١ ، ١٠٢

١ . ديني : و هو الَّذي يهتمُّ بالدِّراسة الدِّينيَّـة الَّتي تعتمد على الأصول الإسلاميَّـة ، و يمثِّل هـذا الاتِّجاه الأزهر و ما يتبعه من معاهد .

٢ . مدني : ـ أو إن شئت قلت : علماني ـ لا يهتمُّ بالدِّين و ثقـافتـه ، و تكاد تكـون منـاهج الدِّراسة فيه خالية من الثَّقافـة الإسلاميَّـة ، و يمثِّل هـذا الاتِّجاه الجامعات المدنيَّـة و المدارس الَّتي تتَّبع وزارة التَّربية و التَّعليم .

و في مجال التَّشريـع تنحصر دائرتـه فيما يسمَّى بـ " قـانون الأحوال الشَّخصيَّـة " و ما عـدا ذلك تحول إلى قوانين مدنيَّة يعتمد على نظم الغرب و سياسته خاصَّة القانون الفرنسي .

و بهذا الكيد السَّافر وقعت الأمَّة في انفصاليَّـة فى التَّشريع بـين ما سمِّي بالقضاء الأهلي تماماً كما حدث في جانب التَّعليم . و في مجال التَّربيـة و التَّوجيـه و الإعـلام ساد مفهوم الغـرب المسيحي للدِّين و هو أنَّه مجرَّد علاقة بين المرء و ربِّه كما شاعت بين النَّاس كلمات حول هذا المفهوم مثل " الدِّين لله و الوطن للجميع " هكذا أخذت السِّياسة الغربيَّة العلمانيَّة توطِّد أركانها فى البلاد (١)

رابعـاً : الهنـد : يقـول الأستاد أبـو الأعلى المـودودي : إنَّ أوَّل قطـر بـدأ فيـه إلغـاء الشَّريعـة الإسلاميَّـة هو الهند ، و كانت هـذه الشَّريعـة هي قانون الدَّولة العام فى الهند ، حتَّى أن قام فيها الحكم الإنجليزي ، فكانت يـد السَّارق تقطع إلى ١٧٩١ م ، و لكنَّ الإنجليز أخـذوا بعـد ذلك يلغـون القـانون الإسلامي آناً بعـد آن ، و يستبدلـون بـه القوانـين الوضعيَّـة حتَّى تمَّ إلغـاؤهـا في أواسط القـرن التَّـاسع عشر ، و لم يبق منه تحت النَّفـاذ إلاَّ مـا يتعلَّق بمسائل النِّكاح و الطَّـلاق و غيرهما على اعتباره قـانون المسلمين لأحوالهم الشَّخصيَّـة ، ثمَّ على منوال الحكومة الإنجليزيَّـة فى الهند نسجت الأقطار الَّتي كانت حكومات المسلمين أنفسهم قائمة فيها فصاغت جميع ولايات الهند المسلمة قوانينها العامَّة شيئاً فشيئاً حسب قالب القانون الجاري فى الهند البريطانية و ضيَّقت نطاق الشَّريعة إلى قانون المسلمين لأحوالهم الشَّخصيَّة (٢)

و تتلخَّص دسائس العلمانيَّة بالنِّسبة إلى التَّعليم فيما يلي :

---

(١) الاتِّجاهات الفكريَّة المعاصرة و موقف الإسلام منها – ص ١٠٢ ، ١٠٣

(٢) نفس المصدر – ص ١٠٤

١ . القضاء على التَّعليم الدِّيني .

أ . التَّطويق من الخارج . الازدراء بالتَّعليم الدِّيني . ازدراء معلِّميه و طلاَّبه. قفل الوظائف اللاَّمعة في وجه خرِّيجيه . خفض رواتبهم . ب . التَّطوير من الدَّاخل : النَّتائج . تقليص التَّعليم الدِّيني . ازدياد التَّعليم العلماني

٢ . نشر التَّعليم العلماني . اهتمام الدَّولة به . الابتعاث . المدارس الأجنبيَّة .. الاختلاط (١)

الفصل الرَّابع : احتراز الدَّاعية عن سلبيات بعض الدُّعـاة و اجتنابـه معوِّقـات الدَّعـوة في نجـاحها

إنَّ بعضاً من الدُّعاة يتعاطى في سبيل الدَّعوة بما يخالف طريق دعوة الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم و الصَّحابة رضي الله عنهم و السَّلف الصَّالح ، فيفسد بإزاء الإصلاح و يفرِّق بين النَّاس و يشتِّتهم بدل أن يوحِّدهم و يجمعهم . فسلبيَّاته أكثر من إيجابيَّاته ، بل لا تنجح دعوته مطلقاً ، و ذلك بعدَّة وجوه :

منها : الأسلوب القاسي و التَّشديد و التَّعنيت فوق الحدِّ، و عدم الرِّفق بالمدعويِّن و تجهيلهم ، بل تكفيرهم ، و قد قال الله تعالى : (وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيْظَ الْقَلْبِ لاَ انْفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ) (١) و قال رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم : (بَشِّرُوْا وَ لاَ تُنَفِّرُوْا) (٢) و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام أعرابيٌّ فبال في المسجد فتناوله النَّاس ، فقال لهم النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم : (دَعُوْهُ وَ هَرِيْقُوْا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِّنْ مَّاءٍ ، أَوْ ذَنُوْباً مِّنْ مَّاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِيْنَ وَ لَمْ تُبْعَثُوْا مُعَسِّرِيْنَ) (٣) و قال صلَّى الله عليه و سلَّم : (مَنْ يُّحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ) (٤) و قد حذَّر رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم من التَّكفير إلاَّ إذا ظهر موجبه ، و أمر بحفظ اللِّسان ، فقد قال صلَّى الله عليه وسلَّم : (أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيْهِ : يَا كَافِرُ ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَ إِلاَّ رَجَعَتْ إِلَيْهِ) (٥)

و قال صلَّى الله عليه وسلَّم : (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُوْنَ مِنْ لِسَانِهِ وَ يَدِهْ) (٦) و قال صلَّى الله عليه وسلَّم : (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوْقٌ وَ قِتَالُهُ كُفْرٌ) (٧)

---

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٥٩

(٢) صحيح البخاري - كتاب العلم - باب ما كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه و سلَّم يتخوَّلهم بالموعظة و العلم كي لا ينفروا - ج١- ص ٢٤ . صحيح مسلم - كتاب الجهاد - ج١٢- ص ٤٠ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٣) صحيح البخاري - كتاب الوضوء - باب ترك النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم و النَّاس الأعرابيَّ حتَّى فرغ من بوله في المسجد - ج١- ص ٥٢ عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(٤) سنن أبي داود - باب في الرِّفق - ج٤- ص ٢٥٥ عن أنس بن مالك رضي الله عنه

(٥) صحيح مسلم- كتاب الإيمان - ج٢- ص ٤٩ . مسند أحمد - ٢/ ١٨ ، ٤٤ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(٦) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب من سلم المسلمون من لسانه و يده - ج١- ص ١١ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

(٧) صحيح البخاري- كتاب الأدب- باب ما ينهى عن السِّباب و اللَّعن - ج٤- ص ٥٧ عن ابن مسعود رضي الله عنه

و منها : الخوض في دقائق علم الكلام كخلق الأفعال و رؤية الباري يوم القيامة مخافة احتلال يتطرّق إلى عقائد العامّة يصعب عليهم الخلاص منه ، بل الصّواب لهم الاقتصار في أمر العقائد و واجب الإسلام على أن يملأ قلوبهم بالتّصديق الجازم بكلّ ما جاء به رسول الله صلوات الله و سلامه عليه و قبوله ، و الإذعان له ، تصديقاً سليماً من كلّ شكٍّ بالمقدار الّذي نطق به الكتاب و صحّت به السُّنّة ، و لا يتعيَّن على من حصل له هذا تعلُّم أدلّة المتكلِّمين . هذا ما أجمع عليه السّلف و المحقِّقون من العلماء . فإنَّ النّبيَّ صلّى الله عليه و سلّم لم يطالب أحداً سوى ما ذكرنا ، و كذا الخلفاء الرّاشدون و من سواهم من الصّحابة ، فمن بعدهم من الصّدر الأوّل . نعم ! لو تشكّك النّاس في شيئ من أصول العقائد ممّا لا بدَّ من اعتقاده و لم يزل شكّه إلاّ بتعليم دليل وجب تعلُّم ذلك لإزالة الشّكِّ (١)

و منها : إثارة الخلافات الفروعيّة :

يقول محمّد الغزالي : أمّا فقهاء الفروع فقد زادوا الطِّين بلّة ، و زحموا أوقات النّاس بصور من الأحكام تكتنفها التّهاويل المزعجة مع أنّها لا تستحقُّ لا هذا الجهد و لا هذا الوقت ، ثمَّ أعلنوا حروباً غير شريفة على من يخالفهم في تلك الأحكام الجزئيّة . روى ابن الجوزي عن الشّيخ ابن عقيل قال : رأيت النّاس لا يعصمهم من الظُّلم إلاّ العجز ، و لا أقول : العوام بل العلماء . كانت أيدى بعض الحنابلة مبسوطة في أيّام ابن يوسف ـ الحاكم السّابق ـ فكانوا يتسلّطون بالبغي على أصحاب الشّافعي فى الفروع ـ الّتي يخالفونهم فيها ـ حتّى لا يمكنوهم من الجهر بالقنوت و هي مسئلة اجتهاديّة ، يعني لا حرج فى الاختلاف فيها ، فلمّا جاءت أيّام النِّظام و مات ابن يوسف و زالت شوكة الحنابلة استطال عليهم أصحاب الشّافعي استطالة السّلاطين الظّلمة فاستعدوا عليهم و آذوا عامّتهم بالسّعايات و الفقهاء بالنّبذ و الاتّهام بالتّجسيم . قال ابن عقيل : فتدبّرت أمر الفريقين فإذا هم لم تعمل فيهم آداب العلم ، و هل هذه إلاّ أفعال العسكر ؟ يصولون في دولتهم و يلزمون المساجد في بطالتهم . و ذكر ابن الجوزي عن أبي النّصر القشيري الواعظ بالنِّظاميّة أنّه كان يذمُّ الحنابلة و ينسبهم إلى التّجسيم ، فرموه بالحجارة حتّى

(١) هداية المرشدين- ص ١٢٢ ، ١٢٣

وصلت إلى حاجب البـاب ، و تقـاتل القوم مـرَّة بسببه حتَّى وقع بينهـم قتلى و جـرحى و حـرق و نهب إلى أن أرسل الخليفـة من أخمد الفتنة . يحدث هـذا التَّمزُّق في الأمَّـة الإسلاميَّة ، و العالم الصَّليبي يحترق شوقـاً إلى ضرب الإسلام في عقـر داره و محـو أعيـانه و آثـاره ، و كانت عقبى الشِّقاق و عوج الصُّفوف و اضطراب الحكم و حبُّ الرِّياسة أن اقتحم الصَّليبيُّون و التَّتار حدود الأمَّة المختلَّة (١).

يقول ابن القيِّم رحمه الله : و من تلك الوجوه : عـدم تزكيـة النَّفس عن رذائلهـا و تحليتها عن الخصال السَّيِّئـة بالجملة ، و إنَّها من أهمِّ أسس التَّربية و أجلِّ عناصرها ، و قد جعلهـا الله سبحانه و تعالى إحـدى مهامِّ الرَّسول صلَّى الله عليه و سلَّم في قوله : (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ إِذْ بَعَثَ فِيْهِمْ رَسُوْلاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيْهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ لَفِيْ ضَـلاَلٍ مُّبِيْنٍ) (٢) . و حكم سبحانـه بالفـلاح لمن زكَّى نفسه و بالخيبـة لمن لم يزكِّها و لكنَّـه دسَّاها فقـال : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَ قَدْ خَـابَ مَنْ دَسَّاهَا) (٣) . و من ثمَّ فإنَّني أرى أنَّ من أهمِّ واجبـات الدُّعـاة اليوم عنايتهم بتزكيـة نفوسهم و تطهـير بواطنهـم ، و أنَّ إغفالهم هـذا الأمر إغفـال لواجب عظيم و جنايـة على أنفسهم ، ثمَّ على الدَّعوة نفسها . فقد ذاقت الدَّعـوة مرارات كثـيرة من أولئك الَّذين انتموا إليها و خـاضوا في ميدان العمل غـير مزكِّـين لنفوسهـم ، فكان الحقـد و الحسد و البغضـاء و الإعجـاب بالنَّفس و الاغـترار بالعمـل ... ثمَّ التَّفرُّق و التَّشتُّت و التَّنازع ممَّا أثَّر على الدَّعوة تأثيراً سيِّئاً . و لقد كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول في خطبـة الحاجـة : (الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَ نَسْتَعِيْنُهُ وَ نَسْتَهْدِيْهِ وَ نَسْتَغْفِرُهُ ، وَ نَعُـوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا وَ سَيِّئَـاتِ أَعْمَـالِنَا ....) (٤) . و كان من تعليم النَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم لحصـين بن عبيـد لَمَّا أسلم : (قُـلْ : اللَّهُـمَّ ! قِـنِيْ شَرَّ نَفْسِيْ وَ اعْـزِمْ لِيْ عَلَى أَرْشَدِ

(١) هموم داعية – ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٦٤

(٣) سورة الشَّمس ، الآية رقم ٩ ، ١٠

(٤) أخرجـه أبوداود في سننه – كتـاب النِّكاح – باب في خطبة النِّكاح – ج٢– ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ . و التِّرمذي في نفس الكتاب و البـاب – ج٣– ص ٤٠٤ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

أَمْرِيْ) (١) قال رحمه الله :" و قد اتَّفق السَّالكون إلى الله عزَّ و جلَّ على اختلاف طرقهم و تباين سلوكهم على أنَّ النَّفس قاطعة بين القلب و بين الوصل إلى الرَّبِّ ، و أنَّه لا يُدخل عليه سبحانه ، و لا يوصل إليه إلاَّ بعد إماتتها و تركها بمخالفتها و الظَّفر بها ، فإنَّ النَّاس على قسمين : قسم ظفرت به نفسه فملكته و أهلكته و صار طوعاً لها منقادة لأوامرهم . قال بعض العارفين : انتهى سرُّ الطَّالبين إلى الظَّفر بأنفسهم ، فمن ظفر بنفسه أفلح و أنجح ، و من ظفرت به نفسه خسر و هلك ، قال تعالى : (فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيْمَ هِيَ الْمَأْوَى* وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)" (٢)

و على هذا فإنَّني أتكلَّم عن بعض مهمَّات الأمراض المهلكة ، و الأخلاق السَّيِّئة المرذولة الَّتي كثر الابتلاء بها بين الدُّعاة ، و كانوا أحقَّ النَّاس باجتنابها و البعد عنها ، و هي الغضب و الحقد و الحسد و الكبر و العجب و حبُّ الجاه و الشُّهرة ، و الله الموفِّق للرَّشاد و السَّداد و العاصم من كلِّ شرٍّ و فساد .

الغضب

و الغضب كما يقول الإمام الغزالي رحمه الله : شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الَّتي تطَّلع على الأفئدة ، و إنَّها لمستكنَّة في طيِّ الفؤاد استكان الجمر تحت الرَّماد ، و يستخرجها الكبر الدَّفين في قلب كلِّ جبَّار عنيد كاستخراج الحجر النَّار من الحديد (٣) و إنَّما المذموم من ذلك هو الغضب المفرط و هو أن تغلب هذه الصِّفة حتَّى تخرج عن سياسة العقل و الدِّين ، و لا يبقى للمرء معها بصيرة و نظر و فكرة و لا اختيار ، و المحمود هو الغضب لله تعالى و التَّابع لإشارة العقل و الدِّين ، فينبعث حيث تجب الحميَّة و ينطفئ حيث يحسن الحلم ، و من آثار الغضب المفرط و نتائجه الحقد و الحسد و إضمار السُّوء و الشَّماتة و العزم على إفشاء السِّرِّ و هتك السَّتر و الاستهزاء و غير لك من القبائح . و قد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ

---

(١) إغاثة اللَّهفان–ج١– ص ٧٤ . و الحديث أخرجه أحمد في مسنده– ٤/ ٤٤٤ عن عمران بن حصين رضي الله عنه

(٢) نفس المصدر – ج١– ص ٧٥ . و الآية من سورة النَّازعات رقم ٣٧.ـ ٤١

(٣) إحياء علوم الدِّين – ج٣– ص ١٧٥

رجلاً قال للنَّبيِّ صلَّى الله عليه و سلَّم : أوصني ! قال : (لاَ تَغْضَبْ) فردَّد مراراً ، قال : لاَ تَغْضَبْ) (١) و عنه مرفوعاً (لَيْسَ الشَّدِيْدُ بِالصُّرَعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيْدُ الَّذِيْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) (٢) و عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ) (٣) . و قد مدح الله سبحانه في كتابه الكاظمين الغيظ و العافين عن النَّاس ، و أدرجهم في عداد المحسنين . (الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ فِى السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَاظِمِيْنَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ، وَ اللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ) (٤) . و الدَّاعية إلى الله تعالى في رحلته الشَّاقَّة الطَّويلة يحتاج إلى تحصيل هذه الصِّفة أيَّما احتياج. فإنَّه لا بدَّ و أن يصدم من النَّاس بأشياء كثيرة تهيج فيه جمرة الغضب ، ألا فليتذرَّع بالحلم و الصَّبر و العفو مهما أمكن له ذلك.

الحقد و الحسد

و الحقد من نتائج الغضب ، يقول الإمام الغزالي رحمه الله :" اعلم أنَّ الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التَّشفِّي فى الحال رجع إلى الباطن و احتقن فيه فصار حقداً ، و معنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله ، و البغضة له و النَّفار عنه ، و أن يدوم ذلك و يبقى (٥) و يقول أيضاً : " و من غوائل الحقد أنَّه ينتج الحسد ، و الحسد آفة الآفات و شرُّ البليَّات ، و هو نوعان : أحدهما :كراهة النِّعمة و حبُّ زوالها عن المنعم عليه . و ثانيهما : عدم محبَّة زوالها و تمنِّي مثلها ، و هذا يسمَّى غبطة ، فالأوَّل حرام و الثَّاني حلال أو محمود" (٦) و الحاسد متسخِّط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض ، و ذلك إثم عظيم و معصية كبيرة ، و أيُّ معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرَّة ، و إلى هذا أشار القرآن بقوله :

---

(١) صحيح البخاري –كتاب الأدب – باب الحذر من الغضب – ج٤– ص ٦٨

(٢) نفس المصدر – نفس الإحالة

(٣) رواه ابن ماجه – كتاب الزُّهد – حديث رقم – ٤١٨٩ – ج٢– ص ١٤٠١ ، قال المنذري : رواته محتجٌّ بهم فى الصَّحيح ، انظر التَّرغيب و التَّرهيب – ج٣– ص ٤٩٤

(٤) سورة آل عمران ، الآية رقم ١٣٤

(٥) إحياء علوم الدِّين – ج٣– ص ١٩٢

(٦) إحياء علوم الدِّين – ج٣– ص ٢٠١

(إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَ إِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوْا بِهَا) (١)

و هذا الفرح شماتة و الحسد و الشّماتة يتلازمان ، و قال تعالى في معرض الإنكار و التّقريع : (أَمْ يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) (٢) و فى الحديث (لاَ يَجْتَمِعُ فِيْ جَوْفِ عَبْدٍ ٱلإِيْمَانُ وَ الْحَسَدُ) (٣) و قال عليه الصّلاة و السّلام : (إِيَّاكُمْ وَ الْحَسَدَ ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ) (٤) و قال صلّى الله عليه و سلّم : (لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوْا) (٥) و قال صلّى الله عليه و سلّم : (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ ٱلأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَ الْبَغْضَاءُ ، وَ الْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ ، أَمَا إِنِّيْ لاَ أَقُوْلُ : تَحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَ لَكِنْ تَحْلِقُ الدِّيْنَ) (٦) قال الجاحظ :" الحسد ــ أبقاك الله ــ داء ينهك الجسد ، علاجه عسير و صاحبه ضجر و هو باب غامض و ما ظهر منه فلا يُداوى ، و ما بطن منه فمداويه في عناء ، و لذلك قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم : (دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ ٱلأُمَمِ قَبْلَكُمْ : الْحَسَدُ وَ الْبَغْضَاءُ) الحسد عقيد الكفر ، و حليف الباطل و ضدُّ الحقِّ ، منه تتولَّد العداوة ، و هو سبب كلِّ قطيعة و مفرِّق كلِّ جماعة ، و قاطع كلِّ رحم من الأقرباء ، و محدث التَّفرُّق بين القرناء ، و ملقِّح الشّرِّ بين الحلفاء " (٧)

الكبر و العجب

قال جمال الدِّين أحمد القاسمي :" اعلم ! أنَّ الكبر ينقسم إلى باطن و ظاهر ، فالباطن هو خلق

(١) سورة آل عمران ، من الآية رقم ١٢٠

(٢) سورة النِّساء ، من الآية رقم ٥٤

(٣) رواه ابن حبَّان في صحيحه -كتاب السِّير- كر نفي اجتماع الغبار في سبيل الله و فيح جهنَّم في جوف مسلم- حديث رقم- ٤٦٠٦- ج١٠- ص ٤٦٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٤) رواه أبو داود في سننه -كتاب الأدب - باب فى الحسد - حديث رقم - ٤٩٠٣ - ج٥- ص ٢٠٥ و سكت عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٥) رواه الطَّبراني في معجمه الكبير- ضمرة بن ثعلبة - برقم٨١٥٧- ج٨- ص ٣٠٩ . قال الهيثمي : و رجاله ثقات- مجمع الزَّوائد- كتاب الأدب - باب ما جاء فى الحسد و الظَّنِّ - برقم ١٣٠٤٥- ج٨- ص٩٦

(٦) مسند البزَّار- يعيش بن الوليد مولى ابن الزُّبير عنه — برقم٢٢٣٢- ج٦- ص ١٩٢. السُّنن الكبرى للبيهقي كتاب الشَّهادات - باب شهادة أهل العصبيَّة - برقم ٢١٥٩٦- ج ١٠- ص ٢٣١ عن الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه . قال المنذري : رواه البزَّار بإسناد جيِّد و البيهقي و غيرهما - انظر التَّرغيب و التَّرهيب - ج٣- ص ٥٤٨

(٧) نقلاً عن هامش التَّرغيب و التَّرهيب - ج٣- ص ٥٥٦

فى النَّفس ، و الظَّاهر هو أعمال تصدر من الجوارح ، و تلك الأعمال أكثر من أن تحصى ، و آفته عظيمة و غائلته هائلة ، و كيف لا تعظم آفته ؟ و قد قال صلَّى الله عليه و سلَّم : (لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّـةَ مَنْ كَانَ فِيْ قَلْبِـهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) و إنَّما صار حجاباً دون الجنَّة لأنَّه يحول بين العبد و بين أخلاق المؤمنين كلِّها ، و تلك الأخلاق هي أبواب الجنَّة ، و الكبر و عزَّة النَّفس يغلق تلك الأبواب كلَّها ، لأنَّ المتكبِّر لا يقدر على أن يحبَّ للمؤمنين ما يحبُّ لنفسه ، و لا يقدر على التَّواضع و هو راس أخلاق المتَّقين ، و لا يقدر على ترك الحقد ، و لا يقدر أن يدوم على الصِّدق ، و لا يقدر على ترك الغضب ، و لا يقدر على كظم الغيظ ، و لا يقدر على ترك الحسد و لا يقدر على النُّصح اللَّطيف و لا يقدر على قبول النُّصح ، و لا يسلم من الإزراء بالنَّاس و من اغتيابهم ، و بالجملة فما من خلق ذميم إلاَّ و صاحب العزِّ و الكبر مضطرٌّ إليه ليحفظ به عزَّه ، و ما من خلق محمود إلاَّ و هو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزُّه ، فمن هذا لم يدخل الجنَّة مَن في قلبه مثقال حبَّة منه ... (١)

و شيئ يحوي هذه الآفات كلَّها و غيرها جدير بالذَّمِّ و التَّحذير . و قد وردت في ذمِّه و مدح التَّواضع أخبار كثيرة ، منها قوله صلَّى الله عليه و سلَّم : (قَالَ اللهُ تَعَالَى : الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِيْ ، وَ الْعَظْمَةُ إِزَارِيْ ، فَمَنْ نَازَعَنِيْ وَاحِداً مِّنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ) (٢) و قوله عليه الصَّلاة و السَّلام : (أَ لاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُّسْتَكْبِرٍ) (٣) و قوله عليه الصَّلاة و السَّلام : (لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِيْ قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) و في آخر الحديث (وَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَ غَمْطُ النَّاسِ) (٤) . و فى الحديث (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِيْ فِيْ حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ ، يَخْتَالُ فِيْ مِشْيَتِهِ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) (٥) . و قال صلَّى

(١) موعظة المؤمنين – ص ٣٦٥

(٢) رواه ابن ماجه في سننه –كتاب الزُّهد – حديث رقم – ٤١٧٤– ج٢– ص ١٣٩٧ عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما

(٣) رواه البخاري في صحيحه –كتاب الأدب – باب الكبر – ج٤– ص ٦١ ، و مسلم في صحيحه –كتاب الجنَّة – ج١٧– ص ١٨٧– عن حارثة بن وهب رضي الله عنه

(٤) رواه مسلم في صحيحه –كتاب الإيمان – ج٢– ص ٨٩ – عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٥) رواه البخاري في صحيحه –كتاب اللِّباس– باب من جرَّ ثوبه من الخيلاء– ج٤– ص ٢٤عن أبي هريرة رضي الله عنه

الله عليه و سلَّم : (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِّنْ مَّالٍ ، وَ مَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا ، وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ) (١) و قال عليه الصَّلاة و السَّلام : (إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَى أَنْ تَوَاضَعُوْا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ، وَ لاَ يَبْغِيْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) (٢)

و العُجب كذلك مذموم في كتاب الله و سنَّة رسوله صلَّى الله عليه و سلَّم ، قال الله تعالى : (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِيْ مَوَاطِنَ كَثِيْرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ، فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ، وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُّدْبِرِيْنَ) (٣) و قال صلَّى الله عليه و سلَّم : (لَوْ لَمْ تُذْنِبُوْا لَخَشِيْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ : الْعُجْبُ) (٤) . و قال عليه السَّلام : (ثَلاَثٌ مُّهْلِكَاتٌ : شُحٌّ مُّطَاعٌ ، وَ هَوَىً مُّتَّبَعٌ ، وَ إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ) (٥)

و آفات العجب كثيرة ، فإنَّ العجب يدعو إلى الكبر لأنَّه أحد أسبابه ، و يدعو إلى نسيان الذُّنوب و إهمالها ، و المعجب يغترُّ بنفسه و برأيه و يأمن مكر الله و عذابه و يظنُّ أنَّه عند الله بمكان ، و يخرجه العجب إلى أن يُثني على نفسه ، و يحمدها و يزكِّيها ، و يمنعه العجب من الاستفادة و الاستشارة و السُّؤال ، فيستبدُّ بنفسه و برأيه ، و لا يسمع نصح ناصح و لا وعظ واعظ ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال و يصرُّ على خطئه . إلى غير ذلك من الآفات ممَّا هو مفصَّل في إحياء الغزالي رحمه الله (٦)

حبُّ الجاه و الشُّهرة

و هذا مدخل عظيم من مداخل الشَّيطان إلى القلوب ، فإنَّ من يغلب على قلبه حبُّ الجاه

---

(١) رواه مسلم في صحيحه – كتاب البرّ – ج١٦ – ص ١٤١ عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) رواه مسلم في صحيحه – كتاب الجنَّة – ج١٧ – ص ٢٠٠

(٣) سورة التَّوبة ، الآية رقم ٢٥

(٤) مسند البزَّار – من حديث ثابت عن أنس – برقم٦٩٣٦ – ج١٣ – ص ٣٢٦. قال المنذري : رواه البزَّار بإسناد جيِّد . انظر التَّرغيب و التَّرهيب – ج٣ – ص ٥٧١

(٥) رواه الطَّبراني و البزَّار و غيرهما من حديث أنس رضي الله عنه – المعجم الأوسط – من اسمه محمَّد – برقم ٥٤٥٢ – ج٤ – ص ١٢٩. مسند البزَّار – برقم ٧٢٩٣ – قال الذَّهبي : الفضل بن بكر عن قتادة لايعرف و حديثه منكر – انظر ميزان الاعتدال – ج٣ – ص ٣٩٤ – رقم التَّرجمة ٦٧١٥

(٦) إحياء علوم الدِّين – ج٣ – ص ٣٨٩ ، ٣٩٠

و الشُّهرة يصير مقصوراً على مراعاة الخلق ، مشغوفاً بالتَّودُّد إليهم و المرآة لأجلهم ، و لا يزال في أقواله و أفعاله ملتفتاً إلى ما يعظم منزلته عندهم ، و ذلك بذر النِّفاق و أصَّل الفساد و يجرُّ ذلك لا محالة إلى التَّساهل فى العبادات و المرآة بها ، و إلى اقتحام المحظورات للتَّوصُّل إلى اقتناص القلوب . و كلُّ من طلب المنزلة في قلوب النَّاس يضطرُّ إلى النِّفاق معهم و إلى التَّظاهر بخصال حميدة هو خال عنها ، و ذلك هو عين النِّفاق ، فحبُّ الجاه إذن من المهلكات فيجب علاجه و إزالته عن القلب . قال سليم بن حنظلة :" بينا نحن حول أبيٍّ بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر ، فعلاه بالدُّرَّة فقال : انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع ؟ فقال : إنَّ هذه ذلَّة للتَّابع و فتنة للمتبوع " (١)

أيُّها الدُّعاة ! إنَّ واجبنا جميعاً أنَّ نزَكِّي نفوسنا و نطهِّر قلوبنا من هذه الأدواء و ما شابهها ، و أن نكون مُثُلاً فاضلة لطهارة القلب و سلامة الصَّدر و حسن الخلق ، لا حقد و لا حسد و لا غلَّ و لا بغضاء و لا نميمة و لا غيبة ، و من ثمَّ فلا تفرُّق و لا نزاع و لا تنافر . إنَّ فشوَّ هذه الأمراض بين الدُّعاة سوف يتقلَّص من تأثيرهم فى النَّاس ، بل يكون باعثاً لهم على النِّفاق منهم و البغضة لهم ، ذلك أنَّ النَّاس يكرهون هذه الأشياء في كلِّ واحد من النَّاس ، فأحراهم أن يكرهوها فى الدُّعاة إلى الله ، فتخسر الدَّعوة خساراً كبيراً بسب الدُّعاة أنفسهم . فلا بدَّ على الدُّعاة أن يزكُّوا أنفسهم ، و بهذا سوف يكسبون قلوب النَّاس ، و يربحون الثَّواب و المنزلة عند الله ، و يتقدَّمون بالدَّعوة إلى آفاق عليا من العزَّة و النَّجاح و الانتشار ، و بالله التَّوفيق .

(١) إحياء علوم الدِّين – ج٣ – ص ٢٩٢

خاتمة في تذكير الدُّعاة بواجبهم و نصحهم للقيـام بمهمَّة الدَّعـوة الَّتي كلَّفهـم الله بهـا

إخواني الدُّعاة !

لقد تحدَّثت في الصَّفحات الماضية من أهمِّ واجباتكم نحو أنفسكم ، و إنَّه لنصيحة لكم و لنفسي ، و ذكرى للذَّاكرين .

إنَّ واقع المسلمين اليوم ـ أيها الإخوة ـ مؤلم مؤسف ، و الفساد المنتشر بينهم كثير و كثير ، و إنَّ الإنسانيَّة كلَّها متلهِّفة إلى فكرة قادرة على أن تحلَّ مشاكلها ، و تملأ جوانب النَّفس البشريَّة الَّتي تشكو من خواء مفزع و فراغ رهيب . و في ديننا بغيتها الَّتي تبغيها ، و ضالَّتها الَّتي تنشدها ، و إنَّ الله سبحانه قد وضعكم موضعاً يحمِّلكم مسئوليَّة ضخمة و يلزمكم عملاً جادًّا دؤوباً مخلصاً .

إنَّ تقصيركم في عملكم سوف يجرُّ الدِّمار عليكم و على الإنسانيَّة كلِّها ، و إنَّ في إمكانكم ـ بفضل ما آتاكم ربُّكم ـ إنقاذ البشريَّة ممَّا هي واقعة فيه ، و إخراجها من الظُّلمات إلى النُّور ، و من الضِّيق إلى السَّعة . ألا فقوموا مشمِّرين عن ساعد الجدِّ ، و اعملوا بإخلاص على إصلاح ما فسد من أحوال المسلمين ، و على نشر الهداية الرَّبَّانيَّة في ربوع الأرض ، إنَّكم تستطيعون . إذا صدق العزم و خلصت النِّيَّة و أخذتم بالأسباب و مضيتم في طريقكم متوكِّلين على ربِّكم حقَّ التَّوكُّل . أن تغيِّروا مجرى التَّاريخ و تقلِّبوا مسير الزَّمان ، و تستردُّوا سالف المجد و العزَّة و الكرامة . و اعلموا أنَّكم بحاجة إلى الدَّعوة أكثر من حاجتها إليكم ، فالدَّعوة ماضية قُدُماً بإذن الله ، إن لم تكن بأيديكم فبأيدي قوم غيركم يأتي بهم الله سبحانه إن تخلَّيتم عنها ، و فرَّطتم فيها (وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لاَ يَكُوْنُوْا أَمْثَالَكُمْ) (١)

فإن كانت الأولى ـ و كان ظهور الدَّعوة على أيديكم و بفضل جهودكم ـ فبها و نعمت ، و طوبى لكم و حسن مآب ، و إن كانت الأخرى فماذا يكون مصيركم ؟ و بماذا تجيبون و تدافعون عن أنفسكم أمام ربِّكم حينما توقفون فتُسألون ؟ . ألا فاتَّقوا الله حقَّ تقاته ، و ارتفعوا بأنفسكم إلى المستوى المطلوب ، و ذروا ما أنتم عليه من الاختلاف و التَّنازع و التَّباغض و التَّدابر و التَّقصير و التَّفريط ، و انهضوا بطاقتكم لتكونوا في الدَّرجة الَّتي تقتضيها

(١) سورة محمَّد ، من الآية رقم ٣٨

دعـوتكـم ، و يتطلَّبهـا منصبكـم ، و اعمـلـوا على التَّحلِّي بالصِّفـات الَّتي تحـدَّثت بها إليكـم ، و تأدية الواجبات الَّتي ذكرتها لكم ، و أنتم ـ إن شاء الله ـ فاعلون ففائزون في الدُّنيا و الآخرة ، كان الله معكـم و تولاَّكـم ـ و إيَّاي ـ برعايتـه ، و وفقَّنـا الله جميعاً لما يحبَّـه و يرضـاه .

و السَّلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

الفهـــــارس

و يحتوي على ثلاثـة فهارس

فهرس الآيات ، فهرس الأحاديث ، فهرس المصادر

فهرس الآيات

من سورة آل عمران

من سورة النِّساء

من سورة المائدة

من سورة الأنعام

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر

١ . **الإبانــة عن أصول الدِّيانــة** – أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعـري – مركز شئون الدَّعـوة الإسلاميَّـة – الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة

٢ . **الاتِّجاهات الفكريَّة المعاصرة و موقف الإسلام منها** – د/ علي جريشة– دار الوفاء للطِّباعة ... – المنصورة

٣ . **إتحاف السَّادة المتَّقين** – محمَّد بن الحيسني الزَّبيدي الشَّهير بمرتضى– دار الفكر – بيروت

٤ . **الإحسان بترتيب صحيــح ابن حبَّـان** – ترتيب الأمير عـلاء الدِّين علي بن بلبـان الفـارسي– دار الكتب العلميَّـة – بيروت – ط١– ص١٤٠٧ هـ

٥ . **إحياء علوم الدِّين** – أبو حامد محمَّد بن محمَّد الغزالي – دار الكتب العلميَّة – بيروت – ط١– ١٤٠٧ هـ

٦ . **الأخلاق الإسلاميَّة و أسسها** – عبد الرَّحمن حسن حبنَّكة الميداني – دار القلم – بيروت – ط١– ١٣٩٩هـ

٧ . **الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة** – عبد القادر شيبة الحمد– مطابع الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة

٨ . **الأسماء و الصِّفات** – البيهقي – دار إحياء التُّراث العربي

٩ . **أصول الدَّعوة** – الدُّكتور / عبد الكريم زيدان – دار عمر بن الخطَّاب بالإسكندريَّة – ط٣ – ١٣٩٦ هـ

١٠ . **إظهار الحق** – الشَّيخ رحمة الله الكيرانوي – مطابع الدَّوحة الحديثة – قطر

١١ . **الاعتصام** – الإمام الشَّاطبي – مطبعة المنار – مصر – ط١– ١٣٣١ هـ

١٢ . **الاعتقاد على مذهب السَّلف : أهل السُّنَّة و الجماعـة** – أحمد بن الحسين البيهقي – حـديث اكاديمي نشاط – فيصل آباد– باكستان

١٣ . **إغاثة اللَّهفان** – ابن القيِّم الجوزيَّة – مصطفى البابي الحلبي – مصر – ١٣٥٧ هـ

١٤ . **اقتضاء الصِّراط المستقيم**– شيخ الإسلام ابن تيميَّة– مطابع المجد التِّجاريَّة–

١٥ . **إمداد الباري تقرير درس بخاري** – عبد الجبَّار المؤوي – مكتبة حرم سرائ كل زاري مل – مرادآباد

١٦ . **الأمـر بالمعـروف و النَّهي عن المنكــر** – شيخ الإسلام ابن تيميَّـة – بتحقيق الدُّكتـور صـلاح الدِّين المنجـد – دار الكتاب الجديد – بيروت – لبنان – ط١– ١٣٩٦هـ

١٧ . **البداية و النِّهاية** – إسماعيل بن كثير – دار الكتب العلميَّة – بيروت – ١٤٠٣ هـ

١٨ . **بين العقيدة و القيادة** – محمود شيث خطَّاب – دار الفكر – بيروت – ط١– ١٣٩٢هـ

١٩ . **تاج العروس من جواهر القاموس**– محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّزَّاق الزَّبيدي الملقَّب بمرتضى الزَّبيدي– مطبعة الخيريَّة – مصر– ط١– و مطبعـة حكومة الكويت – ١٣٩٧ هـ . و تاج العروس الَّذي نشره دار الهدايـة المطابق للمكتبة الشَّاملة .

٢٠ . **التَّرغيب و التَّرهيب** – عبد العظيم المنذري – بتعليق مصطفى محمَّد عمارة – مطابع مصرالوطنيَّة –

٢١ . **تفسير البحر المحيط** – أبو حيَّان الأندلسي – مطابع النَّصر الحديثة– الرِّياض

٢٢ . **التَّفسير الكبير و مفاتيح الغيب** – فخر الدِّين الرَّازي – طبعة دار الفكر

٢٣ . **ثقافة الدَّاعيَّة** – د / يوسف القرضاوي – دار القرآن الكريم – ١٤٠٠هـ

٢٤ . جـامع الأصول في حـديث الرّسول – مجد الدِّين ابن الأثـير الجـزري – بتحقيق أيمن صالح شعبـان – دار الكتب العلميَّة – بيروت – ط١– ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م

٢٥جامع البيان – ابن جرير الطَّبري – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٣ هـ

٢٦ . جامع العلوم و الحكم – ابن رجب الحنبلي– مصطفى البابي الحلبي – ط٣ – ١٣٨٢ هـ

٢٧ . الجامع لأحكام القرآن – محمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي– دار الكتب العلميَّة– بيروت– ط١– ١٤٠٨هـ

٢٨ . جند الله ثقافة و أخلاقاً – سعيد حوَّى – دار الشُّروق – ط٢

٢٩ . الجهاد – عبد الله بن المبارك – دار النُّور – بيروت

٣٠ . الجهاد في سبيل الله – أبو الأعلى المودودي – مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت

٣١ . حاضر العالم الإسلامي و قضاياه المعاصرة – الدُّكتور جميل عبد الله محمَّد المصري – مطابع الجامعة الإسلاميَّة .

٣٢ . خلق المسلم – محمَّد الغزالي – مطبعة حسَّان – القاهرة – ط٢– ١٣٩٤ هـ

٣٣ . دائرة معارف القرن الرَّابع عشر ، العشرين– محمَّد فريد وجدي– مطبعة دائرة معارف القرن العشرين– ١٣٥٦هـ

٣٤ . الدُّرُّ المنثور – جلال الدِّين السُّيوطي– دار الفكر– بيروت–

٣٥ . دراسات اللَّبيب – معين الدِّين السِّندهي

٣٦ . الدَّعوة الإسلاميَّة أصولها و وسائلها – الدُّكتور أحمد أحمد غلوش – دار الكتب المصريَّة – القاهرة/ دار الكتاب اللُّبناني– بيروت– ط٢– ١٤٠٧هـ

٣٧ . دعوة الله بين التَّكوين و التمكين – الدُّكتور علي جريشة– دار التَّضامن للطَّباعة – القاهرة – ط١ – ١٤٠٦هـ

٣٨ . الدَّعوة إلى الله و أخلاق الدُّعاة – عبد العزيز بن عبد الله بن باز– دار المجتمع للنَّشر و التَّوزيع

٣٩ . الدَّعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج–الدُّكتور السَّيِّد رزق الطَّويل–إدارة الصَّحافة والنَّشر لرابطة العالم الإسلامي– ط٢

٤٠ . روداد قفس (بالأرديَّة) ترجمة " أيَّام من حياتي" المترجم خليل أحمد الحامدي– مترو برتنر – لاهور – ط٢– ١٤٠٧هـ

٤١ . رياض الصَّالحين – يحيى بن شرف النَّووي – مؤسَّسة الرِّسالة / مكتبة طيبة– ط١١– ١٤٠٧ هـ

٤٢ . الرِّياض النَّاضرة و الحائق النَّيِّرة الزَّاهرة فى العقائد و الفنون المتنوِّعة الفاخرة – عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي– طبعة الرِّئاسة العامَّة لإدارات البحوث العلميَّة و الإتاء و الدَّعوة و الإرشاد– الرِّياض– ١٤–٥ هـ

٤٣ . زاد المعاد في هدي خير العباد– ابن القيِّم الجوزيَّة – المطبعة المصريَّة و مكتبتها –

٤٤ . سنن ابن ماجه – محمَّد بن يزيد القزويني – دار الفكر العربي– بتحقيق محمَّد فؤاد الباقي

٤٥ . سنن أبي داود –سليمان بن أشعث السِّجستاني–بتحقيق محمَّد محي الدِّين عبد الحميد–دار الكتب العلميَّة– بيروت

٤٦ . سنن التِّرمذي – محمَّد بن عيسى التِّرمذي – مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط٢٠– ١٣٧٥ هـ

٤٧ . سنن النَّسائي– أحمد بن شعيب النَّسائي– تصوير دار الكتب العلميَّة عن المطبعة المصريَّة –

٤٨ . سيرة ابن هشام – ابن هشام بتحقيق مصطفى الشَّقاء – مصطفى البابي الحلبي – مصر – ط٢ – ١٣٧٥هـ

٤٩ . السِّيرة الحلبيَّة – علي بن برهان الدِّين الحلبي– مطبعة الاستقامة – مصر – ١٣٨٢ هـ

٥٠ . شرح الأربعين حديثاً النَّوويَّة– ابن دقيق العيد– مؤسَّسة الطِّباعة و الصَّحافة و النَّشر– جدَّه– ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م

٥١ . **شرح العقيدة الطَّحاويَّة** – أحمد بن محمَّد بن سلامة الطَّحاوي – دار الفكر العربي

٥٢ . **صحيح البخاري** – محمَّد بن إسماعيل البخاري – عيسى البابي الحلبي

٥٣ . **صحيح مسلم بشرح النَّووي** – مسلم بن الحجَّاج القشيري – المطبعة المصريَّة و مكتبتها

٥٤ . **صفة الصَّفوة** – ابن الجوزي – دار المعرفة بيروت

٥٥ . **صفحات من حاضر العالم الإسلامي**- محي الدِّين حسن القضماني- مطابع الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنوَّرة – ١٤٠٢هـ

٥٦ . **طريق الهجرتين** – ابن القيِّم الجوزيَّة – الشُّئون الدِّينيَّة في قطر

٥٧ . **عقيدة التَّوحيد في القرآن الكريم** – محمَّد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي- دار ابن تيميَّة للنَّشر و التَّوزيع و الإعلام – الرِّياض- ط١- ١٤٠٥ هـ

٥٨ . **عقيدة المؤمن** – أبوبكر جابر الجزائري – دار الشَّروق – الرِّياض

٥٩ . **عقيدة محمَّد بن عبد الوهَّاب** – الدُّكتور صالح بن عبد الله بن عبد الرَّحمن العبود – المجلس العلمي لإحياء التُّراث الإسلامي – الجامعة الإسلاميَّة – بالمدينة

٦٠ . **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري** – بدر الدِّين العيني- دار الفكر-

٦١ . **العقيدة الطَّحاويَّة مع شرحها**- أحمد بن محمَّد بن سلامة الأزدي الطَّحاوي – دار الفكر العربي

٦٢ . **فتح الباري شرح صحيح البخاري** – ابن حجر العسقلاني – دار الفكر

٦٣ . **فتح الباري شرح صحيح البخاري** – ابن حجر العسقلاني – دار المعرفة – بيروت

٦٤ . **فتح الملهم شرح صحيح مسلم** – شبِّير أحمد العثماني –

٦٥ . **الفوائد** – ابن القيِّم الجوزيَّة – دار الكتب العلميَّة – بيروت – ط١- ١٤٠٣ هـ

٦٦ . **في ظلال القرآن** – سيِّد قطب – دار العلم – جدَّه

٦٧ . **القاموس المحيط** – مجد الدِّين الفيروز آبادي – مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت – ط١- ١٤٠٦ هـ

٦٨ . **قضايا هامَّة في حاضر العالم الإسلامي** – محي الدِّين حسن القضماني- المكتبة الإسلاميَّة – بيروت – ط١- ١٤٠٧ هـ

٦٩ . **كتاب الذَّريعة إلى مكارم الشَّريعة** – الرَّاغب الأصفهاني – بتحقيق د/ أبو اليزيد العجميّ – دار الوفاء- المنصورة- ط٢ – ١٤٠١ هـ

٧٠ . **كتاب الزُّهد** – عبد الله بن المبارك – بتحقيق حبيب الرَّحمن الأعظمي- دار الكتب العلميَّة – بيروت

٧١ . **الكشَّاف** (تفسير الزَّمخشري) محمود بن عمر الزَّمخشري – مكتبة الحلبي – القاهرة – ١٩٦٦ م

٧٢ . **لسان العرب** – محمَّد بن مكرَّم ابن منظور الإفريقي المصري – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

٧٣ . **ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النَّصرانيَّة و التَّبشير** – إبراهيم السَّليمان الجبهان- طبعة الرِّئاسة العامَّة لإدارات البحوث العلميَّة و الإفتاء و الدَّعوة و الإرشاد – الرِّياض

٧٤ . **المبسوط للسَّرخسي** – مطبعة السَّعادة – مصر

٧٥ . **مجمع الزَّوائد و منبع الفوئد** – نور الدِّين الحنبلي- دار الكتاب العربي - بيروت - ط٣ - ١٤٠٢هـ
٧٦ . **مجموع فتاوى ابن تيميَّة**- أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة- طبعة الرِّئاسة العامَّة لإدارات البحوث العلميَّة.... الرِّياض
٧٧ . **محاضرات فى النَّصرانيَّة** – محمَّد أبو زهرة – طبعة الرِّئاسة العامَّة لإدارات البحوث العلميَّة و الإفتاء و الدَّعوة و الإرشاد- الرِّياض
٧٨ . **مختصر صحيح مسلم للمنذري** – المكتب الإسلامي
٧٩ . **المستدرك على الصَّحيحين** – أبو عبد الله الحاكم النِّيسابوري – تصوير دار الفكر – بيروت – ١٣٩٨هـ
٨٠ . **المستدرك على الصَّحيحين** – أبو عبد الله الحاكم النِّيسابوري – دار المعرفة – بيروت – ١٣٩٨هـ
٨١ . **مسند الإمام أحمد ابن حنبل** – أحمد بن محمَّد بن حنبل- دار صادر بيروت
٨٢ . **مشكاة المصابيح** – محمَّد بن عبد الله الخطيب التَّبريزي – بتحقيق محمَّد ناصر الدِّين الألباني – المكتب الإسلامي- بيروت – ط٣ – ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م
٨٣ . **المصباح المنير** – أحمد بن محمَّد بن علي المقرئ الفيُّومي .
٨٤ . **معارج القبول بشرح سلَّم الوصول إلى علم الأصول فى التَّوحيد** – حافظ بن أحمد الحكمي- المطبعة السَّلفيّة و مكتبتها – القاهرة
٨٥ . **المعارف لابن قتيبة** – بتحقيق د / ثروت عكَّاشة – دار المعارف بمصر
٨٦ . **معالم فى الطَّريق** – سيِّد قطب – دار الشَّروق – بيروت
٨٧ . **المعجم الوسيط** – جماعة من الدَّكاترة – مطابع دار المعارف – ١٤٠٠ هـ
٨٨ . **معجم مقاييس اللُّغة** – أحمد بن فارس- بتحقيق عبد السَّلام هارون – دار إحياء الكتب العربيَّة – ط١
٨٩ . **المغني** – ابن قدامة – دار الكتب العلميَّة – بيروت
٩٠ . **مقارنة الأديان** (اليهوديَّة) الدُّكتور أحمد شلبي – مكتبة النَّهضة المصريَّة – ط٧ – ١٩٨٤ م
٩١ . **مكايد يهوديَّة عبر التَّاريخ** – عبد الرَّحمن حسن حبنَّكة الميداني- دار القلم- بيروت- ط٢- ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م
٩٢ . **الملل و النِّحل**- محمَّد بن عبد الكريم الشَّهرستاني – مطبعة حجازي بالقاهرة – ط١- ١٣٦٨هـ
٩٣ . **من صفات الدَّاعية** – محمَّد الصَّبَّاغ – المكتب الإسلامي- ط٤
٩٤ . **مناهج الدَّعوة و أساليبها**- الدُّكتور علي جريشة- مطابع الوفاء للطِّباعة والنَّشر- المنصورة- ط١- ١٤٠٧هـ
٩٥ . **منهاج المسلم- أبوبكر جابر الجزائري** – دار الفكر
٩٦ . **موارد الظَّمآن إلى زوائد ابن حبَّان** – بتحقيق محمَّد عبد الرَّزَّاق حمزة – دار الكتب العلميَّة- بيروت
٩٧ . **موارد الظَّمآن لدروس الزَّمان** – عبد العزيز المحمَّد السَّلمان – ط ١٤- ١٤٠٤ هـ
٩٨ . **موسوعة أخلاق القرآن** – الدُّكتور أحمد الشَّرباصي – دار الرَّائد العربي- بيروت – ط١- ١٤١٠ هـ
٩٩ . **موعظة المؤمنين** – جمال الدِّين أحمد القاسمي- دار النَّفائس – بيروت – ط١- ١٤٠١ هـ
١٠٠ . **ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال** – شمس الدِّين الذَّهبي – دار المعرفة – بيروت
١٠١ . **نحو نظريَّة للتَّربية الإسلاميَّة** – الدُّكتور علي جريشة – دار الطِّباعة القاهرة – ط١- ١٤٠٦ هـ

١٠٢ . **نهج البلاغة** – محمَّد الرَّضي بن الحسن الموسوي بشرح محمَّد عبده و تحقيق محمَّد محي الدِّين عبد الحميد – مطبعة الاستقامة

١٠٣ . **هداية المرشدين إلى طريق الوعظ و الخطابة** – الشَّيخ علي محفوظ – دار الاعتصام – ط٩ – ١٣٩٩هـ

١٠٤ . **هدي السَّاري مقدِّمة فتح الباري** – ابن حجر العسقلاني – دار الفكر – بيروت

١٠٥ . **هموم داعية** – محمَّد الغزالي – دار الحرمين للطِّباعة و النَّشر – قطر – ط١ – ١٤٠٣هـ

١٠٦ . **واقعنا المعاصر** – **محمَّد قطب** – مؤسَّسة الحديثة للصَّحافة و الطِّباعة – جدَّة – ط٢ – ١٤٠٨ هـ